

جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله -

كلية العلوم الانسانية

قسم التاريخ

إمارة عثمان بن فودي في غرب افريقيا

1218-1232هـ / 1804-1817م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في تاريخ افريقيا جنوب الصحراء

إشراف الأستاذ الدكتور:

بوعزة بوضرساية

اعداد الطالب:

الطاهر دوباخ

السنة الجامعية 1440-1441هـ / 2019-2020م

جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله -

كلية العلوم الانسانية

قسم التاريخ

إمارة عثمان بن فودي في غرب افريقيا

1218-1232هـ / 1804-1817م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في تاريخ افريقيا جنوب الصحراء

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
منصف بكاي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	رئيسا
بوعزة بوضرساية	استاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	مشرفا ومقررا
عبد الوهاب يحياوي	أستاذ محاضر -أ-	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
محمد بن شوش	أستاذ محاضر -أ-	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
الياس نايت قاسي	أستاذ محاضر -أ-	المدرسة العليا للأساتذة -بوزريعة-	عضوا مناقشا
حسين عبد الستار	أستاذ محاضر -أ-	المدرسة العليا للأساتذة -بوزريعة-	عضوا مناقشا

إشراف الأستاذ الدكتور:

اعداد الطالب:

بوعزة بوضرساية

الطاهر دوباخ

السنة الجامعية 1440-1441هـ / 2019-2020م

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع الى الوالدين الكريمين أطال الله عمرهما، والى كل من ساعدني في

انجاز هذا البحث.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي وفقني الى إتمام هذا البحث، فأحمده جلّ وعلا على نعمه الكثيرة وآلائه الجسيمة، و أشكر أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور بوعزة بوضرساية على ما قدم لي طوال مدة إنجاز البحث، من ملاحظات سديدة، وارشادات مفيدة، و تنقيحات وحيهة فجزاه الله عني ألف خير.

وأشكر أساتذتي الذين تلقيت على يديهم العلم طوال مسيرتي التعليمية، فأسأل الله العلي القدير أن يُثيبهم بذلك الأجر العظيم.

وخيراً أشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد في انجاز هذا البحث.

المقدمة:

يعدّ القرن التاسع عشر الميلادي، عصر الحركات الإصلاحية و الثورات الفكرية بامتياز في إفريقيا جنوب الصحراء، إذ أن محاربة مظاهر الشرك و جهاد الوثنيين كانت السّمة البارزة التي غلبت على نشاط الدّعاة و المصلحين، فسطحية فهم الإسلام و البعد الجغرافي عن الحواضر الإسلامية و انتشار الوثنية، أدّى إلى اختلاط الإسلام بالكثير من المعتقدات الفاسدة التي استقرّت في نفوس الناس و سلّمت بها عقولهم، في ظل هذه الأوضاع، ظهر مجموعة من الدّعاة و المصلحين، الذين أخذوا على عاتقهم مهمة الإصلاح و الدعوة إلى العودة بتعاليم الإسلام الصحيحة.

لم تهدف تلك الحركات الإصلاحية في البداية إلى إنشاء الدول و الإمارات، أو تغيير الأوضاع السياسية في المناطق التي قامت فيها، و إنّما ركزت على الدّعوة بالطرق السلمية مثل: دروس الوعظ و الإرشاد و الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر، و عندما رأى أصحابها وقوف الحكام و الأمراء و الوثنيين ضد حركاتهم الإصلاحية، رفعوا ضدهم شعار الجهاد، و تمكنوا من تغيير الجانب السياسي و ذلك بإنشاء كيانات سياسية، كان لها الأثر الكبير في تاريخ غرب إفريقيا.

و لعلّ من أبرز الحركات الإصلاحية و الدّعوية التي ظهرت في المنطقة، نذكر حركة الشيخ عثمان بن فودي، الذي قام بالدعوة الجهادية في بلاد الهوسا، و التي نتج عنها ميلاد كيان سياسي إسلامي عرف بإمارة سكوتو، و التي ستصبح أحد أهم الحواضر العلمية والاقتصادية و السياسية في غرب إفريقيا لمدة أكثر من قرن من الزمن، و يهتم هذا البحث بدراسة إمارة دان فوديو إيان حياة المؤسس، و التعرض لنظمها الحضارية و علاقتها بمختلف الممالك و الإمارات في المنطقة.

تنوعت الأسباب التي دفعتني إلى دراسة الموضوع، و يمكن إجمالها في النقاط التالية :

- أن شخصية عثمان دان فوديو، لم تدرس بشكل واف- حسب علمي- رغم الإنجازات الفكرية و السياسية التي قام بها، إلا أنه ما زال لم يأخذ حقّه الكافي في تأليف و مصنفات الباحثين و المؤرخين.

- استراتيجية الشيخ عثمان في الجمع ما بين العلم و الجهاد، حيث نجده ألف العشرات من الكتب و الرسائل، إضافة إلى نشاطه التعليمي و الدّعوي من تدريس و وعظ، و جهاده في ساحات الوغى، حيث كان مجاهدا يحارب الوثنيين و ينشر الدين الإسلامي، فالرجل قد جمع بين السيف و القلم.

- معرفة أوضاع بلاد الهوسا، قبل حركة الشيخ دان فوديو، و محاولة تقديم صورة واضحة للمعطيات الدينية و الفكرية و السياسية و الاجتماعية ، التي كانت سائدة في المجتمع الهوساوي قبل ظهور الشيخ دان فوديو.

- إبراز حيثيات تأسيس إمارة سكوتو و دراسة نظمها الحضارية، و تبيّن الدور الفكري و التنظيمي الذي أسّس لمجموعة النظم الاقتصادية و الاجتماعية و التعليمية و السياسية.

- تبيان العلاقات الداخلية و الخارجية لدولة دان فوديو، و استظهار دبلوماسيته في المراسلات مع الزعماء و العلماء في المنطقة.

- تسليط الضوء على المورث الفكري الضخم لدان فوديو و أسرته، و الذي لا يزال معظمه رهن خزائن المخطوطات و لدى بعض الأسر المرموقة في نيجيريا.

تتمحور إشكالية البحث في تحديد مدى نجاح الشيخ عثمان دان فوديو في تحقيق أفكاره الإصلاحية على أرض الواقع في جميع المجالات، و تتبّع تطور جهوده الدعوية و الجهادية، و محاولة التركيز على الإمارة التي أسّسها و دورها في منطقة غرب إفريقيا خلال فترة حياته.

انطلاقاً من ذلك، تهدف إشكالية البحث إلى إبراز جهود دان فودي و تأسيسه للإمارة و إبراز أهم معالمها الحضارية و علاقتها السياسية بأهم الأقطار الإفريقية ، و تبين التراث الفكري للشيخ عثمان و أثره في الحياة العلمية بسكوتو و بلاد الهوسا.

و بناء على ذلك، نطرح جملة من التساؤلات:

- من هو عثمان بن فودي؟
- كيف ساهمت نشأته العلمية في تكوين شخصيته الجهادية؟
- كيف كانت أوضاع الهوسا قبل حركة دان فوديو؟
- كيف كانت علاقته بملوك الهوسا؟
- هل كان الشيخ عثمان يسعى للإصلاح أم لأطماع سياسية؟
- فيما تمثلت الأساليب و الوسائل الجهادية و الدعوية التي اعتمدت عليها الدعوة الفودية؟
- ماهي الأسس الحضارية التي قامت عليها دولة بن فودي؟
- هل عرفت إمارة سكوتو إنجازات خلال مرحلة حكم الشيخ المؤسس؟
- ماهي طبيعة العلاقات الداخلية و الخارجية التي ربطت سكوتو بأهم الأقاليم الإفريقية؟
- فيما يتمثل الإنتاج الفكري لدان فوديو؟

أما في الفترة المخصصة للبحث، فتتحدد ما بين 1804- 1817م، أي من مرحلة تأسيس الدولة و عاصمتها سكوتو سنة 1804م إلى وفاة الشيخ المؤسس عثمان بن فودي سنة 1817م، و حاولنا حصر أهم الأحداث في هذا الإطار .

و للإجابة على الإشكالية المطروحة و تساؤلاتها الفرعية، ارتأيت تقسيم البحث إلى أربعة فصول و مدخل (منطلقات جغرافية و تاريخية) و مقدمة و خاتمة.

اقتصرت في المدخل على المنطلقات الجغرافية و التاريخية لموضوع الدراسة، و المتمثلة في جغرافية بلاد الهوسا و ظروف انتشار الإسلام فيها، و الأسباب التاريخية لظهور الحركات الإصلاحية في المنطقة.

خصّصت الفصل الأول، للتعريف بشخصية عثمان بن فودي، من نسبه و مولده و نشأته و رحلاته و شيوخه و معاصريه.

أما الفصل الثاني الخاص بالجهود الدعوية للشيخ بن فودي، فابتدأت بأوضاع بلاد الهوسا قبل حركة بن فودي، ثم بداية الحركة و الدعوة و تأسيس الدولة.

و درست في الفصل الثالث النظم الحضارية لدولة دان فوديو، بداية بالتنظيم السياسي و الإداري و العسكري مرورا بالتنظيم الاقتصادي و الاجتماعي، وصولا إلى التنظيم الثقافي و التعليمي مستعرضا أفكار و نظريات بن فودي في كل مجال.

لأختم بالفصل الرابع، الذي تطرقت فيه إلى العلاقات الداخلية و الخارجية للدولة، ثم بينت إنتاج الشيخ بن فودي الفكري و تأثيراته في الحياة العلمية بالمنطقة.

أما الخاتمة، فاشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها.

و قد اتبعت في دراسة موضوع البحث، المنهج الوصفي، و المنهج التحليلي، و المنهج المقارن، إذ سردت الأحداث التاريخية من خلال المادة العلمية الموجودة من مختلف المصادر و المراجع، و اجتهدت في عرضها مختصرا دون إطناب، مع محاولة التقيد بالإطار الزمني للموضوع، ثم حاولت إبداء رأيي و ترجيح بعض المواقف من خلال المادة العلمية المتوفرة، بعدها استخلص جهود دان فوديو في إرساء دولة إسلامية ببلاد الهوسا.

و عن الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع، عثرت على مجموعة من الرسائل و الأطروحات، و أذكر منها:

- محمد بلّ و الدولة الصكتية في عهده 1232-1253هـ/1817-1837م، و هي أطروحة دكتوراه ل "محمد بن علي سكاكر"، بجامعة الملك عبد العزيز بالسعودية، و الملاحظ أن هذه الدكتوراه قد تناولت الدولة التي أسّسها الشيخ عثمان بن فودي، لكن بعد وفاته تسلم ابنه محمد بلو الحكم بصفة شرعية، لذا فقد وضّحت لنا هذه الدراسة الأسس و النظم الحضارية التي قد بدأها عثمان ثم أكملها ابنه، إذ نجد أن الشيخ المؤسس من خلال أفكاره و نظرياته السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و التعليمية التي جاءت في معظم تأليفه، قد بدأ في تطبيقها فعلا خلال فترة حكمه (1804-1817م) لكن عاجلته المنية- علما أنه كان وقت ذاك متخليا عن الحكم لابنه محمد بلو و أخوه عبد الله بن فودي، لكن يبقى هو صاحب السلطة الشرعية- عام 1817م، فأكمل محمد بلو مسيرة التشييد و البناء تكملة لما تركه الشيخ المؤسس.

- "الحركة العلمية بالهوسا الغربي خلال القرن 19م"، و هي رسالة ماجستير ل: بوبكي سكينه، بجامعة خميس مليانة بالجزائر، و رسالة ماجستير أخرى بالإنجليزية:

-The Sheh Uthman Danfodio the reformer the renovator and the founder of the SOKOTO Caliphate (1774,1817)

ل " كماش محمد" قسم اللغة الإنجليزية بجامعة وهران.

و الملاحظ أنا هاتين الرسالتين، قد ركزتا على حياة الشيخ عثمان بن فودي و تكوينه العلمي و الديني و مختلف رسائله و حواراته مع العلماء، و كذا التراث الفكري للشيخ الذي سعى من

خلال إلى نشر الإسلام و تصحيح الكثير من المفاهيم المغلوطة في أذهان العامة بالهوسا، كما أشارتا إلى حركة الجهاد التي قادها دان فوديو و أهم إنجازاتها، لكن نجدهما أنهما لم يتطرقا بصورة معمقة للإمارة التي أسسها الشيخ عثمان، على أساس أنها أحد منجزات الدعوة الفودية في غرب إفريقيا، إذ اننا لم نلمس جهود قادة الدولة في إرساء معالم و نظم اقتصادية و سياسية و عسكرية و اجتماعية و ثقافية و كذا لا توجد إشارات واضحة حول العلاقات السياسية

و الدبلوماسية لإمارة سكوتو مع ممالك غرب إفريقيا في عهد الشيخ بن فودي، رغم ان الدولة قد أصبحت أحد أهم الحواضر الإسلامية في غرب إفريقيا خلال القرن 19م.

و ما يمكن الاستفادة من هذه الدراسات، هو آراء الباحثين في بعض القضايا خاصة السياسية منها، و تحليلهم لأحداث التاريخية، و النتائج التي وصلوا إليها، و أيضا إرشاد الباحث و توجيهه إلى بعض المعلومات الموجودة في مصادر البحث التي قد يغفل عنها، نظرا لتنوع المصادر و المراجع.

و من جملة المصادر التي عدت إليها، أذكر:

-كتب و مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي، مثل: فتح البصائر، سوق الأمة إلى إتباع السنة، تحفة الأحباب بأدلة كتاب نور الألباب، بيان وجوب الهجرة على العباد و بيان نصب الإمام و إقامة الجهاد، الوصية الرضية من الراعي إلى الرعية المعروف باسم "نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان"، و كتب أخرى، و لعلّ المشترك بين هذه التأليف أن الشيخ يكثر فيها الاستشهاد بالنصوص الدينية (القرآن و السنة) و أقوال العلماء، و هذا ما يعكس سعة إطلاع الشيخ و إمامه بأمر الشرع، و الملاحظ أيضا أن مؤلفاته غلب عليها الطابع الديني، إلا أنها لا تخلوا من الكثير من الأفكار و التنظيرات السياسية و الاجتماعية و حتى الاقتصادية التي عملنا على استنباطها و توظيفها على طول محاور هذه الدراسة.

- كتاب: " تاريخ الإسلام في شمال نيجيريا و جهاد عثمان بن فودي" المعروف باسم: " إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور"، و هو أحد المصادر المحلية، فبحكم أن محمد بلّو هو ابن الشيخ المؤسس، و زعيم الدولة بعد وفاة والده، فقد كان لتأليفه التاريخي هذا أهمية كبيرة في اطلاعنا على الكثير من التفاصيل في حياة والده و في حركة جهاده، حيث سرد لنا سيرة الشيخ عثمان و دعوته و علاقته بالعلماء و الحكام و مختلف مواقفه و حركة جهاده و أبرز المعارك التي كان محمد بلّو أحد قادتها، لذا اعتمدت عليه في معظم فصول البحث.

- كتاب "رحلة لإكتشاف إفريقيا"، للثلاثي الذي قام بالرحلة و التأليف (الماجور دنهام و هيو كلابرتون و ولتر أودني)، يعد هذا المصدر مهم، لأن الرحالة الأسكتلندي هيو كلابرتون، قدم لنا وصفا دقيقا للأحوال الاجتماعية في بلاد الهوسا عموما و إمارة سكوتو خصوصا، فقد سرد لنا تفاصيل كثيرة حول طريقة احتفال الناس في الأعراس و المناسبات الدينية، لذا استعنت بهذا المصدر في دراسة النظم الاجتماعية و الثقافية لدولة دان فوديو.

أما المراجع، فأذكر: من المراجع المحلية: كتاب " الإسلام في نيجيريا و الشيخ عثمان بن فودي الفلاني"، و كتاب " موجز تاريخ نيجيريا" لآدم عبد الله الألوري، كتاب "الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا" لأحمد محمد كاني، كتاب "جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي" لعثمان باريمبا باري.

و كتب أخرى نذكر منها: "قبيلة فلان في الماضي و الحاضر و ما لها من العلوم و المعرفة" لمحمد باي بالعالم، كتاب " لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس و اليوم" لعلي بن أيوب ناجي، و كتاب " تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر الميلادي إلى مطلع القرن العشرين الميلادي"، ليحي بوعزيز و كتاب: " الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن 13هـ/19م"، لأحمد بوعتروس، و كتابي: " الإسلام و الحضارة

الإسلامية في نيجيريا " و " الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا في القرن 19م "، لعبد الله عبد الرزاق إبراهيم و كتاب: " الشيخ عثمان بن فودي و عقيدته على ضوء الكتاب و السنة "، لمصباح الدين جنيد، و كتاب: " الإسلام في نيجيريا و دور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه " لمحمد لواء الدين أحمد، و كتاب :

"Shehu Uthman Dam Fodio and His Economic"

"العبد العظيم إصلاحى."

و لعل هذه المراجع، كانت محورية جدا على طول الدراسة، فقد استعنت كثيرا بأراء مؤلفيها في التعليق على مجموعة من الأحداث و تحليلها.

و عن الصعوبات التي واجهتني، فنتخلص في أمرين، هما:

- صعوبة الالتزام بالإطار الزمني لموضوع الدراسة، لأن الكثير من المعطيات و الأحداث كان لها صدق و أبعاد تجاوزت في بعض الأحيان الإطار الزمني، فمثلا: أفكار دان فوديو الاقتصادية في إنشاء الدواوين و جهاز الحسبة و غيرها من التنظيمات، لم تطبق كليا على أرض الواقع إلا بعد وفاته عام 1817م، حيث عمل ابنه محمد بلو على إكمال مسيرة والده و تنفيذ أفكاره.

- نقص المادة العلمية التي تتعلق ببعض جوانب البحث، خاصة فيما يخص النظم الحضارية لإمارة دان فوديو، و علاقاتها بممالك غرب إفريقيا، لوحظ أن معظم المصادر و المراجع لم تذكر تفاصيل كثيرة عن ذلك، خاصة خلال حكم الشيخ عثمان بن فودي.

و لا يفوتني في الأخير أن أتقدم بجزيل الشكر و الامتتان إلى الأستاذ المشرف
الأستاذ الدكتور بوضرساية بوعزة، الذي لم يخل علي بالتوجيهات و الإرشادات اللازمة خلال
إشرافه على البحث.

منطلقات جغرافية

وتاريخية

1- جغرافية بلاد الهوسا:

لضبط الإطار الجغرافي لبلاد الهوسا⁽¹⁾، ينبغي تحديد المفهوم العام لإقليم السودان، فقد أطلق هذا المصطلح من طرف العرب في العصور الوسطى، والذي يكون غالبا مستوحى من لون البشرة التي يتميز بها سكان تلك المنطقة⁽²⁾، تمتد منطقة السودان من الصحراء الكبرى شمالا إلى الغابات الاستوائية جنوبا، ومن البحر الأحمر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا⁽³⁾.

قسمت بلاد السودان في التاريخ الحديث - حسب الدارسين - إلى ثلاثة أقسام هي:

1. **السودان الغربي:** يشمل حوض السنغال وبوركينا فاسو والنيجر الأوسط⁽⁴⁾
2. **السودان الأوسط:** ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد
3. **السودان الشرقي:** يمتد من البحر الأحمر شرقا حتى إقليم دارفور غربا أي يتكون من مناطق النيل وروافده جنوب بلاد النوبة⁽⁵⁾

لعل الصحراء الكبرى بمساحتها الشاسعة، شكلت طوال قرون من الزمن الرابط الجغرافي والحضاري بين شمال إفريقيا وجنوبها وخاصة فيما يعرف بالسودان الغربي⁽⁶⁾، وعليه تتكون بلاد

(1) أنظر الملحق (1) ص 272.

(2) محمد ظاهر جاسم: إفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال (دراسة تاريخية)، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، 2003، ص 32.

(3) عبد الله سالم بازينة: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، منشورات جامعة 17 أكتوبر، مصراتة، ليبيا، 2010، ص 39.

(4) أبو القاسم إبراهيم بن محمد الفاسي (الإصطخري): المسالك والممالك، تحقيق محمد صبار، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، مصر، 1961، ص 35.

(5) حسن يوسف فضل: دراسات في تاريخ السودان وإفريقيا وبلاد المغرب، دار جامعة الخرطوم للنشر والتوزيع، الخرطوم، السودان، 1989، ص 147 .

(6) يعرف بغرب إفريقيا وهي المنطقة التي تقع في غرب القارة والتي تمتد حتى الحدود الشمالية لدولة مالي والنيجر ومن الرأس الأخضر حتى الكامرون. انظر: فتحي محمد أبو عيانة: جغرافية إفريقيا، دار الجامعة المصرية، الإسكندرية، 1983، ص 221.

الهوسا من المنطقة الممتدة وسط القارة الإفريقية حتى المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر بين الصحراء شمالا والمنطقة الاستوائية جنوبا، والذي عرف عند المؤرخين والجغرافيين العرب باسم بلاد السودان⁽¹⁾، والواقع أن لهذا الموقع الجغرافي أثر كبير في تاريخ دويلات الهوسا⁽²⁾، فمن ناحية الشمال أصبحت الحدود الصحراوية محطة للالتقاء بين أجناس الشمال والجنوب⁽³⁾، لذا ارتبط تاريخ هذه المنطقة بمنطقة شمال إفريقيا إلى حد ما.

وتجدر الإشارة أن إمارات الهوسا⁽⁴⁾، ارتبطت بإقليم السودان الأوسط الذي كان يضم المنطقة المحيطة ببحيرة تشاد، ويحده من الشمال الصحراء الكبرى عند خط عرض 22 شمالا، أما من الجنوب فتحده الغابات الاستوائية عند خط عرض 10 شمالا، أما من الشرق فيحده إقليم دارفور عند خط طول 10 درجات شرقا الذي كان تابعا للسودان الشرقي جغرافيا، أما من الغرب فإن إقليم الهوسا يحده ويقع على خط طول 15 درجة غربا⁽⁵⁾

(1) عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة إنتشار الإسلام)، منشورات جامعة

قاريوس، بنغازي، ليبيا، 1998، ص209.

(2) أنظر المحلق رقم (2)، ص273.

(3) Carbon (H) : La region du tchad et du Ouadai , T.H, Paris, Ierrouts, 1912, P.912.

(4) يرى الأستاذ مهدي أدامو من خلال ما أورده في كتاب إفريقيا العام، أن الهوسا من أهم التكوينات والمجموعات العرقية المهمة في إفريقيا، ومؤثراتهم اللغوية كانت أقوى مما جعل الشعوب المجاورة لهم تترك لغاتها الأساسية وتتضم إليهم، ومن الجائز نا أن سيطرة الهوسا وتنامي قوتهم الاقتصادية جعل من لغتهم المحور الأساسي للتعامل مع التجار إلى اعتبارهم الأصل والأقوى، وهذا ربما يضعف القول بأنهم خليط ومجرد شعوب تجمعت حول لغة فقط، أنظر: مهدي أدامو: الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط، تاريخ إفريقيا العام، لبنان، 1994، ج4، ص273.

(5) محمد الفاضل باري، سعيد إبراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

2007، ص ص 129-130.

أما فيما يتعلق بالمنطقة موضوع الدراسة، فإن نيجيريا⁽¹⁾ تقع في غرب إفريقيا يحدها من الشمال النيجر، ومن الشرق تشاد والكمرون، ومن الغرب البنين، ومن الجنوب خليج غينيا، أراضيها منخفضة في الجنوب، ترتفع إلى الهضاب في الوسط وجبال في الجنوب الشرقي.⁽²⁾

وتقع نيجيريا بين دائرتي عرض 14.4 درجة شمالا، ونلاحظ المناخ الاستوائي في الجنوب بأماطاره الدائمة وغاباته الباسقة، والمناخ المداري بأماطاره الصيفية، وشتائه الجاف وحشائشه التي تتخللها الأشجار، وتنتج البلاد الأرز والذرة و الكاسافا والفول السوداني والقطن⁽³⁾،.. وعموما فإن هذا الموقع يسمح بالربط بين إفريقيا الغربية والوسطى⁽⁴⁾

لقد أعتبر إقليم الهوسا الحد الفاصل بين القوة السياسية في الشرق ممثلة في دولة البرنو⁽⁵⁾ والقوى السياسية في الغرب والممثلة في مملكة صنغاي⁽⁶⁾ بالسودان الغربي، وتعدّ هذه القوى أهم

(1) نيجيريا: اسمها يرتبط بنهر النيجر وقد أطلق المستعمرون الأوائل من البرتغال وغيرهم على هذا النهر ومجموعة الأنهار المتصلة به اسم (أنهار الزيت) أن هذه المنطقة اشتهرت بإنتاج أحسن أنواع زيت النخيل، أنظر: شوقي عطا الله وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط2، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2002، ص304.

(2) الهادي قطش: أطلس الجزائر والعالم، دار الهدي للنشر والتوزيع عين مليلة، الجزائر، 2003، 116 .

(3) إسماعيل أحمد ياغي: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1993، ص242.

(4) هيفاء أحمد محمد: ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في نيجيريا: دراسة في حركة دلتا نهر النيجر، " مجلة دراسات دولية،

العدد 46، (د.ت.)، ص. 96

(5) البرنو: هي إحدى الدول التي أنشأت حول بحيرة تشاد في السودان الأوسط، يبدأ عصر البرنو من أواخر القرن 8 هـ/14م، وقد كان الفضل في قيام هذه الدولة للعناصر المشكلة لها من الصو والزغاوة والكانمبو والكانوري والبولالا، أنظر: إبراهيم علي

طرخان: إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1975، ص18.

(6) صنغاي: قامت بعد دولة مالي وعمرت لأكثر من ستة قرون عدد حكامها نحو 50 سلطانا، عاصمتها جاو، ولها دور بارز في نشر الإسلام في السودان الغربي، ويعتبر لقب الأسكيا (الأسقيا) من أعلى المراتب فيها ومن أشهر حكامها الأسكيا الحاج محمد أبو بكر التوري من السوننك إحدى فروع الماندنجو، الذي تولى الحكم بعد سني علي، حيث توارث أبناؤه الحكم فترة طويلة إلى أن سقطت على يد المنصور الذهبي عام 1591م، أنظر: عبد الرحمان السعدي: تاريخ السودان، تحقيق حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2012، ص274.

مراكز التأثير السياسي والحضاري في افريقيا جنوب الصحراء لفترة زمنية طويلة، قبيل ظهور امارة دان فودي بالهوسا.

أما شمالا فإن أغاديس⁽¹⁾ كانت بمثابة حلقة الوصل تجاريا مع الشمال بكل دولة، وفي المقابل فإن الغرب يعبر عنه بمناطق السافانا وصولا إلى المحيط الأطلسي، كان مصدرا مهما وأرضا للذهب والدقيق ككل السودان الغربي⁽²⁾، لهذا كان دائما مقصدا وهدفا لبعض حكام إمارات الهوسا⁽³⁾ المتعاقبين على إماراتهم بالرغم من أنهم لم يتمكنوا من السيطرة عليها.

ومما يجدر ذكره أن قبائل الهوسا تتركز في شمال نيجيريا مكونة سبع إمارات هي: كانو، داورا، كاتسينا، زاريا، رانو، جوبير، بيرام، دارا، هذا عدا بعض الإمارات الفرعية⁽⁴⁾، وكل إمارة يحيط بها سور كبير يحيط به خندق متسع تجري به المياه وهذا للدفاع عن الإمارات وقت الخطر.⁽⁵⁾

(1) أغاديس: تقع في الشمال الشرقي من النيجر، وتعتبر من أهم المراكز في غرب إفريقيا تأسست في القرن 5 هـ / 11م على يد قبائل الغواير، حيث كانت تزود التجار بالماء والمؤونة، مما جعل كثيرا من التجار يقدمون إليها لتصبح محطة تجارية وسيطة بين الجنوب والشمال الإفريقي، كما أنها المعبر المهم للحجاج الذين يعبرون ليبيا ومن ثم مصر وصولا إلى الحجاز. أنظر: شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري: مسالك الأنصار في ممالك الأمصار، تحقيق حمزة أحمد عباس، أبوظبي، الإمارات، 2002، ج4، ص ص 133 - 134.

(2) خالد علي عبد القادر: انتشار الإسلام في إمارات الهوسا بالنيجر ونيجيريا وأثره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، دار المفكر العربي، القاهرة، مصر، 2014، ص36.

(3) وقد ذكر الأستاذ حماه الله ولد السام في تحقيقه المخطوط "إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور" لمحمد ابن خودي، أهم إمارات الهوسا في قوله: ".. ويلى هذا البلد من جهة اليمين، وغربي برنو بلد حوس، وهو سبعة أقاليم لسانهم واحد، وعلى كل إقليم أمير نظير للآخر قبل هذا الجهاز، وأوسطها كاشنة، وأوسعها زرك، وأجدها غوبر، وأبركها كفو..وهي بلاد ذات أنهار وأشجار ورمال وجبال وأودية، يعمرها السودانيون من ممالك البربر من أهل برنو، والفولانيون والتواركيون..." أنظر: حماه الله ولد السالم: صحراء الملثمين وبلاد السودان في نصوص الجغرافيين والمؤرخين العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2012، ص485.

(4) محمود شاكر: نيجيريا، ط2، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1971، ص56.

(5) محمد جلال عباس: المد الإسلامي في إفريقيا، دار المختار الإسلامي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1978، ص54.

والملاحظ أن التجارة كان لها دور في المحافظة على متانة الصّلات بين هذه الإمارات فيما بينها، وفيما بينها وبين الممالك المجاورة، ولعلّ هذا ما سيسمح بازدهار الحركة التجارية والثقافية بينها وهيئاً لوحدة سياسية متلاحمة ستتشكّل مع مطلع القرن 19م.

و يبدو أن تلك الإمارات تتحالف فيما بينها وقت الخطر وتتعاون أثناء السلم، وتسود أنظمتهم الاجتماعية والاقتصادية جميع نيجيريا، وهم مزارعون مهرة وتجار مغامرون⁽¹⁾، ويتميزون بتحملهم التعب والمشقة وصبرهم على الشدائد.

اختلفت الآراء والنظريات حول أصل الهوسا كأرض وشعب، مما جعل الوقوف على حقيقة الأمر من القضايا الصعبة، فهي تحتاج لمصادر ووثائق ربما ما زال البحث عنها مستمرا، فمن أهم الآراء حول أصول الهوسا، ما ذكره الباحث بالمر Palmer. H.R في كتابه Sudanese Memoirs، حيث يرى بأن أصل الهوسا اعتمادا على قصة بياجيدا Bayajidaia الذي قدم من العراق إلى برنو واضطر تحت دافع الهرب من سلطان برنو من دخول أرض الهوسا، فقد استطاع بفضل ما قام به من أعمال أن يتزوج من إحدى بنات أميرة دورا Daura حاکمة إمارات الهوسا⁽²⁾، وبذلك تمكن من الحكم وعند وفاته ترك أبناءه من بعده، مما جعلهم يسيطرون على بقية الإمارات ويكوّنون إمارات الهوسا السبع الأصلية⁽³⁾.

ولعلّ هذه القصة التي وردت في مختلف الروايات المحلية الإفريقية، وطالما شكلت الحقيقة التي تناقلها الباحثين في مختلف تصانيفهم، اعتمادا على المواصفات الفيزيولوجية لقبائل الفولاني بالهوسا وكذا تشابه بعض العادات والتقاليد للعرب، ترك الكثير من الباحثين يذهبون في

(1) نورة بنت معجب الحامد: دعوة الشيخ عثمان بن فودي بنيجيريا عام 1202 هـ / 1788م وتأثيرها بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، مجلة الإمام، العدد: 7، 1439 هـ، ص 19.

(2) Robert (B) : Histoire de l'islam au Tchad, paris, S.L, 1970,P 120

(3) Palmer, H.R : Sudanese Memoirs, Frak cass and CO. LTD, London, 1967, Vol 3, P 95.

هذا الاعتقاد وهو بأن هذه القبائل الفولانية التي استقر بها الحال في بلاد الهوسا ، يعود أصلها الى العرب

استدل بهذه الرواية⁽¹⁾ الكثير من الباحثين، وبالنظر لمنطقية أحداثها فهي لا تدخل في إطار الأسطورة، لذلك يمكن أن تكون واقعية إذا اعتبرنا أن بياجيدا هو أب السلالة الحاكمة التي حكمت إمارات الهوسا السبع وليس هو أصل الهوسا.

اعتبر بعض الباحثين أن شعوب الهوسا في الأصل من الشعوب الإفريقية التي كانت تسكن الصحراء ثم سيطرو على منطقة الأير AYER.⁽²⁾ وكوار KOAR⁽³⁾، فهم خليط من السكان الأصليين والوافدين⁽⁴⁾ حيث استقروا في أراضي الهوسا المذكورة، مشكّلين بذلك امتزاجا مع

(1) قصة بياجيدا: بياجيدا بن عبد الله من أمراء بغداد خرج منها بعد نشوب خلاف ومعه قوة كبيرة من الفرسان حيث نزل ضيفا عند سلطان برنو، ولكن بمرور الوقت وبسبب وشاية تم نقلها للسلطان حول تفكير بياجيدا في السيطرة على الحكم، جلس السلطان مع أعوانه للمشاركة فتم الاتفاق على تزويجه إحدى بنات السلطان وأن يستخدم سلطان برنو الحيلة لتفريق بياجيدا عن قوته العسكرية، حيث طلب السلطان منحه مجموعة من أصحابه ما بين 40 و 50 فارسا يخرجون مع السلطان للجهاد في أرض الكفار ويتخلص منهم السلطان وعندما نقص عدد الفرسان وقّلت قوة بياجيدا ساحت الفرصة للسلطان لقتل بياجيدا ولكن زوجته هذه المرة أنقذته فقد أبلغته بخطة السلطان ، مما جعله يخرج برفقة زوجته وأخويه، فقد ذهب أحد الأخوين إلى الكانم والثاني إلى باغرام، أما بياجيدا فإنه دخل إقليم الهوسا، وذهب إلى دورا التي كانت تحكمها أميرة تتوارث الحكم عن أمهاتها، وعندما دخل بيت العجوز وطلب الماء، أجابته بقلته، والسبب يعود لوجود حية سركي في بئر الماء والناس لا يحصلون عليه إلا واحد في الأسبوع، فقرر بياجيدا قتل الحية، خصوصا وأنه يمتلك سيفا حديديا قويا، ونجح في ذلك وعلمت الأميرة فكان جزاؤه الزواج من ابنتها حيث سكن معها في الدار وصار سركي أو ساركن Sarkin هو إسم ثعبان البئر أي الحاكم أو الرئيس لقد أنجب بياجيدا باؤ الذي بدوره أنجب سلالة الحكام في إمارات الهوسا السبع، أنظر: خالد علي عبد القادر: المرجع السابق، ص 39-40.

(2) الأير: إقليم جبلي يقع في الصحراء الكبرى وتوجد به مصادر لمياه فهو يزود القوافل بالمياه، مما جعله مقصد أغلب القوافل التجارية، أنظر: إيفر: دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، 1933، المجلد5، ص 287 ، 291.

(3) كوار: إقليم يقع جنوب فزان في الجنوب الليبي، بينه وبين فزان مسيرة خمس عشرة ليلة كما قدرها البكري من خلال مسيرة الجيش ، أنظر: أبو عيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص 13.

(4) خالد علي عبد القادر: المرجع السابق، ص41.

السكان الأصليين، ورأي آخر يعتقد أن الهوسا⁽¹⁾ كانوا يسكنون الجزء الغربي لحوض بحيرة تشاد ثم دفعتهم الأحوال والجفاف وقلة الموارد للهجرة إلى أراضي الهوسا، ويوجد رأي آخر يعتقد أنهم من السكان المحليين وأصلهم من نفس نسيج المنطقة، فهم وعلى حسب الرواية الشفوية خرجوا من ثقب الأرض، وبسبب موقعهم الجغرافي الرابط بين الشرق والغرب، ومن خلال التجارة، جاءت إلى أراضيهم هجرات متعددة مما جعلهم أرض مقام ومستقر لكثير من الشعوب، فحصل بذلك الاختلاط، ولعل أصحاب هذا الرأي يدللون على ذلك بهجرة الونقارة⁽²⁾ المبكرة للإقليم وهجرة الفولاني - التي سيأتي تفصيلها - من الغرب كهجرات واضحة وكبيرة.

وهذا أكثر الآراء إقناعا في كونهم كانوا يعيشون في ذلك الإقليم، وخرجهم من ثقب الأرض يعني أصلاتهم وقدم مجتمعاتهم⁽³⁾، ولكن تدفق الوافدين عبر الهجرات الكثيرة أدى إلى انصهارهم خصوصا وأن شعب الهوسا يصنّف من الشعوب الاجتماعية التي تتقبل الآخرين.

قدمت مجموعات بشرية هائلة إلى بلاد الهوسا عموما ونيجيريا خصوصا في أزمنة مختلفة ولأغراض شتى، فالمناطق التي توافدت منها الأغلبية العظمى من هؤلاء النازحين هي الساحل شمالا، بورنو شرقا، ومناطق إمبراطورتي مالي وصنغاي غربا، وكانت فئات النازحين تشمل رعاة وصائدي السمك ومزارعين وتجار وباعة صغار ورجال دين⁽⁴⁾.

(1) خالد علي عبد القادر: المرجع السابق، ص 41.

(2) الونقارة: وتعرف ببلاد القبر وهي جزيرة خاضعة لدولة غانة، فكان عندما يفيض النهر وعندما ينحصر يجمع الناس ما تركه من تير على الأرض ثم يباع في الأسواق وللتجار وخصوصا تجار المغرب، مما جعل سكانها من الأغنياء، كما تؤكد الدراسات أن الونقارة هم من أدخلوا الإسلام إلى بلاد الهوسا في القرن الرابع عشر الميلادي، فكانوا يتنقلون ويحملون تجارتهم على دوابهم، فهم أسياذ الذهب، فقد استفادت منهم غانة ومالي كثيرا بحكم تجارتهم بالذهب، أنظر: إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1973، ص 27.

(3) خالد علي عبد القادر: المرجع السابق، ص 43.

(4) مهدي آدمو: المرجع السابق، ص 290.

وكان المهاجرون الرعاة من الفولاني⁽¹⁾ في المقام الأول، ومن ثم فإنه يجمع المؤرخين وأهل العلم أن أصل الفولاني عربي، فيذكر الشيخ باي بلعالم: ". قلت من خلال هذه الأدلة المتقدمة أنها قبيلة عربية وعلمية ولقد كنت أسمع من أوائلنا أن قبيلة فلان من حمير"⁽²⁾، ويرى الأستاذ علي بن أيوب ناجي وغيره من الباحثين في هذا الشأن، أن الفولاني يرجع أصلهم إلى عقبة بن نافع الفهري⁽³⁾، الذي تزوج بـ (بجو منقو BEDJO MENGU) ابنة ملك غانا (برمندانا BERMANDANA) الذي أسلم، كما تزوج المهاجرون الذين رافقوا جيش عقبة من القبائل الإفريقية وزوجوا بناتهم وأخواتهم إلى قبائل البربر⁽⁴⁾ فأنجبوا العديد من الأبناء والأحفاد وكونوا بذلك الكثير من الفروع والقبائل التي انضمت للفلاتة انضمام التزاوج.

كوّن الفولانيون علاقات مهمة مع كل القبائل المنتشرة في بلاد السودان التي تبدأ من المغرب وتنتهي بالبحر الأحمر⁽⁵⁾، ونلاحظ أن قبائل الفلاتة قد تركزت بكثافة في إقليم السودان الأوسط والغربي، وهذا ما أسهم في التفاعل الحضاري والسياسي في المنطقة مما نجم عنه ظهور العديد من الإمارات في بلاد الهوسا⁽⁶⁾، المنحصرة بين البرنو⁽⁷⁾ شرقا وصنغاي⁽¹⁾ غربا

(1) الفولاني: وتكتب الفولا والفلاتة وبولو وفولا وفيلا وفلايت وفولبي ..، أنظر: علي بن أيوب ناجي: لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1996، ص9.

(2) محمد باي بلعالم: قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص12.

(3) علي بن أيوب ناجي: المرجع السابق، ص12.

(4) البربر: هم الجماعات التي هاجرت من شمال إفريقيا مثل: زناتة ورفجانة ونفوسة ولواتة ونفزاوة بالإضافة إلى صنهاجة الملثمين ومسوفة في وقت مبكر وعبر فترات زمنية مختلفة حيث استقروا في المدن المتاخمة للصحراء مثل أودغست وتوات وولاتة ثم دخلوا الإقليم/ أنظر: محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الإفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، 1965، ص58.

(5) الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي: الفلاتة في إفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنمية في السودان، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1994، ص22.

(6) مهدي آدامو: المرجع السابق، ص273

(7) إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1975، ص18.

والصحراء شمالا وغابات السفانا جنوبا، وهي المنطقة التي نجد أن الفولاني قد أقاموا دولتهم على أنقاضها في فترة لاحقة، حيث اعتبروهم وثنيين مما استوجب خوض حرب جهادية ضدهم قادها الشيخ عثمان بن فودي مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي⁽²⁾.

وصفهم ابن بطوطة والكثير من الرحالة بأنهم قوم شبه بيض سنحتهم عربية، ويعتمدون دائما على أنفسهم يعملون غالبا بالرعي وعلى الخصوص رعي الأبقار⁽³⁾، والجهاد تراث من تراثهم الذي يعتزون به، وأنهم قوم كثيرو الميل لبعضهم البعض عند المحن والشدة والحروب.

نشطت الفلاتة ونشطت حركتهم الإسلامية، فهاجروا هجرات فردية وجماعية عديدة أشهرها هجرة الشيخ موسى جوكلو - الجد العاشر للشيخ عثمان بن فودي⁽⁴⁾ - الذي استقر بين قبائل الهوسا وذلك في القرن العاشر الميلادي⁽⁵⁾.

ورد ذكر مجيء الفولاني في حوليات كانو بما نصه: " في عهد يعقوب (1452 - 1463)، قدم الفولاني إلى بلاد الهوسا، من "مَلِّي MELLI"، وجاؤوا معهم بكتب التوحيد والاشتقاق، ولم يكن لقائنا من قبل، باستثناء القرآن، إلا كتب الشريعة والسنة، وقطع الفولاني البلاد وذهبوا إلى بورنو، مخلفين بعض الرجال في بلاد الهوسا، وبعض الرقيق وأناس أعيانهم السفر"⁽⁶⁾.

(1) عبد الرحمان السعدي: المصدر السابق، ص 274.

(2) عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص 212.

(3) علي بن أيوب ناجي: المرجع السابق، ص 15.

(4) ينتمي الشيخ عثمان بن فودي إلى قبيلة التورودي أهم وأكبر قبائل الفلان التي تتمركز وسط وغرب إفريقيا، أنظر: محمد سعيد القشاط: أعلام من الصحراء، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1997، ص 115.

(5) الطيب عبد الرحيم الفلاتي: المرجع السابق، ص 28.

(6) Palmer, H.R : OP.Cit., Vol 3, P 111.

ومع كون بعض هؤلاء الفولاني من رجال الدين المسلمين، كما يدل على ذلك هذا الاستشهاد، فإن غالبيتهم العظمى كانوا من الرعاة الرحل المتعلقين بمعتقداتهم التقليدية⁽¹⁾، وقد جاؤوا بحثاً عن مزارع جديدة لأنعامهم من البقر والأغنام والماعز.

ولعلّ صفاء ذهنياتهم ورفي أخلاقهم ترك الفولاني، يتبنون عملية نشر الاسلام مع مطلع القرن الثامن عشر الميلادي في المناطق التي كانوا يرتحلون اليها، اضافة الى شجاعتهم وثباتهم الأمر الذي أهلهم الى تحمّل عبئ نشر الدعوة الاسلامية في ربوع بلاد الهوسا.

وصفهم عبد الرحمان السعدي حيث قال: " .. خصهم الله تعالى بمحاسن الأخلاق ومكارم الأفعال ومحامد السير، وهم في تلك الناحية الآن بقوة عظيمة وممتنة جسيمة، أما النجدة والشجاعة فليس لهم نظير فيها، وأما العهد والوفاء فمنهم ابتدأت وإليهم انتهت في تلك الناحية"⁽²⁾

من خلال هذا النص تتأكد أصالة وعراقة قبائل الفولاني⁽³⁾، وبذلك أصبحوا أكبر تجمع في غرب إفريقيا، وقد عُرفوا طوال التاريخ بأنهم الشعب الدعاة إلى الإسلام فقد حملوا الإسلام من موطنهم في مرتفعات فوتاجالون FOUTADJALON وفوتاتورو FOUTATORO على سواحل المحيط الأطلسي واتجهوا شرقاً حتى بحيرة تشاد، وهم منتشرون في 18 بلداً في إفريقيا الغربية الوسطى⁽⁴⁾، في تجمعاتهم الكبيرة من نيجيريا والسنغال وغينيا ومالي والنيجر والسودان، ولديهم وراثتة للتقاليد الإسلامية التي انتقلت من أجدادهم الذين قاموا بنشر الإسلام في تلك المنطقة

(1) مهدي آدامو: المرجع السابق، ص290.

(2) عبد الرحمان السعدي: المصدر السابق، ص78.

(3) الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية

القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 1999، ص249.

(4) محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ص135.

مثل: عثمان دان (ابن) فوديو - الذي سناتي على تفصيله في فصول هذه الدراسة - الذي أسس إمارة إسلامية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي بعد جهد طويل

2- انتشار الإسلام في بلاد الهوسا:

تمكّن المسلمون من فتح مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت 23 هـ / 643 م) على يد الصحابي القائد عمر بن العاص (ت 43 هـ / 664 م)⁽¹⁾، وبذلك يفتح الطريق نحو إفريقيا لنشر الإسلام، فقد تولي عقبة بن نافع ولاية إفريقية (تونس) ومن ثم بدأ التوسع نحو الغرب، فبنى مدينة القيروان سنة 50 هـ لتكون قاعدة للجند، وانطلقت بعدها الفتوحات الإسلامية في القارة الإفريقية⁽²⁾.

ذكر الباحث بوفيل Bovill في كتابه تاريخ غرب إفريقيا: " قبل قدوم العرب إلى شمال وغرب إفريقيا لم يكن يُعرف الكثير عن إفريقيا جنوبي بلاد المغرب، فنحن ندين بمعلوماتنا عن التاريخ المبكر لهذه الجهات إلى فئة قليلة من المؤلفين والرحالة العرب من أمثال، المسعودي، ابن حوقل، البكري، الإدريسي، ياقوت الحموي، اليعقوبي، ابن بطوطة، ابن خلدون"⁽³⁾، ويؤكد هذا الاعتراف الدور الذي لعبه العرب كمرشدين ورواد للحملات الكشفية الأوربية⁽⁴⁾، ويوضح أيضاً جهود العرب في سبر غور القارة السمراء.

(1) أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري: فتوح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1978، ص 214.

(2) أبو جعفر محمد الطبري: تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1979، ج 6، ص 130.

(3) Bovill, E.W : The Golden Trade of the moors (N.Y.1958),P 60

(4) شوقي الحمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط 2، الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2002، ص 18.

لم تكن الصحراء الكبرى حاجزا بين إفريقيا العربية وإفريقيا السودان الغربية، يقف دون نشاط العرب والأمازيغ في نشر الإسلام من خلال رحلاتهم التجارية⁽¹⁾.

لقد جاء الإسلام إلى إفريقيا يحمله العرب الذين عرفوا في الجاهلية أنماطا مختلفة من الحياة الثقافية التي انبثقت من الصحراء والمدن، وقد انتشرت الدعوة الإسلامية باللغة العربية التي أنزل الله بها كتابه قال تعالى: " إنا أنزلناه كتابا عربيا لعلمكم تعقلون"⁽²⁾، وطالما شكّلت اللغة العربية لغة الحضارة عند قبائل الفولاني وفي عموم غرب إفريقيا، فقد كانت لغة التواصل العلمي والمراسلات بين العلماء، إضافة إلى لغة العلوم والقرآن وهذا كله جعلها تحتل مكانة مرموقة عند الأفارقة، فضلا عن اعتبارات الاعتزاز بهذه اللغة، فقد تولّد إحساس بأنها أوجدت ثقافة عربية موحدة⁽³⁾.

في البداية كان انتشار الإسلام في إفريقيا السوداء سطحي ونادرا ما توغل⁽⁴⁾، وكلما اتجهنا إلى الجنوب أصبح نادرا ما نسمع به، وذلك لأنه لم يكن الدين السائد في المنطقة.

لقد كانت التجارة⁽⁵⁾، وطرق القوافل التجارية متنفسا لغرب إفريقيا للانفتاح على العالم الخارجي الذي انطلقا في ذلك الوقت من المراكز التجارية في وسط وغرب إفريقيا إلى المراكز

(1) نعيم قذاح: حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ت)، ص85.

(2) سورة يوسف: الآية (1 - 2)

(3) بغية الوقوف على فكرة واضحة عن آثار هذا التعظيم للغة العربية، ينبغي التذكير بالجهد الهائل الذي بذل خلال القرن 3 هـ / 9 م لترجمة أهم ما أنتجته الثقافات السابقة على ظهر الإسلام إلى هذه اللغة، وفي هذا جوانب للشبه مع ما قامت به شعوب مسيحية ناطقة باللاتينية قبل ذلك بثلاثة أو أربعة قرون، أنظر: زكري دراماني - إيسيفو: الإسلام كنظام إجتماعي في إفريقيا منذ القرن السابع الميلادي، تاريخ إفريقيا العام، اليونيسكو، باريس، فرنسا، 1997، ج3، ص115.

(4) Morice Delafosse : les Noirs de l'afrique, Payet et cie, paris, 1992, P 12.

(5) العلاقات التجارية بين السودان الغربي وشمال إفريقيا ترجع إلى ما قبل الفتح الإسلامي للمغرب إلى أيام قرطاجة، فقد كان القرطاجيون على علاقة وثيقة بإفريقيا السوداء عن طريق الصحراء الكبرى. أنظر: نبيلة حسن محمد: في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د - ت)، ص265.

التجارية الواقعة في شمال إفريقيا⁽¹⁾، ومن ثم فالتجارة حملت الإسلام إلى مناطق السودان الأوسط والغربي وبلاد الهوسا، فالتجار المسلمون كانوا قد تمكنوا من إنشاء قرى ومراكز تجارية في مناطق واسعة في المنطقة الممتدة من غامبيا إلى ليبيريا إلى ضفاف الفولقا FOULGA، وذلك في القرنين الخامس والسادس عشر الميلاديين، ومن ثم اختلطوا عن طريق المصاهرة بتلك القبائل⁽²⁾.

وما يجب أن ننوه به في هذا المقام هو توافق تعالم الدين الإسلامي مع طبيعة الفارقة وعدم تعقدها وبساطتها وسماحتها على عكس المسيحية التي لم يستوعبوها.

كانت التجارة تتم عن طريق القوافل، ويقدم ابن خلدون في تاريخه أن القوافل التي كانت تمر على أيامه (أواخر القرن الرابع عشر) بالهقار كان عدد جمالها يبلغ اثني عشر ألف جمل في أحيان كثيرة⁽³⁾، وهذا يعطينا صورة عن كثرة البضائع التي كانت تنقلها هذه القوافل، وعن مقدار الربح الذي كان يحصل عليه التجار من أسفارهم إلى السودان الغربي⁽⁴⁾، كما يقرب من أذهاننا الصورة الحقيقية لكثرة التجار العاملين بين السودان الغربي وشمال إفريقيا.

تنوعت البضائع التجارية التي تأتي وتذهب من السودان الغربي عموماً وبلاد الهوسا خصوصاً⁽⁵⁾، حيث نجد أنه من أهم البضائع التي ترد إلى المنطقة هي: أواني النحاس التي

(1) حورية مجاهد: تاريخ إنتشار الإسلام (الأبعاد والوسائل)، مجلة قراءات إفريقية، العدد 06، الرياض، السعودية، 2010، ص. 16 - 17.

(2) مهدي ساتي صالح: الجذور التاريخية لحضارات الهوسا وانعكاس ذلك على حركة الشيخ عثمان دان فوديو، الندوة العالمية حول الشيخ عثمان بن فودي، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، السودان، من 19 - 22 نوفمبر 1995، ص 5.

(3) عبد الرحمن بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000، ج 6، ص405.

(4) عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص28.

(5) الملحق رقم (1) ، ص272.

عادة ما تستعمل للزينة⁽¹⁾، والمصنوعات الحديدية⁽²⁾ التي تستعمل للحرث والحصار كالمناجل والسك والودع⁽³⁾ والعطور والتمور والمنسوجات القطنية، أما تجار السودان الغربي فكانوا يبيعون الرقيق⁽⁴⁾ وريش النعام وبيضه والتوابل.

كان إذا ما دخل التاجر المسلم إلى قرية وثنية سرعان ما يلفت النظر بوضوئه وانقطاع أوقات صلاته، وما يتحلى به من سمو عقلي وخلقى، وبذلك فرض احترامه وثقته على الأهالي الوثنيين، كما وثق بهم رجال الطبقة الأرستقراطية واستقبلوهم في بلاطهم⁽⁵⁾، حيث لمسوا فيهم سمو أخلاقهم وخبرتهم السياسية، وعند استقرار التجار المسلمين في إحدى المدن ينشئون كتاتيب أو مدارس التعليم الإسلام.

حيث يعترف الباحث كرودر Crowder بمرارة أن الإسلام يناسب المجتمع الإفريقي أكثر من المسيحية⁽⁶⁾، (فأركان الإسلام واضحة سهلة وهو دين يسر لا عسر، فهو لا يطلب من الوثني سوى أن ينطق بالشهادتين " أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله"، بعدها يصبح عضوا له كامل الحقوق والواجبات في المجتمع الإسلامي، بينما نجد المسيحية تشترط عملية

(1) حسن الوزان: وصف إفريقيا، ط2، ترجمة محمد صجي، محمد الخضر، منشورات الجمعية المغربية، المغرب، 1983، ص148.

(2) عرف الحديد في السودان الغربي منذ وقت مبكر (أيام غانا)، وتوافر وجوده بالبلاد، وقليل ما كان يستعمل للزينة، أنظر: Asson et clerici : Histoire des peuples noires, Abidjan. 1959, P . 34

(3) الودع: عبارة عن صدف أو قواقع بحرية صغيرة تستخرج من البحر، وكان للودع في السودان إعتبار كبير، ويتخذ في الأسواق كنفود، حيث يغوص بها الذهب في البيع والشراء وتقيّم بالذهب أيضا، كما أنها تتخذ كحلي شائعة الاستعمال بين جميع طبقات المجتمع، أنظر: عبد القادر زبانية: المرجع السابق، ص34.

(4) هويكنر، أ.ج: التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، ترجمة أحمد فؤاد بليغ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 1998، ص162.

(5) رجب محمد عبد الحليم: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، سفير للطبع والنشر، القاهرة، مصر، 1996، ج9، ص10.

(6) M. Crowder : West africa under colonial Rule, Hutchinson of london, 1968, P 356 .

طويلة تبا بالتمهيد والتكفير المطلق السابق حياته ومعتقداته ثم تبدأ في تشكيله من جديد، وتفرض عليه قراءة التوراة والأنجيل، وفهم الفلسفات الكنيسية المعقدة للمذاهب والمجامع الكهنوتية المتصارعة، وهو أمر مرهق للعقلية الأفريقية التي لا تعرف التعقيد).

ومن أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام في بلاد الهوسا هو تأثير الحكام الأفارقة بتعاليم الدين الإسلامي، وقد كان للفقهاء الفضل الأكبر في ذلك⁽¹⁾، ومن ثم توغل الإسلام بين الشعوب والقبائل الزنجية⁽²⁾، وسلك عدة مسالك أهمها: طريق شمال إفريقيا (مصر، برقة، طرابلس، تونس، الجزائر، المغرب، وصولا إلى بلاد السنغال)، طريق بمحاذاة المحيط الأطلسي حتى حوضي النيجر وغربي إفريقيا، طريق القوافل يمتد من شمال إفريقيا متجه نحو الجنوب إلى غرب إفريقيا⁽³⁾.

كان للطرق الصوفية⁽⁴⁾ دورا محوريا في نشر الإسلام ببلاد الهوسا وذلك لارتباطها بالدعوة والجهاد، حيث استطاع رجال الطرق الصوفية أن ينشروا تعاليم الدين، وأن يرفعوا رايات الإسلام والرسالة المحمدية في قلب الغابات الاستوائية⁽⁵⁾.

(1) Temes Curry : The history of islam in africa, ohion university Press, David Philip, london, 1999, P 317.

(2) يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية (ق 16 م / 20 م)، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001، ص ص 11-12.

(3) حورية توفيق مجاهد: الإسلام في إفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2002، ص ص 23-24.

(4) الطرق الصوفية: الطريق لغة: معناه السبيل، أما اصطلاحا فهو المنهج الأخلاقي الذي يحدد عمليا ضروب السلوك الفردي، ثم أصبحت عبارة عن جملة مراسيم للتدبير الروحي المعمولة به من أجل المعاشرة في الجماعات الإخوانية، وبذلك تتمايز بينها بحسب غاياتها ومقاصدها، وقد تكون هناك الطريقة الواحدة وإنما تختلف باختلاف الأمصار والعصور. أنظر: عبد المنعم الحفتي: الموسوعة الصوفية، مكتبة دبولي، القاهرة، مصر، 2003، ص 780.

(5) صالح بوسليم وميلود ميسوم: "الحركة السنوسية وامتدادها عبر الصحراء الكبرى"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد: 15، غرداية، الجزائر، 2011، ص 16.

بفضل اتصال القبائل الهوسوية كالفولاني والتوكولير و الأولوف بالطريقتين القادرية والتيجانية⁽¹⁾ انتشر الإسلام في المنطقة وزاد عدد أتباعه.

وقد قامت في السودان الغربي وبلاد الهوسا عدة ممالك اعتنقت الإسلام، كانت نتاج للحد الإسلامي وإسهامات مسلمي المنطقة في تكوين هذه الممالك، ونذكر على سبيل المثال: مملكة مالي⁽²⁾، التي تعدّ إحدى أكبر الممالك في غرب إفريقيا والتي تميزت بتطور نظمها الحضارية وعلاقتها بمختلف امارات غرب إفريقيا، كما كانت تربطها علاقات خاصة بشمال إفريقيا بحكم القرب الجغرافي والعلاقات الثقافية والتاريخية بين الشمال والجنوب، والذي تطور مع مطلع القرن الرابع عشر الميلادي بظهور الدعاة والعلماء وكذا التجار الذين كان لهم دورا في نشر الاسلام والثقافة واللغة العربية في مملكة مالي، اضافة الى ممالك اخرى مشهورة مثل: غانة⁽³⁾، صنغاي⁽⁴⁾، وهذه الممالك كانت إمبراطوريات كبيرة بدأت من القرن الثالث والرابع الميلادي وبلغت أوج قوتها بعدما اعتنقت الإسلام واستمرت حتى القرن 19م⁽⁵⁾.

(1) هوبرد ديشان: الديانات في إفريقيا السوداء، ترجمة أحمد صادق حمدي، مراجعة وتقديم محمد عبد الله دراز ومصطفى لبيب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2011، ص125.

(2) مالي: إحدى أهم الممالك الإسلامية قامت في القرن 13 م، وهي تشمل عدة دول أهمها: مالي والسنغال ومن أبرز حكامها: نسي موسى، أنظر: أبو عبيد البكري: المرجع السابق، ج2، ص 880.

(3) غانة: تعتبر أقدم الممالك السودانية، تأسست ما بين القرنين الثاني والرابع الميلادي، تمتد ما بين نهر النيجر والسنغال، أنظر: أبي العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشا في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، 1915، ج5، ص 293.

(4) أنظر تهميش ص15.

(5) عابدة موسى: تجارة العبيد في إفريقيا، اصدار وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص106.

ارتبط دخول الإسلام إلى مملكة غانا بغزو المرابطين⁽¹⁾ عام 1054 م، الذين استولوا على مدينة أودغشت عام 1055 م، ويذكر توماس أورلند TOMAS ARLOND أن: " البربر أول من أدخل الإسلام إلى البلاد التي وصفها بالوثنية"⁽²⁾، كما يذكر في السياق نفسه أن المسلمين نجحوا في نشر الإسلام في غانا وأن هذه الأخيرة أصبحت مسلمة مع بداية القرن 13م⁽³⁾.

أما بالنسبة لمملكة مالي فقد دخلها الإسلام حوالي عام 688 هـ / 1240م، ومع بداية القرن الخامس عشر، أخذت مملكة مالي في الزوال وسقطت على يد ملوك صنغاي التي بدأت كدولة صغيرة على الضفة اليسرى لنهر النيجر⁽⁴⁾.

إن انتشار الإسلام في السودان الغربي عموماً وبلاد الهوسا خصوصاً، قد ساهم في إيصال الحضارة والثقافة العربية الإسلامية إلى إفريقيا جنوب الصحراء، وإلى الكثير من الأقاليم والممالك المترامية في المنطقة، ونجد أن الإسلام قد وجد طريقه حتى إلى جزر السيراليون وساحل العاج وساحل الذهب⁽⁵⁾، وغيرها من المناطق والأقاليم الإفريقية النائية.

وإذا كانت بعض الممالك الإسلامية قد تهاونوا وتقاوسوا أحياناً في عملية نشر الإسلام في القارة، إلا أن الدعاة والمعلمين لم يُقصرُوا في أداء رسالتهم، وقد حضي الكثير منهم بالتقدير

(1) المرابطين: أصل الكلمة هي رباط الخيل، والمرابطة تعني القيام في ثغر العدو لإعزاز دين الله والتصدي لأعداء الأمة والدين، أنظر: أسماء موسى زايد: الصلات التجارية بين بلاد المغرب الأقصى والسودان الغربي في عصر المرابطين، منشورات جامعة 7 أكتوبر، ليبيا، 2008، ص 47.

(2) توماس أورلوند: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة وتعليق: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1971، ص 354.

(3) T.W. Arold.M.A. Cie : The preaching of islam, second edition, London, 1913, P.317.

(4) عايدة موسى: المرجع السابق، ص 107.

(5) عبد الله سالم بازينة: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، منشورات جامعة 1 أكتوبر، ليبيا، 2010، ص 188.

والاحترام، خاصة أنهم امتزجوا بالإفريقيين عن طريق التزاوج والمصاهرات، قال تعالى⁽¹⁾: " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير".

ويرجع الفضل لهؤلاء الدعاة في إصلاح أحوال المسلمين عبر فترات وحقب زمنية مختلفة، منذ وصول هذا الدين على يد العلماء الوافدين سواء من المشرق أو المغرب، أو من أبناء المنطقة أنفسهم الذين فتح الله عليهم وأخذوا بعض العلوم والمعارف، ومن هؤلاء العلماء المصلحين نذكر على سبيل المثال: محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت 909 هـ / 1503م)⁽²⁾، الشيخ الأنصمي⁽³⁾، الشيخ محمد بن محمود كعثمو التمبكتي (1543 م / 1593م)⁽⁴⁾، بالإضافة إلى دور شيوخ الإباضية في الدعوة إلى الدين - رغم خارجية مذهبهم - كالشيخ علي بن يخلف⁽⁵⁾ وغيره من أعلام الإباضية.

وقد كان هؤلاء العلماء المصلحين وغيرهم يجوبون الفيافي ويتكبدون المشاق للدعوة لدين الله وترسيخا لقيم الإسلام، وبذلك انتشرت الثقافة واللغة العربية ولم تبقى حبيسة المساجد وحلقات التدريس، وأصبحت لغة التخاطب والتعامل اليومي، بل وتطورت لتصبح لغة الشعر في بلاد

⁽¹⁾سورة الحجرات: الآية 13

⁽²⁾ محمد بن عبد الكريم المغيلي: ينسب إلى مغلية بالجزائر، وهو من أبرز العلماء المصلحين في الجزائر وفي السودان الغربي خلال القرن 15 م، أنظر: عبد الحق حميش ومحفوظ بوكراع: موسوعة تراجم علماء الجزائر - علماء تلمسان وتوات - دار زمورة للنشر والتوزيع، البويرة، الجزائر، 2011، ص241.

⁽³⁾ الشيخ الأنصمي: ولد بتكدة وعاصر الشيخ المغيلي، اشتغل بالتدريس والتأليف، وصفه الحفناوي بأنه فقيه ذكي الفهم وحاد الذكاء. أنظر: أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ط2، مؤسسة الرسالة، تونس، 1985، ص ص 199-200.

⁽⁴⁾ الشيخ التمبكتي: صاحب كتاب تاريخ الفتاش، ولد بتمبكتو وسافر إلى الكثير من الأمصار طالبا للعلم، قال عنه تلميذه أحمد بابا: " لقد صار الشيخ زمانه في العلوم والفنون.."، أنظر: أحمد بابا التمبكتي: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989، ص ص 283،601.

⁽⁵⁾ نبيلة حسن محمد: المرجع السابق، ص ص 282-283.

الهوسا⁽¹⁾، كما أن للكتاتيب الإسلامية في مدن الشمال المنضوية تحت لواء الدولة الإسلامية بعلمها النقلية والعقلية المتواترة آنذاك دور كبير، حيث تخرج علماء أكفاء في تسيير شؤون البلاد الدينية منها والدينية⁽²⁾.

3- أسباب ظهور الحركات الإصلاحية في المنطقة:

لعل أهم ميزة تميّز بها القرن 13هـ / 19 م في إفريقيا جنوب الصحراء هي ظهور فكرة الجهاد، ونشر الدعوة وإصلاح العقيدة الإسلامية وتنقيتها من الشوائب والطقوس الوثنية والتطلع إلى إقامة دول وحكومات إسلامية تحكم المسلمين بموجب الشريعة الإسلامية والتمكين لدين الله⁽³⁾.

وبعدها لم تقتصر هذه الحركة على نشر الإسلام ومحاربة الوثنيين وإنما هدّفت روادها إلى التصدي للأطماع الأوروبية الاستعمارية⁽⁴⁾، ويمكن تلخيص أهم أسباب ظهور فكرة الإصلاح والجهاد عند الدعاة والمصلحين على غرار عثمان دان فوديو، حيث تتجلى في:

- اختلاط العقيدة الإسلامية بطقوس الوثنية، فانتشرت عبادة الموتى وتقديسهم، حتى لدى المسلمين في الكثير من المناطق في غرب إفريقيا⁽⁵⁾.

(1) مصطفى مجازي السيد: الكلمة العربية ودورها في شعر الهوسا، الموسوعة الإفريقية، جامعة القاهرة، مصر، 1997. المجلد الثالث، ص45.

(2) عبد الرزاق علي أبولاجي: مفاهيم يجب أن تصحح حول تعليم اللغة العربية في نيجيريا، مجلة قراءات إفريقية، العدد: 18، الرياض، السعودية، 2013، ص87.

(3) إلهام محمد علي ذهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850 - 1914م)، دار المريخ، الرياض، السعودية، 1988، ص35.

(4) أحمد بوعتروس: الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء 13 هـ / 19م، دار الديو للطباعة والنشر، الجزائر، 2009، ص ص 126-127.

(5) المرجع نفسه: ص 36.

- انتقال بعض طلبة العلم والزعماء من مناطق إفريقيا جنوب الصحراء صوب حواضر ومراكز الثقافة الإسلامية كالأزهر الشريف بمصر، ولما عادوا إلى أوطانهم عزموا بحماس شديد على نشر الدين الإسلامي وإصلاحه وتنقيته مما علق به من أدران⁽¹⁾.

- قيام الزعماء الأفارقة بأداء فريضة الحج، وقد مثّلت هذه الفريضة أهمية كبيرة لدى مسلمي غرب إفريقيا، حيث أدرك الفرنسيون خطورة ذلك عليهم، إذ يذكر الحاكم العام "بونتي PONTIER"⁽²⁾: " بأن هذه الفريضة تحدث تشويشاً في أذهان الأفارقة، وتبدل نفوسهم لالتقاءهم بإخوانهم المسلمين فتقوى فيهم روح التضامن الإسلامي والثورة ضد الفرنسيين⁽³⁾.

- تأثير الحركة الوهابية التي قادها محمد بن عبد الوهاب⁽⁴⁾، والتي دعت إلى إصلاح عقيدة المسلمين هناك على أساس الدين الصحيح م كل شوائب الشرك والبدع والخرافات، وكان لها دور كبير في غرب إفريقيا⁽⁵⁾.

- نشاط الطرق الصوفية وانتشارها على نطاق واسع في السودان الغربي، حيث كان مسرحاً للطريقة القادرية والتيجانية والسنوسية وغيرها، وقد لب أتباع ومريدو بعض الطرق الصوفية دوراً معتبراً في نشر الإسلام، كما وقفوا فيما بعد في وجه الغزو الأوروبي الصليبي للمنطقة⁽⁶⁾.

(1) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 127.

(2) بونتي Pontier : أحد حكام إفريقيا الغربية الفرنسية، أنظر: أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص128.

(3) إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص37.

(4) محمد بن عبد الوهاب التميمي: ولد في الحينية بنجد (1115هـ / 1703م)، وكان والده من كبار العلماء في نجد، درس

الفقه الحنبلي وتأثر بمؤلفات: ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، دعا أتباعه إلى الجهاد ومحاربة كل ما يتعارض مع العقيدة

الإسلامية. أنظر: أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، كلمات للترجمة والنشر، مصر، 2011، ص07.

(5) محمد بن عبد الله بن سليمان السلماني: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، منشورات جامعة أم

القرى، السعودية، 1982م، ص128.

(6) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص128.

رافعين راية الجهاد عازمين على استخدام القوة والسلاح لصد زحف الغزاة، مصداقاً لقوله تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم"⁽¹⁾.

ويلاحظ أن دعوة الجهاد لم تقتصر على منطقة معينة، بل امتدت في كل الغرب الإفريقي⁽²⁾، ونتج عن انتشارها حدوث ثورة جذرية مست عمق ومختلف جوانب الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية، وخاصة بعدما عرفوا فضل الجهاد في الإسلام، قال تعالى في محكم تنزيله⁽³⁾: " لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً".

لقد تفاعلت هذه الأسباب وانصهرت في بوتقة واحدة فاستغللتها الحركات الإصلاحية والدعوية العديدة وظفتها أحسن توظيف وانسأقت خلفها الجماهير الشعبية، تتطلع من خلالها لتحقيق ما كانت تطمح إليه من تغيير وتسعى إلى تحقيقه من أجل مستقبل أفضل⁽⁴⁾.

هكذا عرفت إفريقيا جنوب الصحراء عموماً وبلاد الهوسا خصوصاً، حركة واسعة ونهضة شاملة في إطار الإصلاح الديني والاجتماعي والثقافي⁽⁵⁾، أدت في نهاية المطاف إلى قيام دولة إسلامية ما زال التاريخ يشهد على عظمة شموخها وما بلغته من قوة وتنظيم وحضارة.

(1) سورة الأنفال: الآية 60.

(2) إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 37.

(3) سورة النساء: الآية 95.

(4) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 129.

(5) المرجع نفسه: ص 130.

الفصل الأول

حياة الشيخ عثمان دان فوديو

الفصل الأول: حياة الشيخ عثمان دان فوديو

لما كانت القارة الإفريقية مستهدفة من طرف القوى الأوربية الإمبريالية في معظم الحقب التاريخية وخاصة الحديثة والمعاصرة منها ، مع هشاشة الوضع الديني والسياسي والاجتماعي للأفارقة ، أدى ذلك إلى تذبذب الأوضاع في إفريقيا عموما وبلاد الهوسا خصوصا، رغم ذلك فإنّ مجهودات رجال الدعوة والإصلاح كانت واضحة خاصة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، حيث قاموا بنشر الدعوة الإسلامية الصحيحة في بيئات تفشى فيها الجهل وطغى عليها الجمود الفكري، وانتشرت فيها البدع والخرافات، وقد بذلوا في سبيل الإصلاح كلّ غالٍ ونفيس، كما كانت سنة الدعوة إلى الله من المخلصين الرّبانين في تاريخ الإسلام ، فكانوا ينتقدون المجتمع في الصّميم ، ولذلك كان وقع كلامهم في النفوس عظيما وعميقا ⁽¹⁾ ، وكان على رأس هؤلاء الدعاة الشيخ عثمان ابن فودي، الذي استطاع بحركته الإصلاحية أن يؤسس إمارة قوية عمّرت لأكثر من قرن من الزمن .

لذا سنتناول في هذا الفصل المحطّات البارزة في حياة الشيخ عثمان دان فوديو منذ مولده ونشأته مرورا بطلبه للعلم وصولا إلى شيوخه ومعاصريه .

(1) أبي الحسن علي الحسني الندوي : محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، جمع وتحقيق السيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2001 ج1، ص413 .

1- مولده و نشأته:

1.1 مولده ونسبه :

ولد الشيخ عثمان بن فودي بن محمد بن صالح في أرض غوبير GHOUBAIR في مكان يسمّى مراتا Marata التابعة إلى أرض غالمي Galmi ، شمال نيجيريا حاليًا ، وذلك يوم الأحد 15 ديسمبر 1754 م .⁽¹⁾

كان يكتّى بأبي محمد ومن بين ألقاب التّشريف التي لُقّب بها نذكر: دان فودي ، أي : ابن الفقيه،⁽²⁾ ونور الزّمان و مجدّد الإسلام .⁽³⁾

تتحدّر عائلة الشيخ عثمان من قبائل الفولاني الذين هاجروا إل نيجيريا قادمين من منطقة أعالي نهر السنغال من بلاد فوتاتورو Futatoro .⁽⁴⁾ وأبوه هو محمد فودي بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد غورطو بن جبو بن محمد ثنبو بن أيوب بن ماسران بن أيوب بن موسى جكولو ،⁽⁵⁾ وأمه حواء بنت محمد التي تنتمي إلى الأشراف من ناحية أمّها رقيّة.⁽⁶⁾ ويسكن أهل والدته في المنطقة التي تقع ما بين نهري ريما Reema وسكتو.⁽⁷⁾ وكان الفولانيون شعبا من

(1) علي بن أيوب ناجي : المرجع السابق، ص 63.

(2) ابن الفقيه : بلغة الهوسا يسمّى " دان فودي " ، وهذا اللقب أطلق على والد عثمان لما ناله من العلم، أنظر: علي بن أيوب ناجي: المرجع نفسه ، ص63 .

(3) ماهر شعبان : مصادر دراسة التاريخ جنوب وغرب إفريقيا : دار المعرفة العلميّة ، مصر ، 2011 ، ص11 .

(4) عبد القادر زبادية : دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين ، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2010، ص78 .

(5) محمد باي بلعالم : المرجع السابق، ص58 .

(6) علي بن أيوب ناجي : المرجع السابق، ص63 .

(7) المرجع نفسه ، ص63 .

الرعاة موطنهم الأصلي في حوض السنغال ، ثم انتشرت فروع هذا الشعب وجماعاته في المساحة الممتدة من السنغال إلى إقليم تشاد، ويطلق على الشعب الفولاني أسماء كثيرة منها: فليبي، فلان ، فلاتي ، فيول ولغتهم الفولانية⁽¹⁾.

2.1 نشأته:

نشأ الشيخ عثمان بن فودي في أسرة اشتهرت بين قبائل الفولاني بالعلم والصلاح والتقوى، فأبوه "محمد" كان يُلقب بـ "فودي" أي الفقيه باللغة الفولانية وهذا يدلّ دلالة واضحة على ما كان يتمتع به والده من منزلة عالية ورفيعة بين قومه وعشيرته،⁽²⁾ وأمّه حواء وجدته رقية كانت معروفتين بالعلم والمعرفة، وأخوه عبد الله⁽³⁾ عالم جليل له مؤلفات عديدة في التفسير والفقه واللغة والسياسة الشرعية⁽⁴⁾.

وقد وصفه ابنه محمد بلو : "...أنّ هذا الشيخ نشأ منذ صغره في الدعوى إلى الله تعالى بأنوار الفيض ، وجذبه إلى حضرته وكشف له عن حضرة الأفعال والأسماء والصفات، وأشهده غرائب الذات ، فصار بحمد الله بين أولياء الله ، ينزع من كأس القرب ويكتسي من حلل العرفان والحبّ، وقلده الحقّ تعالى تاج العناية والهداية وأهله للدعوة إليه وإرشاد العامة والخاصة.. " .⁽⁵⁾

(1) مصباح الدين جنيد : المرجع السابق، ص21 .

(2) المرجع نفسه: ص22 .

(3) عبد الله بن فودي : هو عبد الله بن محمد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد بن غورط، صاحب تأليف ومصنّفات عديدة أهمّها : إيداع النسخ، ضياء التأويل ، مفتاح التفسير ، النصائح في أهمّ المصالح ، ضياء الأنام في الحلال والحرام، تزيين الورقات..، أنظر: هارون إبراهيم كلو : الشيخ عبد الله بن فودي وجهوده العلمية من خلال مؤلفه مصباح الزاوي في مصطلح الحديث، منشورات جامعة السودان للنشر والتوزيع، الخرطوم، السودان، 2011، ص ص36،39 .

(4) المرجع نفسه ص35 ، 39 .

(5) ولد السالم حمّاه الله : صحراء الملتمين وبلاد السودان في نصوص الجغرافيين والمؤرخين العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2012، ص496 .

والملاحظ في كلام محمد بلو⁽¹⁾ ، أنه لا يكاد يخلو من هالة التقديس التي يضيفه المريدين على مشايخهم، فالمتتبع لهذا الوصف يكاد يجرد هذا المخلوق من صفته ويلحقه بعالم المثل العليا والملاكوتية ، وهذا ما سنقف عليه في الكثير من المحطات من خلال بحثنا هذا .

ومن ثم فقد نشأ عثمان في أحضان أسرة علمية توارثت العلم أب عن جدّ منذ القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر ميلادي وقد أتيح له وهو صبيّ أن يتسلّم عن والده مبادئ علوم العربية وأصول الفقه وحفظ القرآن الكريم .⁽²⁾ فتلقّى بذلك دروسه الأولى على يد أبيه محمد وأمه حواء، وجدته رقية، ويلاحظ أنّ نساء شعب الفولاني كنّ يتمتّعن بنصيب وافر من العلم وتعلّم العلوم الإسلامية ودراسة مبادئ القراءة والكتابة باللّغة العربية وحفظ القرآن الكريم .⁽³⁾

وعليه فقد نشأ الشيخ عثمان نشأة دينية خالصة، وهذا ما دفعه في ظلّ نقشي الخرافات، والجهل والضلال وسوء الفهم للكثير من قضايا العقيدة الإسلامية،⁽⁴⁾ إلى التركيز على تكوين جيل من الطلبة والمريدين تكويناً عقدياً سليماً وسياسياً فاعلاً لتصحيح الأوضاع في بلاده. قبل أن يأخذ بالسيف لإعلان الجهاد في سبيل الله .

وقد كان للشيخ من الأولاد العديد ، وقد ذكرهم محمد بلو في كتابه إنفاق الميسور : " ...وله من الأولاد : محمد سعد، علي ، محمد ثنب ، محمد بلو المؤلّف ، أبو بكر ، عمر، محمد

(1) محمد بلو : هو ابن الشيخ عثمان بن فوري ومن أبرز مؤلفاته : إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور انظر: ماهر شعبان: المرجع السابق، ص 33 .

(2) عبد القادر زبديّة : المرجع السابق، ص 78 .

(3)Trimingham (z/j) : Ahistory of islam in west Africa, London, 1979, p153.

(4) مصطفى الغديري: أسرة آل فودي ودورها في ترسيخ العقيدة الإسلامية ونشر اللّغة العربية بشمال نيجيريا، أعمال ندوة التّواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء 05/14-12، 1998 ، طرابلس ليبيا ص281.

البخاري، محمدّ حاج الحسن وآخرون صغار، وله من البنات : خديجة، عائشة، فاطمة حفصة، عائشة أخرى، سوده، أسماء ، حنة ، وآخر متن صغيرات ، وآخر موجودات " (1).
وممن نجد منهم أيضا : المؤلّف محمد بلو، وباقي أولاده الموجودين لا بأس بهم ، فيهم البركة ، ويرجى لهم صلاح الحال والنّجاة " (2).

2- طلبه للعلم :

2-1: تنشأته العلمية:

تلقى الشيخ عثمان تعليمه الأولي من خلال الأسلوب التقليدي السائد في المجتمعات الإسلاميّة عبر القرون ، والمتمثّل في حفظ القرآن ثمّ دراسة الفقه و اللّغة العربيّة، وقد وصف المؤرّخ التربوي البروفيسور إيفور ويلكس هذا المنهج التّعليمي قائلا : " ترسل جماعة من قبيلة جولا المسلمة أبنائها الذين تتراوح أعمارهم ما بين 6 و 14 سنة إلى المدارس التّقليديّة التي تفتح بمجرد من يقوم بالتّدريس، ويتلقّون العلوم الإسلاميّة الابتدائيّة بدءا من تلاوة القرآن وتحفيظه عن ظهر قلب، ويستمرّ التّلميز في التّحصيل السّريع حتّى يستوعب قواعد اللّغة العربيّة من نحو وصرف وآدابها ، من شعر ونثر ، كما يأخذ مبادئ الفقه المالكي مع التّعمق النسبي كلّما تقدّم في النّمو والتّحصيل ، ولا يصل إلى المرحلة المتقدّمة جدّا من التّقيف إلاّ ندرّة من التّلاميذ والطلّبة، بينما يرسب معظمهم، مع اكتساب بعض الخبرات المبسّطة في كتابة اللّغة العربيّة وقراءتها ولو بطريقة خاطئة، وينتقل الماهرون الطموحون منهم ، بعد هذه المرحلة إلى علماء آخرين ويقيمون معهم لمواصلة التّحصيل حتّى يترسّخوا في الفروع العلميّة، حينئذ يمنحون إجازات تؤهّلهم للقيام بتدريس تلك العلوم ، وبهذا الأسلوب يحصل الطّالب الطّموح على عدّة

(1) محمد بلو : المصدر السابق، ص 205 .

(2) المصدر نفسه: ص 206 .

إجازات من مختلف المرشدين والمدرسين، ومن ثم يحظى بالاعتراف من عامة الناس مع ذبوع الشهرة، وتدقق طلبه العلم عليه، سواء في حالة الحلّ أو الترحال ...".⁽¹⁾

لمّا كان التعلّم في عصر الشيخ عثمان بن فوري لم يكن مقتصرًا على شيخ واحد ، يتلقّى منه الطالب فنون العلم المختلفة، وإنّما كان على هذا الأخير التنقّل من مكان إلى آخر لأخذ العلم من مشاهير العلماء ، بعد حفظه لكتاب الله عزّ وجلّ ، حتّى إذا نبغ وتكوّنت لديه الملكة العلميّة أجازه شيوخه فيما أخذ عنهم ، ثمّ يتفرّغ للتدريس .⁽²⁾

لقد بدأ الشيخ عثمان بن فودي - كما أسلفنا - حياته العلميّة كغيره من الطلاب بحفظ القرآن حيث حفظه على يد والده ، الشيخ محمد فودي ، ودرس الإعراب وجميع علوم النحو على يد الشيخ عبد الرّحمان بن حمدا، ويظهر أنّ الشيخ عثمان بن فودي تجوّل من عالم إلى آخر في سبيل العلم كعادة الطلاب في ذلك الزّمان .⁽³⁾

2-2: رحلاته العلميّة

وأخذ ينتقل من معلم لآخر ومن بينهم أقرابه كالشيخ عثمان بندوري Bandouri ، ومحمّد سنّب Saneb ، وقد تأثّر الشيخ عثمان بمعلمه بندوري الذي رافقه لمدّة سنتين وتأثّر بعلمه وتقواه

⁽¹⁾ لقد قدّم البروفيسور إيفور ويلكس عرضاً عاماً حول طريق التعلّم التقليدي التي كانت سائرة في غرب إفريقيا عموماً وبلاد الهوسا خصوصاً ، ولعلّ الشيخ عثمان كان هذا نهجه إلاّ أنّه وبفضل طموحه قد بلغ الدّرجات العلا وحظي بالاعتراف من =الجميع، انظر: عثمان برايما باري : جذور الحضارة الإسلاميّة في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع الإسكندرية مصر، 2000م ، ص 97-98 .

⁽²⁾ مصباح الدّين جنيد: المرجع السّابق، ص 24 .

⁽³⁾ أحمد محمّد كاني: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، الزّهراء للإعلام العربي ، مصر ، 1987، ص 61 .

وشدّته في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر،⁽¹⁾ وذلك امتثالاً لقوله تعالى⁽²⁾: "كنتم خير أمة أخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون"، وقوله صلّى الله عليه وسلّم:⁽³⁾ "من رأى منك منكرًا فليغيّرْه بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه، وذلك من أضعف الإيمان".

درس الشّيخ عثمان بن فودي عند خاله محمّد بن ثنب بن الشّيخ عبد الله،⁽⁴⁾ والذي اشتهر بعلمه وحفظه لأغلب العلوم التي قرأها وكان يصحّح لبعض العلماء عند تدريسهم لعلم من العلوم من غير رجوع إلى الكتاب،⁽⁵⁾ كما درس علم الحديث وصحيح البخاري وأخذ إجازة في علم الحديث عند معلّميه.⁽⁶⁾

ثمّ رحل عثمان إلى الشّيخ جبريل بن عمر الأغديسي، وكان من أفاضل علماء السّودان وأغزرهم علماً وفصاحة، فصاحبه في حلّة وترحال مدّة سنة كاملة يرتوي من ينبوع علمه المتدفّق ويستفيد من تقواه وورعه وتصوّره الإسلامي.⁽⁷⁾

(1) أحمد بوعتروس: الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 133.

(2) سورة آل عمران: الآية 110.

(3) سنن أبي داود ج 1، ص. 295، الحديث رقم: 1140.

(4) هو من علماء الفولاني المشهورين، خرج إلى الحجّ، وأقام هناك سنوات عديدة، ثمّ أعاد إلى بلاده، وما لبث أن توفّي بها عام 1207هـ/1792م، انظر: محمّد بن عليّ السكاكر: محمّد بلّ والدولة الصكّتية في عهده 1232-1253هـ/1817-1837م،

أطروحة دكتوراه، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، السّعوديّة، 1995م، ص 150.

(5) أحمد محمّد كاني: المرجع السابق، ص 63.

(6) المرجع نفسه: ص 63.

(7) عبد الرّحمان الماحي: الدّعوة الإسلاميّة في إفريقيا الواقع والمستقبل، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1992، ص 117.

وفي بلاد الطّوارق هناك بأغاديس قابل التّصوّف وجها لوجه، فقد وجد النّاس يأخذون بالطّريقة القادرية.⁽¹⁾ فارتاحت نفسه إلى هذه الطّريقة، وأحسّ أنّها تأخذه من نفسه بعيدا عن الحياة إلى عالم ممتلئ بالهدوء والاطمئنان والصفاء .

ولكنّ الحياة كانت أقوى منه حينما جذبته إليها، وألحّت عليه في أنّ رسالته يجب أن ترتبط بالنّاس من حوله ، ومن هنا تراه يعود إلى النّاس من بلاد الطّوارق في الشّمال ، فيختلط بهم ، ويقدم إليهم ما هم في حاجة إليه من العلم والمعرفة والوعظ والارشاد، ويذكرهم بأنّ عليهم أن يوصلوا هذا العلم إلى غيرهم .⁽²⁾

كان للعالم الجليل الشّيخ جبريل بن عمر الأغديسي ، الأثر الفعّال في تكوين شخصيّة عثمان علمياً وفكرياً ، ولما عزم الشّيخ جبريل على شدّ الرّحال لأداء فريضة الحجّ ، كان ابن فودي على ما يبدو ينوي مصاحبة أستاذه إلى البقاع المقدّسة ، فمنعه من مصاحبته وأمره بالعودة لعدم استئذان والده في الدّهاب بمعيّته إلى الحجّ .⁽³⁾

ولعلّ هذا الصّدّ من أستاذه هو الذي فجّر قريحته وأثار أشجانه لينظّم قصيدة عدّها المهتمون بإننتاج عثمان باكورة مؤلّفاته وهذه أبيات من القصيدة :⁽⁴⁾

هل لي مسير نحو طيبة مسرعا لأزور قبر الهاشمي محمّد

⁽¹⁾ تنتسب الطّريقة القادرية إلى الشّيخ عبد القادر بن موسى الجيلاني ، ولد في مدينة جيلان عام 471هـ/1077م، إنتقل إلى بغداد وتتلّمذ على يد علمائها ، برع في أساليب الوعظ والإرشاد، اشتغل بالتّدريس ثمّ مال إلى النّصوف فلجأ إلى الخلوة، عرف بالتّسامح الدّيني والجمع بين العلم والعمل ، انتشرت طريقته في السّودان الأوسط وبلاد الهوسا . توفّي عام 1166هـ ودفن ببغداد، انظر: عبد الله عبد الرّزاق إبراهيم: الإسلام والحضارة الإسلاميّة في نيجيريا، مكتبة الأنجلو مصريّة، القاهرة، مصر، 1984 ، ص 25 .

⁽²⁾ عبده بدوي: شخصيات إفريقيّة : منشورات وزارة الثّقافة والإرشاد القومي، مصر، 1999، صص 36- 37 .

⁽³⁾ أحمد بوعتروس: المرجع السّابق، ص 134 .

⁽⁴⁾ أحمد محمّد كاني: المرجع السّابق، ص 63 .

ولمّا فشا ربّاه في أكنافها وتكّمش الحجاج نحو محمّد
 غدوت (منهل) الدموع مزبداً شوقاً إلى هذا النبي محمّد
 أحكي المصاب بشوقه مالي سرور دون زورة سيّد

ومن خلال هذه الأبيات الشعريّة تبدو لوعة الشوق والحنين لزيارة البقاع المقدّسة والوقوف على قبر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، علماً ان زيارة البقاع المقدّسة كان بمثابة الحلم الذي كان يراود المسلمين في غرب إفريقيا وكلّ الزعامات المحليّة، كما توضّح هذه الأبيات أيضاً أنّ " عثمان بن فودي " لم يحجّ بيت الله الحرام كما ورد في بعض الكتابات - كما سنفصّل في ذلك - وهذا ما يؤكّده الباحث أحمد بوعتروس الذي أجرى لقاءً على هامش الملتقى الدولي المنعقد بقسنطينة عام 1989، مع الأستاذين:⁽¹⁾ د/ الفضل كلود آل دكو و د/ محمّد الأوّل أبو بكر . وهما من أبناء المنطقة .

إلا أنّ الباحث د/ محمّد بن عبد الله بن سليمان السلمان ، فقد ربط قصّة انتشار الدّعوة الوهابيّة⁽²⁾ في إفريقيا بذهاب الشّيخ عثمان دان فودي إلى مكّة لأداء فريضة الحجّ فتأثّر بها

(1) مقابلة الباحث الأستاذ أحمد بوعتروس مع كلّ من الأستاذين: د/ الفضل كلود آل دكو : مدير الجامعة الإسلاميّة بالنيجر، ود/ محمّد الأوّل أبو بكر، جامعة كانو نيجيريا على هامش ملتقى ندوة الجامعات الإسلاميّة المنعقد بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة، قسنطينة، الجزائر، بتاريخ 10 شعبان عام 1409 هـ الموافق لـ 17 مارس 1989 على السّاعة 11 و 30 د، أنظر: أحمد بوعتروس : المرجع السّابق، ص134 .

(2) نسبة إلى محمّد بن عبد الوهاب بن سليمان التّميمي ولد عام 1115هـ/1703 م في بلدة العينيّة بنجد، وكانت دعوته قد طبّقت للأرجاء وهو الأساس الذي قامت عليه الدّولة السّعوديّة الأولى، أنظر: نورة بنيت معجب الحامد: دعوة الشّيخ عثمان بن فوري وتأثرها بدعوة الشّيخ محمّد بن عبد الوهاب الإصلاحيّة ، مجلّة جامعة الإمام، العدد 07، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1429هـ ، ص38 .

وأعجب بمبادئها وعاد إلى بلاده وكلّه حماسة وغيره من أجل إصلاح عقيدة المسلمين هناك على أساس الإسلام الصحيح الخالص من كلّ شوائب الشرك والبدع والفساد والخرافات.⁽¹⁾

وقد استرسل الأستاذ الغنيمي في كتابه " حركة المدّ الإسلامي " حول أداء الشيخ عثمان لفريضة الحجّ، حيث يذكر أنّ الشيخ عثمان قد أدّى فريضة الحجّ عام 1220 هـ / 1806 م، وهناك خالط أنصار الشيخ محمّد واستمع إليهم واطّلع على العديد من الكتب والشروح التي ألفها الشيخ محمّد وفيها رسالة كشف الشبهات (أصول الإيمان)، المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلّم أهل الجاهليّة، فضل الإسلام نصيحة للمسلمين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رسالة في أنّ التعليم جائز لا واجب، كتاب الكبائر، وقد تأثّر بهذه الكتب ورغب في محاربة البدع المنتشرة في بلاده، وقرّر أن يسير على خطى المصلح الشيخ محمّد بن عبد الوهاب، وأن يعلنها ثورة على المفاسد التي كان يراها في بلاد الهوسا بهدف إيقاظ المسلمين هناك من غفوتهم، وقد بقي الشيخ عثمان حوالي لعام متنقلاً بين مكّة والمدينة حريصاً على الاستزادة من دعوة الشيخ محمّد بن عبد الوهاب.⁽²⁾ لذلك فقد سعى الشيخ عثمان إلى التمسك بالدعوة الوهابية ومحاولة نشرها في غربي إفريقيا.⁽³⁾

ويذهب في هذا الاتجاه الباحث عبده بدوي، حيث يعتقد أنّ الشيخ بن فودي قد غير من أفكاره الصوفيّة بعدما ذهب إلى الحجّ يقول:⁽⁴⁾ "...ثمّ تدفع به الحياة حاجاً إلى مكّة، فلا يضيّع وقته في تعذيب نفسه وتخويفها والانسلاخ عن واقع الحياة الذي يعيشه وإنّما نراه يخرج ليقابل

(1) محمّد بن عبد الله بن سليمان السلطان، دعوة الشيخ محمّد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، منشورات جامعة أم القرى، السعودية، 1982م، ص 89 .

(2) عبد الفتاح الغنيمي: حركة المدّ الإسلامي في غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مكتبة نهضة الشروق القاهرة، مصر، 1985، ص 203 .

(3) نورة بنت معجب الحامد: المرجع السابق، ص 40 .

(4) عبده بدوي: المرجع السابق، ص 37 .

الوهابيين، ويلمس بقلبه جوهر دعوتهم التي تنادي بلمس أعماق الدين بعيدا عن الحلي والزخارف الخارجية، وحينما يستوعب هذا المذهب الذي دعا إليه محمد بن عبد الوهاب يخف للعودة إلى بلاده ، وقد أضاف إلى نفسه وظيفة المصلح الاجتماعي، فتراه يحارب الخرافات والبدع، وينكر تعظيم قبور الأولياء."

لكن يدحض هذا الادعاء كثير من الباحثين، وعلى رأسهم الباحث الرحالة محمد بن ناصر العبودي ، فقد أشار إلى هذه القضية - أداء بن فودي للحج - في كتابه " أيام في النيجر " قصة سفر في نيجيريا ، ج 2 ، وفي هذا الأخير يذكر ما نحو : "...و افترض بعض العلماء أن ابن فودي حج وتأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأنه من الممكن أنه قد لقي في مكة المكرمة أفراد من السلفيين المتأثرين بالدعوة، وهذا افتراء محض..."⁽¹⁾ . وقد تحجج محمد بن ناصر العبودي في أن دعوة ابن فودي ليست سلفية خالصة كدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فهو كان يجيز التوسل بالنبي والأولياء، كما أنه قادري متبع للطريقة القادرية .

وقد أكد ما سبق، لقاء الباحث محمد بن ناصر مع حفيد الشيخ عثمان أبو بكر الثالث الذي نفى أن يكون جده قد حج أو تأثر بالدعوة الوهابية،⁽²⁾ بحيث أن العقيدة السلفية للشيخ عثمان، فإنه لا يرى بأسا من الانضمام إلى إحدى الطرق الصوفية، ومن ذلك أنه هو نفسه

(1) محمد بن ناصر العبودي: قصة سفر في نيجيريا، دار الإسلام للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2015، ج 2، ص 02.

(2) لقاء جمع بين الباحث محمد بن ناصر العبودي، بحفيد الشيخ عثمان بن فودي الخليفة أبو بكر الثالث بمقره في مدينة صوكوتو وكان وزيره الدكتور محمد جنيد حاضرا في هذه المقابلة وبعد انتهائها أخبره الأخ محمد ساغو بأن العبودي مؤلف فقال الدكتور محمد جنيد: " إذا كتبت لا تكتب كما ذكره فلان وفلان مما هو كذب بكذب فسألته عن ذلك الكذب حتى أتجبه ، فقال: إن بعض الناس ذكروا أن الشيخ عثمان دان فودي قد حج وتأثر هناك بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ولذلك نادى بتقية العقيدة الإسلامية من الشوائب " وهذا غير صحيح فهو لم يحج، وبالتالي لم يقابل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولم يتأثر بدعوته .انظر: محمد بن ناصر العبودي، أيام في النيجر، دار الكتاب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2015، ص 153 .

منتسب إلى الطريفة القادريّة، ولو كان متبعا للشيخ محمّد بن عبد الوهاب أو متأثرا بدعوته لما فعل ذلك⁽¹⁾.

فعلى الرّغم من Hisketti قد أشار إلى إمكانية تأثر جبريل بن عمر بالوهابيّة في بعض أفكاره ، فإنّه قد نفى صراحة احتمال تأثر قادة الجهاد بها .⁽²⁾ ويقول الباحث آدم الألوري في هذا الصّدّد: "افترض الفرنج وبعض من نقلوا عنهم أنّ ابن فودي حجّ إلى بيت الله الحرام واجتمع بعلماء الدّعوة الوهابيّة وتأثر بها ولما رجع إلى بلاده فأقام بإصلاحها وذلك الافتراض مبني على الظنّ والتّخمين، لا أساس له في حياة ابن فودي كلّها ولا علاقة بين ابن فودي ودعوة ابن عبد الوهاب...."⁽³⁾

ومن خلال ما سبق من عرض لآراء ثلّة من الباحثين في قضية ذهاب الشيخ عثمان بن فودي، فقد لوحظ في سياق الحركة الفودويّة خلوّها من الحجّ، غير أنّ ذلك ليس قادحا في هذا النّمودج، لأنّ الشيخ قد شغل بالجهاد، وكان في شبابه قد عزم على الحجّ وخرج له، لكن لم يقدر له ذلك، يقول عبد الله بن فودي في (إيداع النّسوخ): "ثمّ سار الشيخ عثمان لطلب العلم إلى شيخنا جبريل، وصاحبه نحو سنّه يتعلّم منه، حتّى بلغ معه قرية أقدس، فرجّعه الشيخ جبريل إلى أبيه، وسار هو إلى الحجّ لكون أبيه لم يأذن له في المسير إلى الحجّ."⁽⁴⁾

(1) محمد بن ناصر العبودي: المرجع السابق، ص153 .

(2) M.Hiskett: The sword of the truth, Oxford University.Press. London 1973, P62 .

(3) محمّد باي بلعالم: المرجع السّابق، ص165 .

(4) M. Hiskett : stata of learninganong the Fulani, Oxford University .Press. bulletin of soas, London.1957.vol(xix).p555.

ومجمل القول في أنّ الشَّيْخَ عثمان عمل متعلِّماً ثمّ معلِّماً جاب معظم بلاد هوسا ووقف على أحوالها الاجتماعيّة والاقتصاديّة، وكان يحبّذ التحدّث باللّغات العربيّة والفلائيّة والهوساويّة،⁽¹⁾ إضافة إلى حسن أخلاقه وسيرته .

بعد أن أتمّ تعليمه تصدّى للوعظ والإرشاد في منطقة بلاد الهوسا،⁽²⁾ وكان يكلم النّاس بلغتهم، ونتيجة لنضجه فكرياً و تمرّسه لدى علماء أجلاء، وسعة اطلاعه بأحوال الناس، فقد تميّزت مؤلّفاته بالثقافة الواسعة⁽³⁾، وكان دوره بمثابة الباحث الذي يورد آراء العلماء السّابقين والمتقدّمين.

كلّ هذا وغيره أهله ليكون داعية ومصلحاً في بيئة موبوءة، بعد أن تفتّت فيها البدع والخرافات وانتشرت فيها المفاصد الأخلاقيّة، ولعلّ خير ما نستشهد به ، في هذا المقام ما ذكره الإمام محمّد بلّو ، إذ يقول : "...وقد وجد في هذه البلاد من أنواع الكفر والفسوق والعصيان أموراً فضيعة وأحوالاً شنيعة، طبّقت هذه البلاد وملأتها حتّى لا يكاد يوجد في هذه البلاد من صحّ إيمانه وتعبّد إلاّ النّادر القليل ولا يوجد في غالبهم من يعرف التّوحيد ويحسن الوضوء والصّلاة والزّكاة والصّلاة وسائر العبادات " .⁽⁴⁾

كما وصف الشَّيْخَ محمّد بلّو والده الشَّيْخَ عثمان بن فودي ، من حيث المرتبة العلميّة والمنزلة بقوله: "...وأعلم أنّه نشأ عفيفاً متديّناً ذا خلال مرضيّة، وهو علم العلماء لواء الدّين أحيا

(1) فيصل محمّد موسى: موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات قاريونس ، بنغازي، ليبيا، 1997، ص 101 .

(2) علي بن أيّوب ناجي: المرجع السّابق، ص 33 .

(3) ماهر شعبان: المرجع السّابق، ص 23 .

(4) ولد السّالم حماه الله: المرجع السّابق: ص 497 .

السنة وأمات البدعة، ونشر العلوم وكشف الغموم بعد علمه العقول، جمع بين الحقيقة والشريعة، فنشر القرآن ، وكان عالماً بقراءته وفنونه من بيان وأحكام وناسخ ومنسوخ....⁽¹⁾

وبفضل دراسته وتعليمه الذي تلقاه من مشايخه الأجلاء، إذ برع الداعية المصلح عثمان بن فودي لإصلاح المجتمع والدين، والسياسة بتنقية الإسلام من الأدران والأباطيل وتطهيره مما علق به من دنس البدع والخرافات والسحر والشعوذة،⁽²⁾ وهدف إلى إحياء الكتاب والسنة النبوية وتطبيق الشريعة الإسلامية على غرار الخلافة الراشدة .

وقد كان الشيخ عثمان بن فودي عاكفا على العلم والتعليم مبعدا نفسه عن كل ما يقرب إلى الملك أو السلطان، وهذا ما كان له دور كبير في التقاف عدد كبير من المسلمين حوله، كان نتيجة ذلك قيام مجتمع إسلامي في مدينة ديجل Degel،⁽³⁾ وذلك دون أن يتعرض لهم ملك غوبير GUBAIR.⁽⁴⁾

الحديث عن الجانب التعليمي للشيخ عثمان بن فودي طويل وحياته حافلة بالنضال والكفاح ، لأنه وهب نفسه لخدمة الدين الإسلامي ، فبعد أن حفظ كتاب الله اهتدى بسنته واحتك بعلماء عصره،⁽⁵⁾ توافدت عليه جموع المسلمين وازداد أتباعه يوما بعد يوم .

(1) ولد السالم حماء الله: المرجع السابق، ص 503 .

(2) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا في القرن 19م ، منشورات معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، مصر، 1983، ص 4 .

(3) ديجل Degel : هي منطقة مجاورة لإمارة جوبير التي تقع في الشمال الغربي لبلاد الهوسا جنوب الصحراء الكبرى، أنظر: مصباح الدين جنيد: المرجع السابق، ص 23 .

(4) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الكويت، 1989، ص 33

(5) المرجع نفسه: ص 33 .

لقد اتّبع الشيخ عثمان منهاجاً علمياً دقيقاً في محاولته لإصلاح الأوضاع الدينية والسياسية في هذه البلاد، مراعيًا في ذلك الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، فركّز على ثلاث قضايا رئيسية تتمثل في⁽¹⁾ : العناية التامة بتعليم العامة أحوال الدين ، التحذير من البدع الشيطانية والعادات المخالفة للشّرع الإسلامي، محاربة فساد السّلاطين ورفع الظلم والخوف عن الشّعوب المغلوبة .

وبفضل ثقافته الواسعة وتعليمه ورغبته الكبيرة في إصلاح أوضاع منطقتة والقبائل الإفريقية المجاورة⁽²⁾، تمكّن من إعادة سكّان المنطقة إلى تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة، وقد التفّ حوله الكثير ولقيت دعوته القبول، وربما عكس هذا حالة القهر الاجتماعي والظلم وتفتت المعتقدات الفاسدة التي عانى منها أهالي الهوسا، وكان انتظار المخلص هو الأمل الذي طالما تمسك به السواد الأعظم من سكان الهوسا، ثم أن مواصفات القيادة التي اجتمعت في الشيخ المؤسس، قد حققت الاجماع والقبول بين الناس، وهذا ما سيراه ملوك الهوسا خطراً حقيقياً على ملكهم وسلطانهم، فينقسمون الى من يحاول كسبه ليضمن صداقته ومنهم من يعلن محاربتة ويحرض الناس ضده. وبين هذا وذاك سيثبت الشيخ عثمان على طريقه ويصمّم أكثر على مواصلة دعوته.

(1) محمد الثاني عمر موسى : الشيخ عثمان بن فودي والطريق لاستعادة الهوية ، مجلة قراءات إفريقية، العدد 1 ، الرياض، السعودية، ص32 .

(2) محمد سعيد القشاط: أعلام من الصحراء، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ، 1997 ، ص115 .

3- شيوخه ومعاصروه:

3-1 شيوخه:

لقد كان للعلماء والفقهاء الذين جاءوا إلى بلاد الهوسا، ومكث بعضهم فيها طويلا والذين اتّصلوا بالحكام⁽¹⁾، حيث أصبحوا خير معين على تنظيم شؤون البلاد وفق تعاليم الشريعة الإسلامية .

ووفد من الشمال الإفريقي الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني⁽²⁾ هو من أعلام الإسلام في القرن التاسع هجري، الخامس عشر ميلادي، ولقد اختلف المؤرخين في تحديد تاريخ معين لتنقلات الشيخ المغيلي نحو إفريقيا الغربية، وهذا لما عرف عنه من ترحال وتنقل بين هذه الإمارات والإمبراطوريات الإفريقية .

ولأنّ أقاليم السودان الغربي تمثل مجالا خصبا للدعوة والإصلاح والتي ازدهرت في عهد المغيلي بفضل ثرائها وقوافل تجارتها الذاهبة والآتية⁽³⁾ وفي منطقة الهوسا كتب المغيلي رسالة دينية لأمير كانو يعرض فيها ألوان الفساد التي سادت مجتمع الهوسا وانتشار المفاصد الدينية

(1) محمد الثاني عمر موسى: المرجع السابق، ص 33 .

(2) ينسب إلى قبيلة مغيلة التي تقطن نواحي تلمسان، كان من المتقنين وأولي الفكر في عصره، توفي في 909هـ، وله عدة مؤلفات معظمها في الفقه واللغة، ولقب بالإمام، أنظر: جلال الدين عبد الرحمان السيوطي: لبّ اللباب في تحرير الأنساب، تحقيق وإشراف محمد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991، ج2، ص269 .

(3) علي يعقوب: جهود العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الإسلامية العربية غرب إفريقيا نموذجا، مجلة قراءات إفريقية، العدد8، الرياض، السعودية، ص18.

والدنيوية،⁽¹⁾ وقد اشتغل المغيلي خلال إقامته بتيكة TUKDA بالتدريس والوعظ والإرشاد في مساجدها⁽²⁾

يذكر أحمد بابا التتبيكتي عن رحلة المغيلي لهذه المناطق ، فيقول: ". ثم دخل بلاد أهير ودخل بلاد تكدة TUKDA، واجتمع بصاحبها وأقرأ أهلها وانتفعوا به ثم دخل بلدة كنو وكش من بلاد السودان واجتمع بصاحب كنو، KANO واستفاد عليه وكتب رسالة في أمور السلطنة يحضه على إتباع الشرع وأمرهم بالمعروف والنهي عن المنكر وقرر لهم أحكام الشرع وقواعده.⁽³⁾

أطلق على الشيخ المغيلي لقب " الشريف الولي"⁽⁴⁾ ولم تقتصر نشاطات المغيلي على التدريس والوعظ فحسب، ولكنها شملت أيضا المشاركة في الشؤون الإدارية للبلاد وشجعه على ذلك أن الحاكم محمد رنفا كان على قدر من العلم، كما ألف في كانو بعض الدواوين منها: ديوان الخزينة وديوان الأمن، تطرق فيه إلى كيفية تصرف الأمير في الحفلات والتظاهرات المختلفة.⁽⁵⁾

(1) عبد الرحمن زاكي: حركة الإصلاح الديني في غرب إفريقيا، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد 13، مدريد ، إسبانيا، 22 أكتوبر 1999، ص 140 .

(2) يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ج2، ص15

(3) أحمد بابا التتبيكتي: نيل الإبتهاج بتطيريز الديباج، إشراف وتحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989، ص269.

(4) عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص 216.

(5) مسعود خالدي: محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره الإصلاحي في السودان الغربي، مجلة كان التاريخية العدد 26، دار الكتب والوثائق المصرية، مصر، ديسمبر 2014، ص 19 .

كما زار الشيخ المغيلي كاغو(غاو) عاصمة مملكة السنغال، والتقى بأمرها الأسقيا محمّد الكبير الذي حجّ عامي 1499هـ، 1500م،⁽¹⁾ فقد وجّه الأسقيا محمّد مجموعة من الأسئلة إلى المغيلي، فأجابه هذا الأخير برسالة قيّمة، وأوضح له فيها الفتاوى الإسلاميّة في الموضوعات التي أثارها، وهي في مجموعها تلقي الضوء على المشاكل التي تواجه الحكّام المسلمين في السودان الغربي وقتذاك.⁽²⁾

والملاحظ أن شهرة الشيخ المغيلي قد سبقته، وهذا ما يفسّر استقباله في بلاط ملوك السودان الغربي وترحيب الناس به، حيث كان يمكث في مختلف الإمارات اياما يقوم فيها بوعظ الناس ويوصيهم بالتمسك بتعاليم دينهم الحنيف، لقد كانت هذه الفتاوى والوصايا، موضوع إعجاب العلماء يحتفظون بها و يتدارسونها وينقلونها على مرّ الزّمان، ولكن دون أيّ محاولة منهم لتطبيقها على واقع بلادهم المتدهور، وقد اطّلع الشيخ ابن فودي على هذه الوصايا عند شيوخه، وكان لها الأثر البالغ في قلبه وتعلّقت بها نفسه، ثمّ شمّر عن ساعد الجدّ، فعقد العزم على تحويلها إلى أمر واقع بتطبيقها وتنفيذها، وكان كثيرا ما ينقل من هذه الفتاوى في مؤلّفاته العديدة فكأنما يتلقّى من الإمام المغيلي مباشرة⁽³⁾.

(1) مبروك مقدّم : الإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني إسهاماته في نشر الثقافة الإسلاميّة بإفريقيا الغربيّة في القرن 9هـ - 15 م، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2004، صص 38-39.

(2) يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربيّة الإسلاميّة مع مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، 2001، ص 81 .

(3) نجد أنّ الشيخ بن فودي قد نقل جزءا من وصيّة المغيلي في الفصل السادس من كتابه: " تنبيه الإخوان " وفي كتابه أيضا: "سراج الإخوان " جعل فتاوى المغيلي مستندة في كلّ ما يقرّره من المسائل، أنظر: مصباح الدّين جنيد: المرجع السّابق، ص 26 .

نشأ الشيخ عثمان في أسرة علمية وفتح عينيه على العلم منذ نعومة أظافره، فقد أخذ من والده الفقيه الذي وصفه عبد الرحمان السّدي: " فودي الفقيه محمّد ساقوا الونكري كان فقيها عالما عابدا صالحا وليًا".⁽¹⁾

وتعلّم ودرس الشيخ عثمان أولاً على يد عمّه المعروف باسم الشيخ عثمان بن الأمني الملقّب ببديوي الكبوي،⁽²⁾ الذي عرف بورعه وتقواه وبدعواته للإصلاح عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبفهمه العميق والدقيق للعلوم الإسلامية.⁽³⁾

لازم الشيخ عثمان عمّه لمدة سنتين أخذ من علمه ما أمكنه واقتدى بطباعه وبصفاته الحميدة.⁽⁴⁾ وبعدها انتقل عثمان من مدرسة عمّه و رحل إلى الشيخ جبريل بن عمر.⁽⁵⁾ وقد وصفه محمّد بلو في إنفاق الميسور بـ: " شيخ الإسلام العلامة المحقق ، القدوة، النظار، الصّالح، البركة، الحاج،... ثمّ يواصل قال الوالد⁽⁶⁾ في شفاء العليل في حلّ ما أشكل من كلام شيخنا جبريل - وهو يعد فضائله - فقال : ليعلم أهل بلادنا السّودانية هذه، بعض ما أنعم الله عليهم، ليجتهدوا في شكر الله تعالى، على وجود هذا الشيخ في هذا البلد، فيستوجبوا المزيد، ومن فضائله رضي الله عنه، أنّه بلغ الغاية في الاشتغال بالكتاب والسّنة، وحض النّاس عليهما، وأنّه أوّل من قام بهدم العوائد الذميمة، في بلادنا السّودانية هذه، وكان كمال ذلك على

⁽¹⁾Abderahman essadi : tharikttes Soudan, paris, 1981, p.127.

⁽²⁾ عبد اللّطيف سعيد: سيرة الشيخ عثمان دان فودي مع الإشارة للعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الافريقية على جانبي الصحراء 12-14/5/1998، طرابلس، ليبيا، ص 34.

⁽³⁾ أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص133.

⁽⁴⁾ علي بن أيوب ناجي: المرجع السابق، ص 63 .

⁽⁵⁾ جبريل بن عمر المعروف بجبريل دان، الدّاعية معروف في السّودان الغربي في منطقة آدر وأغرس بجمهورية النّيجر، مكث يدرّس الشيخ عثمان بن فودي العلوم الدّينية مثل: الفقه، وكذا بتعريفه وتدرّسه حول عدّة مؤلّفات منها، مؤلّفات الشيخ المغيلي.

أنظر: عثمان بن فودي : فتح البصائر، تحقيق سيني موموني، سالو الحسن، ليون، فرنسا، 2011، ص7.

⁽⁶⁾ المقصود به عثمان بن فودي .

أيدينا...⁽¹⁾ إلى أن يقول: (...ونحن بالنسبة إلى مقامه نسبة الضّالّ مع الضّالّيع، ونسبة ذوي الزّنبور مع نغمة الزّبور، فوا لله لا ندري هل تهتدي إلى سبيل السنّة، وترك العوائد الدّميمة في بلادنا السّودانيّة هذه، فهو موجة من أمواجه، ولذلك قلت فيه شعرا)⁽²⁾

إِنْ قِيلَ فِي بَحْسِنِ الظَّنِّ مَا قِيلَاً فَمَوْجَةٌ أَنَا مِنْ أَمْوَاجِ جَبْرِيلَاً

كما قال عنه تلميذه الآخر عبد الله بن فودي في كتابه: "إيداع النسخ فيما أخذت من الشيوخ"، بقوله: "ومنهم شيخنا وشيخ شيوخنا الإمام العالم الحاج جبريل بن عمر، أخذت عنه كتب أصول الفقه وقرأت عليه بعض تواليفه"⁽³⁾. وأنشأ قصيدة مدح فيها شيخه وإمامه، نورد بيتين حيث يقول فيهما الشّيخ عبد الله بن فودي:⁽⁴⁾

جبريل من جبر الإله به لنا دينا حنيفا مستقيم المنهج

لم يغش في إظهار دين الله من مستهزئ ولائم متمجم

لقد كان عمر الشّيخ عثمان عشرون سنة لما التحق بمدرسة الشّيخ جبريل بن عمر، وقد غادر هذا الشّيخ إلى مكنة ولكنّه عاد من مكّة سريعا عام 1200هـ/1786م، وقد قام الشّيخ عثمان وأخوه عبد الله بزيارته بمناسبة عودته من الحجّ، ويبدو أنّ هجومه وآرائه ضدّ عبادة الأوثان والشّرك ومهاجمته للبدع والخرافات التي ظهرت في المنطقة،⁽⁵⁾ قد أدّت إلى إنارة

(1) محمّد بلو: تاريخ الإسلام في شمال نيجيريا (إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور)، دراسة وتعليق عبد النّعيم ضيفي

عثمان عبد النّعيم، المكتبة الأزهرية للتّراث، القاهرة، مصر، 2011، ص 47 .

(2) المصدر نفسه ص 48 .

(3) Joseph-kizerbo : histoire de l algerie de l afrique noir d' hier a demain, librie hatier ,baris , p.361

(4) ولد السّالم حمّاه الله،: المرجع السّابق، ص 494 .

(5) علي بن أيّوب ناجي، المرجع السّابق، ص 63 .

الطريق للشيخ عثمان الذي اقتدى بشيخه في مجال الدعوة والإصلاح، بالإضافة إلى تأثر الشيخ عثمان بعمه بندوري Bendouri .

لم يتوقف الشيخ عثمان عن طلب العلم فذهب يدرس عند ابن خاله أحمد بن محمد الأمين والأستاذ هاشم الزنفري وكلاهما شهد له بقوة الحفظ وشدة الصبر، ثم درس على يد خاله بن مود بوغال.⁽¹⁾ ثم جلس إلى الشيخ محمد راجي لدراسة الحديث النبوي الشريف، حيث درس صحيح الإمام البخاري وقد أتاح ذلك التكوين العلمي لعثمان بن فودي تميزه ببعض الصفات الشخصية منها الحكمة، والمرونة في المسائل التي لا تؤثر في المبادئ كما اشتهر بالتسامح ولكنه تمسك بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.⁽²⁾

كما تأثر الشيخ بن فودي بثلة من العلماء والأولياء منهم: الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني والشيخ أحمد البيضاوي والشيخ أحمد الرقاعي والشيخ إبراهيم الدسوقي والشيخ أبو حامد الغزالي والشيخ عبد الرحمان السيوطي والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي .

والشيخ أبو الحسن الشاذلي والشيخ أحمد بابا التنبكتي والشيخ المحاسبي وغيرهم من المشايخ، فمن هؤلاء العلماء العاملين والأولياء العارفين أخذ الشيخ رحمه الله عليه فيض العلوم والمعارف⁽³⁾.

(1) أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص 88 .

(2) المرجع نفسه: ص 61 .

(3) عثمان بن فودي : سوق الأمة إلى إتياع السنة، مراجعة وتعليق الشيخ أبو ألفا عمر محمد شريف بن فريد بروكس، منشورات الجامعة الإسلامية، سنكور، نيجيريا، 2002، ص 4 .

ربط الشيخ عثمان بن فودي العلم بالعمل، حيث كان صاحب نزعة علمية، فبدأ ينشر الوعي الإسلامي وينبّه المسلمين لحالة الرّكود والجمود التي أضحت عليها الإسلام - كما سيأتي ذكر ذلك بالتفصيل - فحملته رحلاته الدعوية إلى كبي ثم زمفارا (شمال نيجيريا الحالية) (1).

واعتبر الشيخ عثمان، أنّ أهمّ الطرق للإصلاح تعتمد على ضرورة إبلاغ دعوته لجميع الناس. وتعتبر أهمّ الطرق في تحقيق هذا الهدف، لهذا اشتغل الشيخ عثمان في مجال التأليف، وذلك باللغتين العربية والفلانوية. (2)

وقد ركّز في مؤلفاته - سيتمّ توضيح ذلك في الفصل الأخير من هذه الدراسة خلال فترته الأولى من الدعوة (1774-1804م) على معالجة قضايا الإيمان والكفر في الغالب وإحياء السنّة النبوية ومحاربة البدع إلى إعطاء المرأة المسلمة حقّها، (3) مستفيدا من كلّ مشايخه وتجاربه ورحلاته في سبيل العلم والتّعلم .

2-3 معاصروه :

لقد شهد القرن 19م/13هـ تأسيس ممالك إسلامية كبيرة مثل إمبراطورية الفولاني والتكرور (4)، وظهر فكرة الجهاد لنشر الإسلام وتصحيح العقيدة الإسلامية التي اختلطت في

(1) أحمد بوعتروس، المرجع السابق، ص 135 .

(2) مصطفى سعاد : دور الحضارة الإسلامية في تطوير الحركة العلمية في غرب إفريقيا ، مجلة الدراسات الإفريقية العدد 01 ، ماي 2014، ص 193 .

(3) المرجع نفسه: ص 194 .

(4) التكرور: معنى هذا اللفظ الأسود، وقيل معناه: مشتق من تكرر أي تنقى من الكفر وكان يطلق هذا الإسم على عاصمة الدولة ظهرت في فوتاتور في السنغال ، ثم صار علما على الشعوب الفولانية ، أنظر: محمود كعت: المصدر السابق، ص 16.

كثير من المناطق بالطّوقس الوثنيّة، وقد كانت الفكرة الأساسيّة لقادتها هي إنشاء حكومات إسلاميّة تقود المسلمين.⁽¹⁾ وتعمل على نشر تعاليم الدّين الإسلاميّ الصّحيحة في غرب إفريقيا. وعلى هذا الأساس ظهر العديد من الزعماء الذين عاصروا الشّيخ عثمان بن فودي ونذكر من بينهم:

الشّيخ عبد الله بن فودي: هو أخ الشّيخ عثمان ولد في منطقة غوبير عام 1766م، ونشأ في بيت علم ودين،⁽²⁾ وقد وسع معارفه ومداركه بأنّه كان ينتقل من عالم إلى آخر، حسب التّقاليد المتّبعة في تلك الآونة، فإذا سمع العالم متخصصّ في الفقه مثلاً، ذهب إليه وسمع منه وقرأ عليه تخصصّه.⁽³⁾

وقد كان عبد الله الأخ الأصغر للشّيخ عثمان بن فودي وتلميذه فقد تولّى تدريبه وتربيته ويعتبر الشّيخ عبد الله في نشأته وحياته النّمودج الحي للقيادة السّياسيّة والقيادة العلميّة، فقد قاد معظم الحملات العسكريّة، وكان وزير الشّيخ عثمان وبذلك عرف ولقب بالوزير ثمّ أصبح في أواخر أيّامه يقوم مقام الشّيخ عثمان في مجال التّربية والإعداد والتّعليم ولهذا حمل لقب (الأستاذ و الشّيخ) وكان له أتباع ومريدون وطلّاب في مقرّه بغواندو الذي أصبح مركزاً علمياً يأوي إليه الطّلاب من جميع أنحاء غرب إفريقيا.⁽⁴⁾

(1) إلهام محمّد علي ذهني: المرجع السّابق، ص 36 .

(2) هارون إبراهيم كلو: الشّيخ عبد الله بن فودي ومساهمته في مجال علم مصطلح الحديث، مجلّة العلوم والبحوث الإسلاميّة، العدد 02، منشورات جامعة السودان، 2011، ص 02 .

(3) عبد العظيم محمّد الأجلط: المفسّر عبد الله بن فودة وأثره الدّيني في نيجيريا الإسلاميّة، مجلّة السائل، (د.ع)، جامعة مصراتة، ليبيا، (د.ت) ص 11 .

(4) هارون إبراهيم كلو: المرجع السّابق، ص 02 .

لما كان كاتباً مبيناً ولغوياً بارعاً، ألف ما يقرب من مائتي كتاب ورسالة وأكثر كتبه يغلب عليها طابع اللغة والقانون الإسلامي والسياسة الإسلامية، ويمتثل ذلك كتبه الموسومة بـ "الضياءات" وهي اثنا عشر كتاباً: ضياء السلطان ضياء الإمام في صلاح الأنام، ضياء الاحتساب، ضياء السياسات، وفتوى النوازل، ضياء الحكام فيما لهم وما عليهم من الأحكام، ضياء العلماء في أدلة الأئمة، ضياء المجاهدين، حماة الدين الراشدين، ضياء الفوائد، ضياء المقتدين بالخلفاء الراشدين، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ضياء السنة، ضوء المصلين (1).

وصف الشيخ عبد الله بعربي السودان نظراً لاهتمامها الكبير بالكتابة باللغة العربية كما وصف من قبل الباحثين بأكبر عالم وباحث عرفته إفريقيا الغربية في القرن 19م. (2) توفي حوالي 1246هـ/1830م (3).

الشيخ محمد بلو (4): وتكتب أحياناً بلّ، هو ابن الشيخ عثمان بن فودي، ولد يوم الأربعاء في شهر ذي القعدة عام 1195هـ/1780م، وقد تربى على يد والده، والذي كان يعتبر ساعده الأيمن، وقد حفظ محمد بلو القرآن الكريم وعلوم التفسير والحديث، وأصول الدين على يد والده، كما كان مولعاً بعلوم التاريخ. (5)

فصاحب الابن أباه و تعلم منه ومن عمه الشيخ عبد الله بن فودي ومن شقيقه محمد سعد بن عثمان العلم والعمل في محاربة الظلم والطغيان من حكام بلده الذين وقفوا في وجه دعوة والده،

(1) مصطفى الغديري: المرجع السابق، ص 283 .

(2) ماهر شعبان: المرجع السابق، ص 29 .

(3) عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 88 .

(4) بلو: وتكتب بلّ معناها: المساعد والمعاون، وقد أطلق عليه هذا اللقب لأنه كان معاوناً لأبيه عثمان بن فودي، أنظر:

محمد بلو: المصدر السابق، ص 13 .

(5) محمد بلو: المصدر نفسه، ص 13 .

وقلّده والده منصب قيادة الجيش على النّاحية الشّرقية سنة 1808 م وقام ببناء مدينة سكوتو Sokoto وجعلها عاصمة له سنة 1809م⁽¹⁾، وتمّت له البيعة على عهد والده الذي قرّر أن ينعزل بسيفاوا Sifawa لينفّرخ للتّدريس وتعليم النّاس⁽²⁾.

وقد تنوّعت مؤلّفاته، ففي المجال الدّيني له كتب من أشهرها: التّبيّيات الواضحة فيما جاء في الباقيات الصّالحة، وفي مجال العلوم الطّبيّة له كتاب : الموارد التّبويّة في المسائل الطّبيّة، وفي اللّغة والتّصوّف له كتاب: فن علم الجمل النّحويّة وكتاب : السلسلة القادرية أمّا في التّاريخ فله كتاب: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور⁽³⁾.

بالإضافة إلى النّشاط العلمي لمحمّد بلّو، فقد شارك والده في جميع معارك الجهاد التي خاضها ضد إمارات الهوسا ، وتولّى الوزارة لأبيه، وبعد وفاة الشّيخ عثمان بن فودي تولّى قيادة الدّولة⁽⁴⁾.

وقد توفّي محمّد بلّو يوم الخميس 25 رجب 1253 هـ، عن عمر يناهز 58 سنة⁽⁵⁾، ودفن ببورنو قاعدة خلافته ، وقد كان قد أوصى بدفنه فيها أواخر حياته، ومدّة خلافته 21 سنة⁽⁶⁾.

(1) مصطفى الغديري: المرجع السّابق، ص 284 .

(2) المرجع نفسه: ص 284 .

(3) محمّد بلّو: المصدر السّابق، ص 13 .

(4) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: الصّوفيّة والمجتمع في غرب إفريقيا، المكتب المصري للمطبوعات، القاهرة، مصر، 1999، ص 38.

(5) محمّد بلّو: المصدر السّابق، ص 13 .

(6) مصطفى الغديري: المرجع السّابق، ص 284 .

والملاحظ أنّ الشيخ محمّد بلّو، قد جمع ما بين العلم والسياسة والقيادة العسكريّة، فنجد أنّه ألّف الكتب وتولّى الحكم وقاد الكثير من المعارك في حياة أبيه أو بعد وفاته، وهذا ما يعكس لنا حقيقة عظمة هذه الشخصيّة في تاريخ إمارة سكوتو .

أسماء بنت الشيخ عثمان : ولدت عام 1207هـ/1792م في نيجيريا ، ولما كانت المرأة وقتئذ محاصرة ومعزولة اجتماعيًا ومهمّشة علميًا ، حمل والدها لواء تعليم المرأة العلوم الشرعيّة وتخليصها من الجهل الذي فيه، وتابعت هي خطّته.⁽¹⁾ فحفظت القرآن الكريم في مدرسة والدها بسكوتو ، وتعلّمت اللّغة العربيّة وأصولها على يد والدها، كما تعلّمت أصول الدّين.⁽²⁾

اهتمّت أسماء بتعليم المرأة الفلانيّة وجهاد المرأة المسلمة، كما نظمت الشعر وكتبت العشرات من المؤلّفات باللّغتين العربيّة والفلانيّة في تفسير القرآن الكريم والسيرة النّبويّة ، كما أرخت لحياة والدها الشيخ عثمان بن فودي، وأخيها محمّد بلّو .⁽³⁾

ومن أهمّ مؤلّفاتها: تاريخ خلافة سكوتو ، تبشير الإخوان بالتّوسّل بسور القرآن عند الخالق المئان، ومن بعض موضوعات قصائدها: دعاء ورجاء النّصر على جيش غويبير، دعاء من أجل النّصر على الأعداء مع رجاء التّوفيق للمسلمين، مدح القرآن الكريم ، مرثية عبد الله بن فودي، مرثية المعلم البخاري...⁽⁴⁾

(1) محمّد خير رمضان يوسف: المؤلّفات من النّساء ومؤلّفاتهن في التّاريخ الإسلامي، ط2، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000، ص 97 .

(2) محمّد سعيد القشّاط: المرجع السّابق، ص 39 .

(3) المرجع نفسه: ص 40 .

(4) أيّوب بن علي ناجي: المرجع السّابق، ص 127 .

الملاحظ أنّ الشيخ بن فودي قد أولى عناية كبيرة بمسألة تعليم المرأة وإخراجه من ظلمات الجهل والامية التي كانت تعيشها في بلاد الهوسا، لذلك برزت عدّة نساء عالمات في إمارة سكوتو وعلى رأسهنّ ابنته أسماء .

الحاج عمر لفوتي : كانت حركة الحاج عمر لفوتي من أكبر الحركات الجهادية في إفريقيا الغربية والوسطى، حيث ولد الحاج عمر لفوتي، نسبة إلى منطقة فوتا في السنغال في عام 1212 هـ، حفظ القرآن الكريم وعمره اثنا عشر سنة، وبعدها طلب العلم في عدّة جهات من السودان الغربي (1).

ووصفه توماس أرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام: "إنّه رجلا كريم السجايا، ذا نفوذ شخصي ومظهر يوحى بالسيطرة والقوة اشتهرت بعلمه وورعه حتّى عدّ مهديا جديدا . (2)

بعد ذهابه إلى الحجّ تأثر بالحركة والدعوة الوهابية التي قادها الشيخ محمّد بن عبد الوهاب كما تأثر بمبادئ الشيخ عثمان بن فودي في مجال الدعوة والإصلاح، داعيا الناس للعودة على سيرة السلف الصالح . (3)

وتندرج الحركة الجهادية للحاج عمر الفوتي في سياق الظرفية الاستعمارية التي زادت حدّتها في منتصف القرن 19م، والتي كانت لها تأثير كبير في نفسيّة الأهالي ، والتي أدت إلى ظهور زعماء محليين، رفعوا لواء الجهاد ضدّ الحركات الاستعمارية الأوربية. (4) التي أعلنها

(1) cheikh hamidou kanie, Georges balandier : lèpopée dèlhadj oumar, le point references, nombre 2012, P.54

(2) أحمد شلبي: المرجع السابق، ص 39 .

(3) ماهر شعبان: المرجع نفسه، ص 39 .

(4) ابن عمر عبد الله : تجربة الإصلاح في فكر الحاج عمر بن سعيد الفوتي في بلاد السودان الغربي، مجلّة دراسات إفريقية، العدد 50، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، 2013، ص 122.

الحاج في زمن التّغلغل الفرنسي إلى غرب إفريقيا، وقد أعلن الحاج عمر الجهاد انطلاقاً من مسقط رأسه فوتاتور بالسّنغال، ممّا أعطاه شعبيّة كبيرة، فانظّم إليه وسانده عدد كبير من الأُنصار. (1)

كان الحاج عمر تال من مريدي الطريقة التيجانيّة، وكان لإتّباعه لها أثر كبير على سلوكه الحربي، حيث كان عنيفاً مع معارضيه، وشنّ هجمات متكرّرة وعنيفة ضدّ الوثنيين والمسلمين على السّواء. (2)

اذ يعتبر أن المسلمين الذين والوا الوثنيين هم منهم، وفي الحقيقة هذا التكفير لهؤلاء المسلمين إنّما صدر عن الشيخ دان فوديو على أولئك المسلمين الذين والوا كفار البرنو والكانم وحاربوا الفولانيين هناك فكفّرهم الشيخ عثمان، ومن ثم فإنّ الحاج عمر قد اتّبع فتوى الشيخ عثمان في التكفير.

وقد نتج عن هذه الحركة الجهاديّة التي دامت 15 سنة ، توجّ بتقليده لقب "الحاج" والذي كان يمنح صاحبه امتياز التّصدّر والرّعاية والحكم إبّان عهد مملكة مالي. (3)

وقد استمد الحاج عمر تال فكرة اقامة الدولة الاسلاميّة، من منظومة القيم والمعارف التي آمن بها منذ تكوينه الديني والعقدي الذي اكتسبه من مشايخه في المنطقة، وكذا صيت الدولة الاسلاميّة التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي والتي ستكون بمثابة الإلهام والدافع الذي سينهل منه الكثير من الزعماء في بلاد الهوسا.

(1) إلهام محمّد على ذهني: المرجع السّابق، ص 50 .

(2) المرجع نفسه: ص 51 .

(3) ابن عمر عبيد الله: المرجع السّابق، ص 127 .

وكان الحاج عمر لفوتي منهما في الدّعوة والإصلاح ، وكيفية بناء دولة إسلامية قوية، حيث شرع في تكوين جيش نظامي، إذ كان يوظّف أفراد من أنصار الطريقة التيجانية المنتمين إلى قبائل التكرور ليخوض بهم الجهاد في سبيل الله .⁽¹⁾

رفع الحاج عمر الفوتي شعار الجهاد والتّغيير والوقوف ضدّ الوثنيين الذين ألصقوا بالإسلام ما ليس فيه، إذ بين أنّه لا ينبغي للشّيخ أن يبقوا متفرّجين على الظلم والتّعسف الذي يحدث في المجتمع والذي قاده الأمراء الوثنيين. ودعا الى تغيير جذري في النظام التعليمي عند المسلمين.⁽²⁾

وقد قام الحاج عمر بدور هام في حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، إذ امتدّ جهاده إلى مناطق عديدة في غرب إفريقيا، داعيا النّاس إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، وكانت لانتصاراته الأثر الكبير في انتشار الإسلام بغرب إفريقيا وبلاد الهوسا، خلال القرن 19 م.⁽³⁾

ومن أبرز ما حقّقه من انتصارات، أنّه أصبح يحكم إمبراطورية واسعة تمتدّ من تمبكتو إلى المحيط الأطلسي على مدار أربعين سنة .⁽⁴⁾

وللشيخ العديد من المؤلّفات التي تعتبر من المصادر الهامة في تاريخ غرب إفريقيا، ونذكر منها: رماح ضرب الرّحيم على نحو ضرب الرّحيم، سيوف السيّد المنتصر في أهل الله، وقد

(1) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 312 .

(2) ابن عمر عبيد الله: المرجع السابق، ص 139 .

(3) ماهر شعبان: المرجع السابق، ص 40 .

(4) المرجع نفسه: ص 40 .

أبدى فيها تأثيره الكبير بالطريقة التيجانية، حيث ساهم في نشرها، وتحدثت فيها عن الزهد والتصوّف، كما كان يركز كثيرا على إعادة الدين إلى صفاته الأساسية ونقائه الأول. (1)

لقد رسّخ عمر تال بين أبناء المنطقة مبادئ الدين الإسلامي، وحثهم على عبادة الله وعلى القيام بالشعائر الإسلامية بكل إخلاص وإبعاد أنفسهم عند التّساهل في ذلك ، وتبيّن فضل الجهاد وحسن القائمين به. (2)

يلاحظ أن الشيخ عمر تال ، يختلف نوعا ما على الشيخ عبد الله بن فودي أو محمّد بلّو، فعمر تال من خلال إنجازاته العسكرية وتوسيع مملكته، فهو رجل حرب وسياسة أكثر من أنّه رجل علم، والدليل على ذلك المعارك الكثيرة التي قادها ضد الوثنيين والمسلمين الموالين لهم، إلّا أنّه أسهم في نشر الطريقة التيجانية بغرب إفريقيا، وقاوم الاستعمار الفرنسي الى آخر رمق .

الشيخ أحمد لوبو الماسيني : ولد الشيخ أحمد حمدي لوبو بري سيسي (3) ، في قرية ينغسري yongosirè ببلاد ماسينا عام 1776م، وفي بعض الروايات أنّه ولد عام 1775م . وقد توفي والده بعد سنتين من ولادته، وكفله جدّه لأّمّه، وهو أول من لقنه القرآن الكريم. (4)

(1) djibril tamsia mine, j-suret : historie de l'afrique occidentale, canal presence afrique, 1961, p.9

(2) أبو بكر خالد: من كفاح في إفريقيا الغربية الحاج عمر الفوتي - حياته وجهاده - ط5، منشورات المعهد الموريتاني للبعث العلمي ، موريتانيا، 1980، ص 26 .

(3) لُبو loubou: أي الجميل، وقيل لوبو أي : الرمح، أي أحمد الجميل أو أحمد الرمح، وبري: فرع من فروع القبائل الفولانية، سيسي : لقب لأي عالم ديني، ويذهب الباحثين إلى أنّ الشيخ أحمد أخذ لقب سيسي من شيخه " ألفا حميد سيسي" بدلا من لقبه سنغري بري ، وصار لقباً على كلّ عالم فيما بعد، أنظر: علي يعقوب : حياة الشيخ أحمد حمدي لوبو ودولته الإسلامية في ماسينيا ، مجلّة قراءات إفريقية، العدد 8، الرياض، السعودية، 2011، ص 5 .

(4) Amadon patè bah: l'empire peul du macina, paris, 1956, p. 21 .

ويذهب بعض الباحثين إلى أنّ الشيخ أحمد لبو كان من قادة الشيخ عثمان ، وكان يعمل في أرض سنغاي songaye بحوض النيجر من قبل شيخه عثمان .⁽¹⁾

ولكن لو نظرنا إلى عام ابتداء جهاد الشيخ أحمد 1818م ، نجد أنّه بعد وفاة الشيخ عثمان عام 1817 م بسنة، ممّا يدلّ على أنّ جهاده ومراسلاته كانت في عهد محمّد بلو ابن الشيخ عثمان، ويذهب بعض الباحثين أيضا إلى أنّ الشيخ أحمد قد ذهب إلى سكوتو sokoto وشارك في الجهاد مع الشيخ عثمان وكان من حملة الألوية في جيشه .⁽²⁾ ولما أتمّ الشيخ جهاده رجع إلى ماسينا macina متزعمًا الحركة إصلاحية دينية⁽³⁾.

وقد سار على نهج الشيخ أحمد لوبو الماسيني العديد من العلماء وكبار التجار، وطلب منهم توحيد الصّوف، من أجل إقامة دولة عادلة وقوية، وقد شكّل منهم لجنة وطلب منهم إعطاء مقترحات تخدم هذا الهدف، حيث كان له ذلك ووافق على مقترحاتهم، حيث يشكل مجلس الشورى يتكون من أربعين عالما ، وقد كان هو من بين أعضائه .⁽⁴⁾

كانت الدولة التي أنشأها الشيخ أحمدو مخالفة للدويلات الأخرى التي قامت في المنطقة، تميّزت بمركزية نظمها الإدارية، وتنظيم القوى الأمنية والعسكرية، وكذا تنظيم عملية تحصيل الضرائب وتوفير المصالح العامة .⁽⁵⁾

(1) ابراهيم طرhan: إمبراطورية الفلانين الإسلامية، مجلة كلية الآداب، العدد 6، جامعة الزياض السعودية، 1979، ص 95 .

(2) علي يعقوب: المرجع السابق، ص 6 .

(3) حسن أحمد محمود : الإسلام والتّافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1987م، ص26.

(4) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 154 .

(5) بريما عثمان باري: المرجع السابق، ص175 .

كما اهتمّ الشيخ بتحسين عاصمة البلاد، وذلك من أجل حمايتها من هجمات الأعداء، كما قسّم المدينة إداريًا إلى خمس أقسام يشرف على إدارة كلّ قسم من هذه الأقسام مسؤول يدير القسم ، ومرتبة تعادل مرتبة القاضي . (1)

تعكس هذه الاستراتيجية التي طبقها الشيخ أحمدو، مدى تأثيره بامارة سكوتو وخاصة بشخصية عثمان بن فودي، وهذا ليس غريباً فقد صاحبو لفترة من الزمن وعمل تحت امارته فأخذ عليه الكثير من فنون ادارة الدولة .

وقد ركّز الشيخ على النّظام الاقتصادي ، حيث سعى إلى إقامة نظام اقتصادي إسلامي، كما شجّع كذلك على إنشاء المدارس التي وصل عددها إلى 600 في العاصمة وقد أمر ببناء المساجد في كلّ القرى. (2)

كما سعى إلى توطيد علاقاته الخارجيّة، حيث مثلاً أرسل الشيخ سفيرين له إلى السلطان محمّد بلّو وذلك للتزود من معارف الشيخ عثمان بن فودي. (3)

لقد نجح الشيخ أحمد لوبو الماسيني في تكوين دولة إسلاميّة في منطقة النّيجر الأوسط عاصمتها "حمد الله" وتمكّن من نشر الإسلام والقضاء على الوثنيّة وكون دولة على غرار دولة الفولاني . (4)

(1) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص154 .

(2) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص:154 .

(3) المرجع نفسه: ص154 .

(4) إلهام محمّد علي ذهني: المرجع السابق، ص47.

توفي الشيخ سنة 1276هـ/1844م، وخلفه ابنه أحمد وشيخو الذي واصل على نفس طريق والده، وقد أثرت حركة الشيخ وابنه تأثيرا واسعا في المنطقة، والتي ازدهرت بها وبسببها الإسلام بين شعوب المنطقة. (1)

لقد تمكن الشيخ أحمد لوبو من ثم شمل منطقة ماسينا في جمهورية مالي في دولة واحدة تخضع لحكم الشرع الإسلامي المبني على القرآن الكريم والسنة النبوية، وعمل السلف الصالح. (2)

الشيخ أحمد البكاي الكنتي : ولد الشيخ أحمد بكاي الكنتي بتنكبوتو، وبها نشأ وتعلم علوم الدين وحفظ القرآن الكريم على يد والده محمد، وقد ترعرع في بيت علم وورع وتقوى. (3)

تنوّع قبيلة كنته بين منطقة أروان في موريتانيا الحالية، وتوات (4) في الجنوب الغربي الجزائري، ومنطقة أزواد إلى الشمال من تنبيكتو في جمهورية مالي حاليا، وكلّ هذه المناطق توجد بها زاوية كنتة. (5)

وتعتبر قبيلة كنتة من القبائل الإفريقية التي كان لها دور كبير في تاريخ المنطقة، وكلمة "كنتة" معناها : الرجل القوي الشديد واتخذت اسمها من مؤسسها الأول الشيخ محمد

(1) أحمد شلبي: المرجع السابق، ص 230 .

(2) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 219 .

(3) محمد سعيد القشاط: المرجع السابق، ص 19 .

(4) توات: يعتقد الرصاع بأن أصل التسمية لأحد البطون المنحدرة من قبيلة الملتمين سكان الصحراء، حيث يقول: "والملمثون هم قبائل الصحراء بالجنوب، عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق ومنهم طوائف الطوارق ولمطة ولمتونة و التوات" ويرى الفشتالي، أن اسم توات أصله بربري ومعناه: الواحات. أنظر: محمد الأنصاري أبو عبد الله الرصاع: فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1976، ص 127، وينظر أيضا إلى: عبد العزيز الفشتالي: مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، المغرب، 1972، ص 73 .

(5) عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 98 .

الكنتي، وهو والد أحمد بكاي الكنتي، وقد ساهمت في ظهور علماء كان لهم دور كبير في الحياة الثقافيّة والحركة الإصلاحية في المنطقة، ونذكر منهم الشيخ أحمد البكاي الذي يعتبر من أشهر قادة الطريقة القادرية والذي عاش في نهاية القرن 9/هـ/15م،⁽¹⁾ وقد عمل على نشر دعوته في غرب إفريقيا، وقد عرفن بالطريقة البكائية .

وقد اتخذ الشيخ تنبكتو كمركز للتعليم، ونشر مبادئ الطريقة القادرية، ثمّ تولّى زعامة كنتة بعد انتخابه عام 1847م.⁽²⁾

امتازت فترة حكم الشيخ بالخلافات والاضطرابات في المنطقة، حيث بدأت أولاً مع الماسنيين الذين قادوا حركة جهادية في حمد الله، واعتبر الشيخ أنّ فهمهم للإسلام خاطئ وغير متكامل، وذلك كونهم لا يتقنون اللغة العربية، وقد كانت له مراسلات مع الشيخ عثمان بن فودي، حيث تأثر به من حيث طريقة تكوين دولته التي أسسها طبقاً للنظام الإسلامي الصحيح.⁽³⁾

وقد راسل كاوي بن السلطان أمّ علي الشيخ الكنتي في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وفي رسالة كاوي مبالغات ومخالفات عقديّة: "فيسلم السلطان كاوي بن السلطان أمّ علي وسيلة لوليّ أمره، ومالك نفعه وضره الشيخ الكنتي.. وأعلم يا شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا أنّ قلوبنا من التعلّق بها لا ترضاه سليمة"، وفي ردّ الكنتي عليه الكثير من النصائح والإرشادات.⁽⁴⁾

(1) أحمد شلبي: المرجع السابق، ص 22 .

(2) عبد القادر زيادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 13 .

(3) عبد القادر زيادية: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 98 .

(4) هارون المهدي ميغا: المراسلات العلمية لعلماء غرب إفريقيا في العصر الحديث وأثارها العلمية والاجتماعية، مجلة قراءات إفريقية، العدد 17، الرياض، السعودية، 2013، ص 99 .

كان أحمد البكاي أحد أبرز القادة الذين رسّخوا الطريقة القادرية في غرب إفريقيا. (1) وكذلك ففيها بارعا خاصة أسلوبه اللغوي السليم والمتين، وقد ألّف عدّة رسائل وفتاوى تناولها الكثير في زمانه، وقبل وفاته سنة 1866، (2) أدرك خطر الاحتلال الفرنسي ، حيث عرف أهدافهم وحاول إيجاد الطرق الكفيلة لإبعاد خطرهم عن المنطقة .

الشيخ محمّد الأمين الكامي : ولد محمّد الأمين المشهور بالكامي بمنطقة فزان شمال شرق البلاد الليبية، حيث تلقى تعليمه الأوّل في مسقط رأسه، وقد حفظ القرآن الكريم ودرس علوم الشريعة، واللغة العربية وآدابها . (3)

لعل الاهتمام بالتعليم التقليدي المقتصر على تعلّم اللغة العربية والدين الاسلامي، كانت من أهم السمات البارزة التي غلبت على الطابع التعليمي في البلاد الاسلامية بصفة عامة، فكان كل طلبة العلم هذا ديدنهم، سعيا منهم للوصول الى درجة عليا في التمكن من علوم اللغة والدين، لكسب مناصب راقية في المجتمع آنذاك.

نشأ الشيخ محمّد الأمين الكامي في منطقة بحيرة تشاد، (4) وسافر إلى مصر ودرس بالأزهر الشريف خمسة سنوات ، وقد زار بيت المقدس وأقام بها عامين وذهب إلى مكة المكرمة وبقي فيها ثلاث سنوات وبالمدينة المنورة عامين، وقد وسّع معلوماته واكتسب خبرة من هذه

(1) محمّد سعيد القشاط: المرجع السابق، ص 21 .

(2) عبد القادر زبادية: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 101 .

(3) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 181 .

(4) بحيرة تشاد : تتربّع على مساحة 25 ألف كلم²، قليلة العمق، مياهها عذبة تشترك مع حدود كلّ من نيجيريا والنيجر والكامرون وتشاد، أنظر: إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 م ص 25 .

الرحلات، حيث احتكّ بطلّاب العلم والعلماء والفقهاء من مختلف المذاهب والمشارب واستفاد منهم، فاكسب شهرة واسعة في ميدان الثقافة الإسلاميّة. (1)

قصد محمّد الأمين منطقة بحيرة تشاد، وكلّه أمل في أن يقوم بدعوة إصلاحية لتتقية العقيدة الإسلاميّة في تلك النواحي من الشوائب والبدع والخرافات التي علقت بها خلال القرون المتأخّرة، والقضاء على الدجل والفتن التي ما انفكت تزداد يوماً بعد يوم، حتّى كادت تعصف بالمجتمع هناك، وتذهب بعض الروايات إلى القول أنّ سلطان "برنو" محمّد بن علي هو الذي طلب منه ذلك. (2) ولعلّ ما مهّد له السبيل وساقه إلى عرش مملكة برنو الإسلاميّة، ما كان يتمنّع به الشيخ من شهرة كبيرة وسمعة طيبة وذكر حسن، بسبب تضلّعه في العلوم المختلفة وتبحّره في العديد من فنونها وأنواعها. (3)

وتجدر الإشارة، أن مظاهر الوثنية والجهل كانت تضرب بأطنابها في كامل بلاد الهوسا وليس تشاد فقط، وهذا ما دفع بالعديد من الدعاة والمصلحين، على غرار محمد الأمين الكانمي إلى الأخذ على عاتقهم مهمة الإصلاح والوعظ والارشاد، قبل القيام بأي مشروع سياسي.

كوّن الشيخ محمّد الأمين فرقة للمقاومة كان أكثر أفرادها من كانم، ولكنّ سرعان ما كثر متّبعيه، وكان لأخذه لقب الكانمي أثر كبير في زيادة وتوثيق الاتصال به وكان يلقّب في المنطقة بالشيخ. (4) وكان يتمنّع بشخصية قويّة وصبر على الشدائد وكان لا يخشى في الحق

(1) أمير أسبر: إفريقيا والعرب، دار الحقائق للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1980، ص 24 .

(2) حسين مؤنس: أطلس العالم الإسلامي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1987، ص 387 .

(3) أحمد شلبي: المرجع السابق، ص 295 .

(4) المرجع نفسه: ص 294 .

لومة لائم، فكثّر أتباعه وتلاميذه الذين ينتمون إلى مختلف القبائل والبطون التي استوطنت حوض بحيرة تشاد وما جاورها. (1)

بينما كان الشيخ يدعو الناس ويصحّ عقيدتهم ويصلح من أحوالهم لإعادتهم إلى جادة الإسلام الصّحيح، حافت بالبلاد المخاطر وحفّتها من كلّ جهة ودقّ ناقوس الخطر في كلّ ركن من أركانها، ووقع الحكام في حيرة من أمرهم، في هذه الأثناء وفي غمرة هذه الأحداث اتّصل به حكام برنو، واستتجدوا به للدّفاع عن سلطانهم والدّود عن حياض ملكهم المهدد من طرف حكام سكوتو، خلفاء عثمان دان فودي قلبى الطّلب. (2)

استنكر الشيخ هذا السلوك الذي قام به أتباع الشيخ بن فودي متّهما إيّاهم بالشّدّة والتّسرّع والتّظرف المشين واستباحة سفك دماء المسلمين الأبرياء واستحلال أراضهم وأملكهم بغير وجه حق، في سبيل إرضاء الطّموحات الشّخصيّة والتّزوات التّفسيّة. والتّزاعات العصبية التي أدانها الإسلام ومقتها ودعا إلى العزوف عنها والتّخلّص منها نهائياً، كما شكّ الشيخ في مشروعية هذا الجهاد (الحرب المقدّسة). (3)

إنّ الأسباب التي تذرّع بها مجاهدو سكوتو sokoto ، أسبابا لا ترقى إلى حدّ حمل السيف واستخدامه، بيد أنّهم اتّخذوا منها ذريعة لرفع راية الجهاد ضدّ مملكة "برنو" وهو لا يستدعي حقيقة جهادا في هذه البلاد الإسلاميّة. (4) فالفساد السّياسي والاجتماعي والانحطاط الخلفي ليس مقصورا ولا محصورا في ناحية ما من العالم الإسلامي، بل الفساد قد استشرى وعمّ جميع البلاد الإسلاميّة مغربها ومشرقها .

(1) حسن ابراهيم حسن : إنتشار الإسلام في القارة الإفريقيّة، ط2، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، مصر، 1964، ص129

(2) المرجع نفسه: ص274 .

(3) W-July.rebert: histoire des Peuples d'afique.tome 2,nouveaux horigon.s.e.200.1997,p.46-60

(4) احمد بوعتروس، المرجع السابق، ص186 .

ولقد دارت العديد من المراسلات بين محمد الأمين الكانمي ومجاهدي الفولاني الذي يمثلهم الشيخ بلو، وقد جاء في أول خطاب موجّه من الشيخ الكانمي إلى محمد بلو مستنكرا عليه أمر الجهاد، بما يأتي قوله⁽¹⁾ : ".لما ساقنتي المقادير لهذا الإقليم وجدت النار بينكم وبين أهل الوطن موقدة فسألت عن السبب، فقيل بغي، وقيل سنّة، وتحيرنا في الأمر..فقمنا مدافعين عن أنفسنا متبرئين لله من سوء صنيعكم حين ضاقت علينا الأرض ولم نجد مقاما ولا مجالا".

لم يتوقّف خطاب الشيخ عند هذا الحدّ، بل راح يكبر ويستنكر على المجاهدين بعض الأعمال مستهجنا ما ترتّب من مآسي وأحزان جرّاء الحرب بين المجاهدين وسكان برنو فيقول:⁽²⁾ ".فاخبرونا عن قتالكم واسترقاقكم أحرارنا ، إن قلتتم فعلنا ذلك لكفركم، فإنّا من الكفر براء، وهو بعيد عن ساحتنا، فإذا كانت إقامة الصلّاة وإيتاء الزّكاة ومعرفة الله وصوم رمضان وعمارة المسجد كفر، فما الإسلام؟ فهذه الأبنية التي أقمتم بها الجمعة كنائس أم بيع أم بيوت نيران؟ وإن كانت غير شعائر الإسلام ، فلم صليتم فيها حتي ملكتم، هل ذلك إلاّ إطلاق متناقض؟ أمّا عن المخالفات التي يرتكبها الأمراء وعامة النّاس من ركوب إلى بعض الأماكن المقدّسة بغرض التّصدق وكشف رؤوس النّساء وأخذ الرّشوة وأكل مال اليتيم والجور في الحكم، فإنّ هذه الأشياء مع تحريم مرتكبيها إلاّ أنّها لا تستدعي إقامة الجهاد".

ومن هذه الرّسالة الموجّهة إلى المجاهدين، نلاحظ الأسلوب العلمي الواضح في الخطاب، والدبلوماسية البعيدة عن المخاتلة والخداع، والحوار المرن الخالي من أيّة لهجة حادّة أو تحدّ للخصوم مخاطبا فيهم العقل والعاطفة معا، نافية عن أهل برنو صفة، الكفر ، سائلا

(1) أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص 89 .

(2) المرجع نفسه: ص 89.

المقدّمين على حقيقة الإسلام وكنهه.⁽¹⁾ وبأسلوب الاستفهام والعتاب يسأل المجاهدين ويستفزهم عن إقامة الصلّاة في أبنية أهل برنو إذا لم تكن مساجد ودور عبادة؟ .

وبأسلوب العالم المتديّن العارف لحدود الشريعة ومقاصدها ينبّه إلى ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتّوجيه والإصلاح دون ضرورة لحمل السيّف وإقامة الجهاد.

إنّ الشيخ الكانمي لم يكن مؤيّد لدعوى مجاهدي سكوتو sokoto، لذلك ذهب يسفه أقوالهم في أمر الجهاد، بل اعتبرها تطرّفًا في الدّين، فليس من الشريعة محاربة مسلم لمسلم ورفع السيّف في وجهه، واعتبر هذا فعلة شنيعة، وكبيرة من الكبائر التي حرّمها الإسلام. قال تعالى: ⁽²⁾ " ولا تقتلوا أنفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون "

وكان يرى أنّ الدّعوة تكون بأسلوب اللّين والمرونة وبالموعظة الحسنة، كما أمر بذلك القرآن الكريم والسنة النبويّة الشريفة، قال تعالى ⁽³⁾ : " ولتكن منكم أمة يدعوون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك لهم المفلحون . "

حاول مجاهدو الفولاني تنفيذ ما قاله الشيخ الكانمي، فكانت للشيخ محمّد بلّو عدّة ردود، ولعلّ من أهمّها: تبين أنّ جهادهم منطقي وعمل مشروع وأنّه فرض عين، ومن بين ما ذكره: ⁽⁴⁾ " أنّ المجاهدين لم يكفّروا عامّة الناس في برنو ولا حكام برنو لكفرهم بالأصالة بل أنّهم والوا الكافرين من حكام بلاد الهوسا، على المجاهدين المسلمين " .

(1) احمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 188.

(2) سورة الأنعام: الآية 151 .

(3) سورة آل عمران: الآية 104 .

(4) علي بن أيّوب ناجي: المرجع السابق، ص 81 .

ويبدو أنّ مجاهدي سكوتوا، اعتمدوا في جهاد سگان المملكة البرنوية بناء على قوله تعالى: (1) " يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمُ وَالْكَفَّارِ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مَّؤْمِنِينَ".

ومما جاء في ردّ الشّيخ محمّد بلو⁽²⁾: "...ويا عجباً منك" الكاغي " لو كان نكفر عامة المؤمنين لم نتخذ مساجدهم لنا مساجد كما زعمت، فكلامك هذا متناقض".

ثم يضيف: (3) "...إلاّ أنّ جميع ما ذكرته فينا مغالطات ومشاغبات اتخذتها ذريعة إلى الجرح والقدح على المسلمين وسولت لك نفسك وخيلت أنّ ذلك يستقيم لك حجة في مذهبك الفاسد وهيهات ذلك ، وأنّ ما سبق في قلبك ما سبق ، وكاتببت أمثالك فسمعت منهم مقالات غير لائقة إمّا القصور ببيانهم عن الحقيقة أو لسوء فهمك والله تعالى أعلم".

ومن خلال الدّراسة، يبدو أنّ ردود محمّد بلو لم تشمل كلّ النّقاط والتّهم التي وجّهت إليهم - مجاهدو الفولاني- وألصقت بهم من قبل الكانمي في رسالته الأولى إليهم⁽⁴⁾، رغم ذلك فقد وقف محمّد بلو مدافعا عن آرائهم بكلّ قوّة، وقضى في ردوده في نهاية الأمر بتكفير حكام برنو لارتدائهم عن الشرع وأحكامه من وجهة نظره .

(1) سورة المائدة: الآية 57 .

(2) أحمد محمّد كانمي: المرجع السّابق، ص 91 .

(3) المرجع نفسه: ص 92 .

(4) أحمد بوعتروس: المرجع السّابق، ص 193 .

سعى الشيخ محمد الأمين لإرجاع الأقاليم التي وقعت تحت يد الفولانيين لكنّه لم ينجح، وبعدها أعلن الحرب ضد الفولانيين، حيث استعاد منهم برنو وأعاد إليها ملكها، وقام ببناء مدينة كوكا عام 1841م، وجعلها عاصمة له.⁽¹⁾

وبعد هذا الانتصار زادت شعبية الكامي خاصة بعد أن حقّق انتصارات كثيرة ضدّ الفولانيين فأصبح السلطان الحقيقي، أمّا السلاطين الحقيقيين فلم يبق لهم إلا الاسم ، وقد أدى هذا الوضع بالسلاطين أن حقدوا عليه وحاولوا التمرّد ضده، عندها أقدم الكامي على حكم البلاد بنفسه، وبذلك ظهرت أسرة جديدة ظلّت تحكم البلاد حتّى جاء الاستعمار ، وفي الفترة التي حكم فيها الكامي توسّع نفوذ برنو شرقا وغربا .⁽²⁾

وسيطر على المملكة وأسّس بها نظاما وراثيا ، حيث توفي عام 1846 م ، خلفه ابنه عمر، ثمّ ابنه أبو بكر وبعدها أخوه إبرام .⁽³⁾

لقد كان للشيخ محمد الأمين الكامي دور كبير في منطقة كانم وبورنو ، حيث بدأ بالدعوة والإصلاح ثمّ الدفاع عن المنطقة ضدّ الفولانيين ، حيث تمكّن من توقيع الصلح مع حليفهم محمد بلو في 1337هـ/1824م . حيث اتّفقا على شرعية واستقلالية كلّ طرف والتعاون بين الطرفين فيما هو فائدة للبلدين والشعبين .⁽⁴⁾

(1) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 181 .

(2) أحمد ثلبي: المرجع السابق، ص 296 .

(3) محمد سعيد الفشاط: المرجع السابق، ص 153 .

(4) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 194 .

عرف الشيخ الكانمي بميله للتسامح وحبّه للسلام وقتاله ضدّ آل فودي كان اضطراريًا. (1)
ويحسب للكانمي أنّه أنقذ البلاد والعباد في منطقته كانم وبرنو وما زالت سيرته وسمعته الطيبة
يضرب بها المثل في السودان الأوسط والغربي. (2)

(1) عبد القادر زيادية: المرجع السابق، ص 104 .

(2) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 197 .

الفصل الثاني

الجهود الدعويّة لدان فوديو وتأسيس

الإمارة

1- أوضاع بلاد الهوسا قبل ظهور حركة الشيخ دان فوديو**1-1- الأوضاع الدينية والاجتماعية و الثقافية:**

على الرغم مما بذل لنشر الإسلام في بلاد الهوسا فإن الإسلام لم يغلب على هذه البلاد وظلت بها جاليات وثنية حتى مطلع القرن 19م⁽¹⁾، حيث كان من الطبيعي أن تستمر بعض المعتقدات كالسحر والطقوس الوثنية لفترة من الزمن وحتى بعد إسلام السلاطين⁽²⁾.

والملاحظ أنه حتى في ظل الإسلام إلا أن بعض القبائل في البلاد الهوسا تخلط ما بين تعاليم الدين وخرافاتهم البائدة، فمثلا قبيلة الكبابيش تنتمي إلى الدين الإسلامي، لكنهم يحملون التمايم الجلدية التي تحوي بعض الآيات من القرآن أو شعر أحد الاولياء الذي يعتقدون أنه سيكشف اللصوص أو يخبرهم بالأشياء الضائعة⁽³⁾.

ومهما يكن من أمر، فإن تعدد الإثنيات وتنوع المعتقدات في بلاد الهوسا و نيجيريا كان أمر ملاحظا شأنها شأن كل القارة الإفريقية، ولقد تجلى هذا النوع الاثني في ذلك الانقسام والديني في الواقع النيجيري⁽⁴⁾، حيث نجد أن الشمال قد تسرب إليه الإسلام وأصبح يمثل دين

(1) عبد الخالق أحمدون: التواصل الحضاري بين المغرب و البلدان الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى من خلال وثيقة فقهية ، أعمال ندوة التواصل الثقافي و الاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس، ليبيا ، ما بين 12-14 ماي 1988 ، ص 521.

(2) جلال يحي: تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر ، 1999 ، ص 30.

(3) ونيس بولم: الحضارات القديمة ، ترجمة علي شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1974، ص 58.

(4) في هذا الصدد تم حصر المجال الجغرافي لهذه الدراسة، وذلك قصد الإمام قدر المستطاع بالواقع الديني والثقافي لبلاد الهوسا قبل ظهور حركة الشيخ عثمان بن فودي.

الأغلبية من سكانه والذي تسكنه قبائل الهوسا والفولاني، وفي الشرق والجنوب الشرقي والغرب ذي الاغلبية المسيحية الذي تسكنه قبائل اليوروبا والايبو.⁽¹⁾

وأشار الباحث عبد القادر عثمان إسماعيل في هذا الصدد، أن الناس من قبل ظهور الشيخ بن فوديو كانت على ثلاثة أقسام من الناحية الدينية: مسلمون محافظون، وكفار لم يعتنقوا الإسلام أصلاً، ومسلمون منحرفون عن الجادة، خلطوا بين الكفر والإسلام⁽²⁾.

فمن القسم الأخير لكثير من العلماء الذين اتخذوا القرب من الملوك سبيلاً لمعاشهم، فشجعوهم على انحرافهم و أعانوهم بشعو ذاتهم، وزينوا لهم الشرك ففعلوه، وحسنوا لهم الظلم فاستساغوه، ضاعت بذلك ثقة الناس بالعلماء، واتهموا الدين بظلم الفقراء والضعفاء، وازدروا المعرفة والدين نتيجة علماء الأمراء⁽³⁾.

وعليه كان الإسلام ينتشر انتشاراً بطيئاً بقي غريباً أو ضعيفاً أو محصوراً في بعض الجهات من بلاد الهوسا⁽⁴⁾، ورغم ذلك فإن توافد العلماء و المصلحين على السودان الغربي عموماً و بلاد الهوسا خصوصاً، ساهم في إعادة تصحيح الكثير من المفاهيم التي كانت مغلوبة في أذهان الناس، ولعلّ من أشهرهم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وغيره من

(1) السيد علي أبو فرحة: المسلمون في نيجيريا و إشكالية بناء الدولة ، مجلة قراءات إفريقية ، العدد 11 ، الرياض، السعودية، 2010 ، ص34.

(2) عبد القادر عثمان إسماعيل: الشيخ عبد الله بن فودي الفلاني وجهوده في خدمة القرآن الكريم وعلومه، منشورات جامعة ملايا، ماليزيا، (د-ت)، ص09.

(3) المرجع نفسه: ص09

(4) مهدي ساتي: الداعية الشيخ آدم الألوري "حياته وأثاره العلمية"، مجلة داسات دعوية، العدد: 8 ، جامعة الحكمة الإسلامية، ألورن، نيجيريا ، 2004، ص177.

المصلحين، مستغلين التفاف الأهالي حولهم فيأخذون في مساعدتهم في حل مشكلاتهم، دون إجبارهم على الدخول في الإسلام.

كان هؤلاء الدعاة والمصلحين يمتزجون بأبناء السودان بالمصاهرة و يختلطون بهم و يذوبون في المجتمع الإفريقي، ونتج عن ذلك تقبل السودانيين الإسلام و محاولة فهمه و قيامهم بدورهم بنشره من السودانيين⁽¹⁾

تعد حركة المصلحين والعلماء التصحيحية لمفاهيم الدين الإسلامي، ثورة حقيقية⁽²⁾، في تاريخ بلاد الهوسا التي ستكون بطروفها الاجتماعية مهذا لأحد أكبر الدول الإسلامية التي ستظهر في غرب إفريقيا.

إنّ التكتل الاجتماعي للقبائل الهوسوية يقوم على فكرة القرابة، فأفراد العائلة الذين ينحدرون من أصل واحد من جهة الأب أو من هم في خط عائلي واحد ستكون مجموعة مستقلة يشرف عليها من هو أقدمهم سناً، الذي يحفظ طقوس عبادة الأموات، ويشرف على الإرث العام ولا يملكه، وتنتقل السلطة من الأخ لبكر إلى الأخ الثاني أو بحب بعض المجتمعات من الأب إلى الابن أو من الخال إلى ابن أخته⁽³⁾، وفي بعض القبائل يتم توريث ابني الأخت والبنات فقط.

والملاحظ أن الحالة الاجتماعية متردية، فالظلم كان منتشرًا في المجتمع، و الضرائب تفرض على الناس بلا هوادة، فلقد كان الملوك يعتمدون على جيوشهم الخاصة ورجال البلاط لتحقيق

(1) جلال يحي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1999، ص31.

(2) مهدي ساتي صالح: المرجع السابق، ص4.

(3) ونيس بولم: المرجع السابق، ص120.

مطامعهم، فكانوا بعيدين منعزلين عن شعوبهم، فانقسم الشعب إلى سادة وأتباع، أما السادة فكان عمادهم الظلم والإرهاب، يخشون على ملكهم من الجيران و منافسيهم، بينما أفراد الشعب سواء أكانوا من الفلاحين أو أصحاب المهن، فقد عانوا الضرائب الباهضة وطغيان رجال الحكومة في جباية الأموال، وكانت تتوفر بالمدن الأموال الوفيرة بيد أنها تذهب إلى جيوب حفنة من الحكام⁽¹⁾.

إذا كان الحكام يلجؤون إلى العنف والقسوة في معاملتهم مع الرعية، وإذا كان الفلاحون والصناع يعانون من كثرة الضرائب التي تفرض عليهم فكيف يكون المجتمع الذي يحكمونه إلا غارقا في الفوضى وعدم الاستقرار، فهذه الأمور تعكس الحالة المتدهورة التي وصل عليها المجتمع في ذلك الوقت.

وعلى الرغم من سوء الحالة السياسية والاجتماعية، فقد شهدت بلاد الهوسا عصرا زاخرا بالنهضة العلمية عندما استقر فيها الفولانيون واتخذوها موطناً لهم بعد هجرة دامت قروناً من بلاد فوتاتور⁽²⁾، لقد ظهر في البلاد علماء أجلاء ذو آفاق واسعة في العلوم الفقهية واللغوية والتاريخية، من أمثال الشيخ ابن الصباغ والشيخ محمد بن سنة والشيخ محمد مود الكنتاوي⁽³⁾ وغيرهم، لذلك كثر إنتاجهم العلمي، إلا أن هذا التراث الضخم لم يحظى بالاهتمام المناسب عند الباحثين، والسبب في ذلك فيما يبدو، يرجع إلى ندرة وجود هذا التراث وقلة الباحثين في هذا المجال.

(1) عبد الرحمان زكي: تاريخ انتشار الإسلام في غرب إفريقيا، مهد الدراسات الإسلامية، القاهرة، مصر، (د-ت)، ص102.

(2) مصباح الدين جنيد: الشيخ عثمان بن فودي الفولاني وعقيدته على ضوء الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، السعودية،

1982، ص102.

(3) المرجع نفسه: ص ص 102-103.

تصدى العلماء للجهل و المنعقدات المنحرفة، وحاولوا الإصلاح في الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومن مظاهر ذلك تعديل قاعدة المواريث الإفريقية⁽¹⁾، كما حاربوا العادات و التقاليد الخارجة عن تعاليم الدين الإسلامي.

1-2- الأوضاع الاقتصادية والسياسية

تجدر الإشارة إلى أن قبائل الفولان التي استوطنت بلاد الهوسا، اعتمدت على الرعي كنشاط أساسي في اقتصادها، حيث أنهم يكونوا أحد المجتمعات البدوية النادرة في إفريقيا السوداء⁽²⁾.

وكانت قبائل الهوسا تمارس الزراعة والصناعة والتجارة، فعلى غرار قبائل الديولا الذين يشتغلون بنقل البضائع، فنراهم وهم يدفعون أمامهم الحمير التي تحمل على ظهورها الملح والتوابل وبعض البضائع الأوربية⁽³⁾، وقد ارتبط الفلاح الإفريقي بالأرض، حيث يقوم باستثمار الأرض كليا حتى آخر إمكانية عندها، وإلى جانب الأراضي المزروعة نرى هناك بساتين الخضار التي توجد حول مساكن القبيلة، وهي بساتين غنية لما يلقي فيها من فضلات ومواد عضوية⁽⁴⁾، ولا يعتمدون في زراعتهم لهذه البساتين على السقاية، فهم يدفنون حبوب الذرة في ثوب أرضية فوق التلال الصغيرة، ويطمرون نبات التاروس أيضا كما يزرعون القلقاس، وكل نوع من هذه المزروعات يبث جذوره في الأرض على أعما مختلفة، وتتضح الذرة في فصل الشتاء وتبقى حتى يحين موعد زراعتها من جديد، وبعد ان يجمعوها من الأرض يبدؤون فوراً

(1) تعديل قاعدة المواريث: المقصود بها جعل الميراث لجميع الأبناء حسب الشريعة الإسلامية، لأن الأفارقة كانوا يورثون ابن الأخت و البننت فقط، أنظر: محمد بلو: المصدر السابق، ص5.

(2) نبيلة حسن محمد: تاريخ إفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2007، ص 104.

(3) ونيس بولم: المرجع السابق، ص118.

(4) المرجع نفسه: ص 119.

بزراعة أدران النباتات الأخرى وهكذا تتابع المحاصيل دون انقطاع حتى في فصل الجفاف، كما يستغلون في بعض الأحيان الأراضي المنخفضة التي تقع على مجاري الأقفية أو السيول فينشؤون البساتين التي تغل لهم البندورة و الفلفل الأحمر والتوابل التي يضعونها في الحساء أو مع الفاصولياء أو الحمص أو الباذنجان⁽¹⁾.

أما الصناعة فكان مجالها بسيطاً يقتصر على بعض المنتوجات المعدنية و لكنها غير كاملة وواضحة، ولكن من الممكن تحسينها دون أن نزيل عنها الطابع التقليدي لها⁽²⁾.

إن التجارة التي حملت الإسلام إلى مناطق السودان الأوسط و الغربي و بلاد الهوسا قامت بدورها في فتح الطريق لتسرب المعتقدات الوثنية القديمة في الجوب مثل يوريا ونوب (نف) وغيرها⁽³⁾، فالتجار المسلمون كانوا قد تمكنوا من إنشاء قرى ومراكز تجارية في مناطق واسعة في المنطق الممتدة من غامبيا إلى ليبيريا وإلى ضفاف الفولتا وذلك خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ومن ثم اختلطوا ع طريق المصاهرة بتلك القبائل.

وفي الحقيقة أن السلطة تعود كلها تقريباً إلى الشيوخ المسنين حراس التقاليد المنفصلين عن الأفراد، وفي نفس الوقت يمثلون أرواح الأجداد -حسب معتقداتهم- لذا فالقرية تكون وحدة إدارية يشرف عليها رئيس واحد بالاشتراك مع مجلس العيان⁽⁴⁾.

(1) ونيس بولم: المرجع السابق، ص 119.

(2) المرجع نفسه: ص ص 119 - 120.

(3) مهدي ساتي صالح: المرجع السابق، ص 05.

(4) ونيس بولم: المرجع السابق، ص 123.

مرّ الإسلام في منطقة السودان الغربي (غرب إفريقيا) بمرحلتين متفاوتتين، فالمرحلة الأولى بدأت منذ انتشار الإسلام في هذه الأصقاع عن طريق التجار والدعاة ورجال الدين والهجرات العربية من شمال إفريقيا نحو السودان الغربي، وانتهت بالغزو المراكشي لصنغاي عام 1591م، وقد تميزت هذه المرحلة بظهور دول إسلامية قوية مثل: غانة⁽¹⁾، ودولة مالي⁽²⁾، وصنغاي⁽³⁾، وكان لهذه الدول دور في مد نفوذ الإسلام، أما المرحلة الثانية التي بدأت بعد الغزو المراكشي عام 1591م، فتعتبر انكاسة لحالة المد الإسلامي⁽⁴⁾، حيث تم انهيار الدولة القومية الموحدة (دولة صنغاي) لمسلمي السودان الغربي بالإضافة إلى الآثار السلبية التي انعكست على كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وعودة الكثير من السكان إلى الديانة الوثنية⁽⁵⁾، حتى البقية التي ظلت على إسلامها خلطته بالبدع والعادات الوثنية.

وقد استفاد من الأوضاع المتدهورة سكان منطقة الهوسا، في شمال نيجيريا الذين زادت سيطرتهم على التجارة في بلاد السودان الغربي، بعد انهيار سلطنة صنغاي 1591⁽⁶⁾.

(1) غانة: دولة أسسها قبائل السونكي في إقليم أوكار جنوب موريتانيا عام 770م، ولفظ غانة معناه مركز القيادة، وقد استطاع المرابطون إسقاط هذه الدولة عام 1203م، وتشمل أراضي غانة القديمة أراضي دولة مالي وموريتانيا، أنظر: محمد كعت: تاريخ الفتاش: بردين للنشر والتوزيع، فرنسا، 1913، ص 119.

(2) مالي: دولة أسسها شعب الماندنغو، وكان يطلق عليها ألقاب مثل: الفولانيين أطلقوا عليها لقب مالي، والبربر يسمونها مل وملي، وكانت تشمل مالي أراضي جمهورية مالي الحديثة والتي كانت تعرف باسم السودان الفرنسي، واستقلت عام 1960، أنظر: إبراهيم طرخان: دولة مالي: الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، مالي 1973، ص 27، 177.

(3) صنغاي: أنظر التهميش، ص 3، من الفصل التمهيدي (المنطلقات الجغرافية والتاريخية).

(4) محمد بلو: المرجع السابق، ص 06.

(5) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: الصوفية والمجتمع في غرب إفريقيا، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، 1999، ص 25-26.

(6) رجب محمد عبد الحليم: إمارات الهوسا الإسلامية في شمال نيجيريا، الموسوعة الإفريقية، معهد البحوث الإفريقية، جامعة القاهرة، 1997، ج 2، ص 205.

كما استطاعوا تكوين إمارات الهوسا وهي: دورا وكانوا ورائوا وكاستينا، وزازو وجوبير، وجارون جابس- كما سنذكر شيئا من التفصيل فيما سيأتي ذكره -

وفي الوقت الذي بدأ فيه ترفق الفولانيين إلى المنطقة، كانت الصلة التي تربط بين هذه الممالك تخضع في كثير من الأحيان للحروب المتواصلة، وكانت البلاد مرتعا خصبا للفتن الداخلية والاضطرابات المتكررة والتنافس الشديد بين الأمراء⁽¹⁾.

أما مملكة دورا DOURA، فهي أقدم الممالك و إليها ترجع أصل بقية الممالك⁽²⁾، أما مملكة كاستينا KATSINA فهي واقفة على طريق القوافل التجارية الممتدة من تمبكتو TUMBEKTO إلى بلاد برنو BURNO نحو شمال إفريقيا، قد نالت شهرة واسعة في مجال التجارة، و لما تسرب إليها الإسلام صارت من أكبر مراكز الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا⁽³⁾، وتذكر المصادر أن أميرها المسلم "محمد كوراو" حكم البلاد لخمسين سنة خاض عددا من المعارك ضد الممالك المتاخمة لحدود بلاده⁽⁴⁾ ومن بين أشهر أمرائها أيضا: إبراهيم سور وحاجي إبراهيم، ففي عهد هذا الأخير أمر الناس ببناء المساجد، وعدم التخلف عن أداء فريضة الصلاة، كما تطورت في عهد لغة الهوسا⁽⁵⁾.

أما كانو KANO فهي من أشهر ممالك الهوسا على يومنا هذا ، فهي تقع شمال نيجيريا، وقد اختلف في توقيت دخول الإسلام إليها، ما بين القرن الثاني عشر والرابع عشر

(1) مصباح الدين جنيد: المرجع، ص6.

(2) المرجع نفسه: ص6.

(3) نفسه: ص ص 6-7.

(4) Hogben, S.T : Au Interoduction to the history of the islamic states of nothern nigeria, Oxford university, press, 1967, P.82.

(5) رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص211.

الميلاديين، ومن أشهر حكامها: الساركن⁽¹⁾ عثمانو العاشر والسلطان علي باجي ويعقوفو (يعقوب بن عبد الله) ومع بداية القرن السابع عشر الميلادي أصاب المملكة ضعف شديد من جراء الهجوم الذي شنته عليها كل من البرنو من الشرق وكاتسينا من الغرب.

تقع مملكة غوبير أو جوبير GUBAIR أقصى الشمال الغربي من بلاد الهوسا، وكان أغلب سكانها أهل بادية،⁽²⁾ ولكن الملاحظ أن الإسلام لم ينتشر بسهولة بين أبناء غوبير، فقد ظل بعض السكان وثنيين حتى القرن التاسع عشر الميلادي . وقد فرضت مملكة غوبير نفوذها على الممالك المجاورة لها حتى أصبحت في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي أقوى ممالك الهوسا.⁽³⁾

أما مملكة زاريا ZARYA (زكرك) فلم ينتشر فيها الإسلام بل قيام حركة ابن فودي إلا قليلا و تذكر المصادر أن أميرها "جاتاو" (1776م-1806م) كان قد أسلم، وبنى مسجدا و لكن ابنه "ماكاو" قد ارتد عن الدين و أمر بهدم المسجد بعد توليه الحكم.⁽⁴⁾

والظاهر مما سبق أن هذه الممالك لم تكن متحدة فيما بينها ، وإنما تسودها حالة الفوضى والحروب المتتالية، فقد كان الصراع على أشده بين كاتسينا و كانوا وأن هذه الأخيرة لها اليد

(1) الساركن SERKEN: تعني الملك أو الرئيس في لغة الهوسا، أنظر: إبراهيم طرخان: المرجع السابق، ص 212.

(2) مصباح الدين جنيد: المرجع السابق، ص 6 .

(3) رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق ص 212 .

(4) hogben : opcit , p117.

العليا في هذا الصراع، كما أدى الحال في بعض الأحيان للاستعانة بالتدخل الخارجي لترجيح كفة إحداهما في القتال. (1)

وفي هذا الصدد لا يمكن إغفال الخطر الخارجي الذي كان يهدد ممالك الهوسا، فقد بدأ الجنوب يتعرض لهجمات البرتغاليين و البريطانيين في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، حيث وصل البرتغاليون إلى الساحل الجنوبي لنيجيريا عام 1472م، ثم لحق بهم البريطانيون عام 1553م، و قد صاحب هذا وصول البعثات التصيرية، التي عملت على نشر المسيحية في الجنوب الوثي، ولم يصل الإنجليز إلى شمال نيجيريا الإسلامي إلا بعد أن مكثوا في جنوبها زهاء مائة عام. (2)

وفي ظل هذه الأخطار الخارجية وتدهور الأوضاع الداخلية في بلاد الهوسا، أصبحت الفرصة مهيأة لظهور شخصية تعيد الأمور إلى نصابها الصحيح، وكانت هذه الشخصية المؤهلة كذلك هي شخصية عثمان بن فودي.

2- الجهاد و تأسيس الإمارة

إنّ المتأمل لمراحل حياة الشيخ عثمان بن فودي ، يجد أنه قد بنى شخصية يمكن لها أن تعطي الإضافة في البيئة التي يعيش فيها، ثم إن الكاريزما التي امتلكها أثناء تكوينه على أيدي ثلة من العلماء و دور أسرته العلمية، لا يمكن إغفاله، بحيث ستظهر لنا هذه الشخصية الفريدة فيما ستحمله الأيام القادمة من تحديات في حياة بن فودي، وستظهر هذه الكاريزما بشكل جلي

(1) مادهو باننيكار: الوثنية والإسلام، ط2، ترجمة أحمد فؤاد بليغ، المجلس الأعلى للاشتقاق ، القاهرة، مصر، 1998، ص 207-208 .

(2) جمال عبد الهادي: المجتمع الإسلامي المعاصر، دار الوفاء للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1995 ، ص 183 .

في محاولته للدعوة والإرشاد ثم الجهاد، وفي الأخير تكفل جهوده بتأسيس إمارة إسلامية، وهذا ما سنتناوله في هذا الفصل.

2-1 انطلاق الدعوة و منجزاتها

أ- سمات الدعوة في شخصية بن فودي:

الدعوة تحتاج إلى شيء من سمو النفس وعلو الهمة والتجرد من المطامع والزهادة في المناصب والوظائف الكبيرة⁽¹⁾، هكذا وضّحها الشيخ الندوي رحمه الله، ويضيف: يجب أن يكون الدعاة يمتازون عن الدهماء والجماهير ودعاة النظم الجديدة والفلسفات الجديدة، وزهدهم في زخارف الدنيا وفضول العيش، ونهامة المادية ومرض التكاثر، فإنهم لا يستطيعون أن يؤثروا فيمن يخاطبونهم، ويحملوهم على إثارة الدين على الدنيا والآجلة على العاجلة، وتلبية نداء الضمير والإيمان على نداء المعدة والنفس والشهوات،⁽²⁾ إلا إذا شعر الناس فيهم بشيء لا يجدونه في قلوبهم وحياتهم، فإن الناس مازلوا ولا يزالون مفتورين على الإجلال لا يجدونه عندهم.⁽³⁾

وهذه كانت سنة الدعوة إلى الله من الخالصين والربانيين في تاريخ الإسلام، فكانوا ينتقدون المجتمع في الصميم، ويصيبون المحز، ولذلك كان وقع كلامهم في النفوس عظيما وعميقا، وما كان يسع المجتمع ان يتغافل عنهم أو يمر بهم مرا سريعا.

⁽¹⁾ أبي الحسن علي الحسيني الندوي: المصدر السابق، ص508.

⁽²⁾ المصدر نفسه: ص411.

⁽³⁾ نفسه: ص411.

وكلّما عظمت الخطوب انتصبت الهمم وكبرت الطموحات، هكذا نشأ الشيخ عثمان وسيعلم أتباعه هذا المنهج القويم في الدعوة الإسلامية، وأنه كلما زادت حلقة الليل لا بد من فجر قريب سينجلي، وأن الصبر هو مفتاح الفرج، وأن طريق الدعوة إلى الله والثبات على المبادئ أمر لا يوفق إليه إلا من اصطفاه الله لنصرة دينه واعلاء كلمته.

لعلّ ما يتوفر في شخص الداعية الشيخ عثمان بن فودي ما يؤكد كلام الشيخ الندوي، فقد كان صاحب همة عالية، كثير التجوال في أنحاء بلاد الهوسا واقفا على أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية، وكان يجيد التحدث باللغات العربية والفلانية والهوساوية، إضافة إلى حسن أخلاقه وسيرته⁽¹⁾. وكان لا يكل ولا يمل من كثرة الدروس وطولها، مثابرا على إلقاء المحاضرات مثابرة تدل على استعداده الكبير للبذل والتضحية⁽²⁾.

والملاحظ أن الشيخ عثمان قد توفر على عاملان أساسيان في رجال الدعوة، أحدهما: تملك الفطرة و سيطرتها على نفسه، و الثاني: التجرد على المطامع الدنيوية، والزهد في المناصب والملك⁽³⁾.

ب- أسس و مبادئ دعوة بن فودي:

جمع الشيخ بن فودي بين الإرشاد والدعوة، معتمدا في محاولته لإصلاح الأوضاع الدينية والسياسية، منهاجا علميا دقيقا، فقد وضع عقيدته الإسلامية، والمذهب المالكي الذي ينتمي إليه،

(1) فيصل محمد موسى: المرجع السابق، ص 101.

(2) محمد بن موسى الشريف: عظماء منسيون في التاريخ الحديث، الرياض، السعودية، (د ت)، ص ص 33-34

(3) أبي الحسن علي الحسيني الندوي: المصدر السابق، ص 423.

كما اهتم بشرح العبادات و إرشاد الناس لكل ما يهمهم من أمور دينهم، وتأدية عباداتهم الإسلامية على الوجه الصحيح⁽¹⁾

لقد عالج الشيخ عثمان في تربيته الإنسان على أنه جسد وعقل و روح،⁽²⁾ إذ أن طريقة الإسلام في التربية هي معالجة الإنسان معالجة كاملة تتسم بالشمول _جسمه وعقله و روحه_ ذلك أن الإنسان في مفهوم الإسلام كالنبع الذي يفيض بقدر ما تنفتح منه العيون كلما فتحت عينا جديدة تدفق المجموع،⁽³⁾ فقد كان لعلماء المسلمون هم القادة ومؤسسوا الحضارات، و من ثم نجد التوازن بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح، أي توازنا بين الماديات و المعنويات. كما اهتم بتعليم العامة أصول الدين وإبعادهم عن البدع الكثيرة المنتشرة آنذاك.⁽⁴⁾ وإخماد الفتنة وقبر البدعة والقضاء على الأباطيل والخرافات التي أحدثها الناس في الدين الإسلامي الحنيف والابتعاد عن ممارسة العادات والتقاليد المخالفة للشرع.⁽⁵⁾

وكذا كان يدعوا إلى محاربة فساد سلاطين بلاد الهوسا و رفع الظلم و الحيف عن الشعوب المغلوبة،⁽⁶⁾ التي لم تكن لتملك سبيلا للخروج من هذا الوضع السيء، فقد أراد ملوك الهوسا الوثنيين أن يجعلوا من هذه الشعوب وسائل وأدوات تحافظ على سلطتهم وتخدم ملكهم وتوسعه،

(1) نورة بنت معجب الحامد : المرجع السابق، ص 25 .

(2) أحمد عمر عبيد الله: الأسس التربوية لحركة التجديد عند الشيخ عثمان دان فوديو، الندوة العالمية ، الخرطوم ، السودان، 19_21 نوفمبر 1995، ص ص 106-107 .

(3) المرجع نفسه: ص 107 .

(4) محمد بن موسى الشّريف: المرجع السابق، ص 33 .

(5) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 141 .

(6) هارون المهدي: التاريخ الإسلامي في غرب إفريقيا تحت مطارق الباحثين، مجلة قراءات إفريقية العدد 01، الرياض، السعودية، 2004، ص 34.

معتمدين في ذلك على سياسة الترهيب واستعمال القوة المفرطة ،لذا فقد أراد الشيخ من دعوته التركيز على تعليم العامة أصول الدين ⁽¹⁾، بأساليب ميسورة ومبسطة لتقريبها من أذهان العوام وتوظيفها لحل مشاكلهم.⁽²⁾

لقد آمن الشيخ عثمان أن العلم والإيمان صنوان لا يفترقان ، وأنه لا إيمان بغير علم،⁽³⁾ لذا وجب رد الأوهام وتصحيح الآراء المغلوطة في أذهان الطلاب، مما قرأوا وتلقوا من علم الكلام وتكفيرهم لعامة الناس دون دليل أو سند شرعي⁽⁴⁾، لا سيما ان بعض العلماء الأفارقة حرموا التزاوج مع العامة و أكل ذبائحهم.⁽⁵⁾

كما أن الشيخ عثمان عرف بالنقوى والصلاح مع غزارة العلم والمعرفة والتأني الحكيم مع العزم الحاسم المتوكل على الله، مما يجعله قدوة تهفو إليه أفئدة الناس، والقدوة في التربية هي أفضل الوسائل جميعا و أقربها إلى النجاح.

إن الكتاب والمنهج مهما كان بهما من إتقان وشمول ليظلان حبرا على ورق إن لم يتحولا إلى حقيقة متحركة، تعمل بما تقول وتترجم ما بهما من تعاليم ومعان سلوكا وتصرفا ومبادئ وأفكارا.⁽⁶⁾

(1) محمّد بن موسى الشّريف: المرجع السابق، ص33.

(2) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 141 .

(3) أحمد عمر عبيد الله : المرجع السابق، ص 108 .

(4) أحمد بوعتروس : المرجع السابق، ص141.

(5) أحمد محمّد كاني : المرجع السابق، ص 132 .

(6) أحمد عمر عبيد الله : المرجع السابق، ص 114 .

و مما تقدم ذكره، فدعوة الشيخ عثمان قامت على ركائز و مبادئ ثابتة، تتم على عبقرية فذة وتفكير منطقي وعلمي يتميز به الشيخ بن فودي.

ج- منهج دعوة الشيخ بن فودي:

كان من منهج الشيخ عثمان في الدعوة و في التعلم و التعليم إذا جلس عند عالم و قرأ معه مسألة من مسائل العلم و حفظها و فهمها، يقوم على الأثر ذلك و درس هذه المسألة إلى أزواجه و أولاده و أصحابه و أصدقائه.⁽¹⁾ فبهذا بين الشيخ منهجه في التعلم والتعليم، فبدأ بنفسه ثم علم أزواجه وإخوانه وأولاده وأولادهم وسائر أقربائه، ثم انتشر العلم والبركة في البلدان، يقول الشيخ:⁽²⁾ "فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه، فليصنها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات، ثم يعلم ذلك أهله وأقاربه، ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه، ثم إلى أهل محلته، ثم إلى أهل بلده، ثم إلى السواد المكتنف لبلده، وكذا إلى أقصى العالم، فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد، وإلا خرج به كل قادر عليه قريباً كان أو بعيداً، وهذا شغل شاغل لمن يهمله أمر دينه".

منهج الإصلاح والتعبئة عند الشيخ عثمان، سلك الشيخ منهجية شرح الحقائق والقضايا مجردة من غير التعرض للأشخاص، فإذا عرفها الإنسان تخلى الباطل⁽³⁾، فقد حاول إصلاح سلطان غويبر عن طريق الاتصال المباشر به والتعاون معه في حقل التعليم، ويظهر ذلك في

(1) عثمان بن فودي : سوق الأمة إلى إتباع السنة ، مراجعة وتعليق الشيخ أبو ألفا محمد شريف بن فريد بروكس، جامعة الخرطوم ، السودان، 2002، ص 6 .

(2) المصدر نفسه: ص 7.

(3) الطيب عبد الرحيم محمد: الفوديون ومقاومة الاستكبار في غرب إفريقيا والسودان ، الندوة العالمية، الخرطوم، السودان، 19-21 نوفمبر 1995 ، ص 317 .

استجابته لدعوة سلطان غوبير لتدريس أسرته وأبناء القصر⁽¹⁾، على أمل التأثير على القيادات الحاضرة والمستقبلية لإعادتهم إلى الإسلام، وإذا لم يستطع فعل ذلك _ فعلى الأقل يزرع فيهم اضطرابات في عقائدهم غير الإسلامية أو هزيمتهم نفسياً، استعداداً للهزيمة الميدانية المتوقعة.

بدأ الشيخ دعوته داعياً وناصحاً ومبلغاً لدين الله القويم، وقد أعد نفسه لهذه الدراسة من قبل بالدراسة والاطلاع الواسع والنهل من كتاب الله الكريم بعد حفظه، ثم انفتح على الناس معلماً ومرشداً وواعظاً بلسانه وقلمه ثم اضطر إلى إعمال السيف حين دفع إليه دفع، فلم يكن الشيخ رجل حرب أو قتال ولم ينح هذا النحو وإنما اضطر اضطراراً للجهاد دفاعاً عن الدين والنفس،⁽²⁾ إذا لقد كان الشاغل الأول للشيخ عثمان ومساعديه ابنه محمد بلو وشقيقه عبد الله، هو جعل التعليم منهجاً ووسيلة للدعوة، وبالرجوع إلى مؤلفات الشيخ عثمان، نجدها كلها تدور حول التبليغ والتعليم، فعناوينها هي: بيان، ضياء، إرشاد، نصائح، تعليم، تحذير...⁽³⁾

و تذكر المصادر أن الشيخ كان عند خروجه لمجلس التعليم والوعظ يستقبل تلاميذه وأتباعه و مرديه بباشة و تركيز ذهني ينمّان عن سمو خلق، ورغم وجود بعض العوام الذين كانوا يثيرون بعض المضايقات له، فإنه كان ينهرهم و ينهاتهم دون غضب أو تجريح،⁽⁴⁾ وكان لا يخص

(1) الطيب عبد الرحيم محمد: المرجع السابق، ص 317 .

(2) باكر حسن قدر ماري : المنهج التربوي في الدعوة للشيخ عثمان بن فودي، الندوة العالمية، الخرطوم، السودان، 19-21

نوفمبر 1995، ص 122 .

(3) المرجع نفسه: ص 123.

(4) أحمد بوعتروس : المرجع السابق، ص 142 .

بخطابه أحدا دون سواه، غير أنه كان صلبا شديدا لا يتردد في تطبيق تعاليم دينه، ولا تأخذه في الله و إقامة حدود شرائعه لومة لائم، فكان يطبق العدل ويحكم بالقسطاس بين الناس جميعا. (1)

ولم تقتصر دعوة الشيخ عثمان بن فودي على الأشياء العامة فقط، بل ذهب إلى الأشياء الدقيقة مثل: العلاقات الزوجية، وتوكيل الجهال في التجارة و القايسة، ودعا إلى عدم تشبه المسلمين بالنصارى، (2) بالإضافة إلى ذلك اعتبار تقلد الجهلة للمناصب الشرعية عن طريق الوراثة و تقديمهم على العلماء بدعة محرمة.

واتخذ الشيخ من بلدة دغل Degule نقطة انطلاق، ينطلق منها إلى أماكن كثيرة ، وبعدها يعود قافلا على نقطة انطلاقه للاستمرار في الدعوة ، وكان يساعده في ذلك بعض من أتباعه و تلامذته المخلصين الذين لازموه حضرا و سفرا ، وتلقوه على يديه العلم ونهلوا معين تقواه. (3)

و في هذا الصدد يقول تلميذه و أخوه عبد الله بن فودي، الذي لم يفارقه منذ أن كان يافعا إلى أن يقارب الخمسيني من عمره: (4) " ثم قمنا مع الشيخ نعينه على تبليغ الدين يسير لذلك شرقا وغربا ويدعوا الناس إلى دين الله بوعظه وقصائد عجمية، ويهدم العوائد المخالفة للشرع، فيأتي إليه الناس من الآفاق ويدخلون في جماعته و نحن في بلده الذي اشتهر به ونسب وهو طغل أودغل"، ولما قويت شوكة جماعة الشيخ بن فودي بدأ حكام إمارة غوبير التودد إليه

(1) أحمد محمد كاني: المرجع السابق، صص71-72 .

(2) أسامة عبد الله محمد الأمين: الحركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية (1168 _ 1232هـ / 1754 _ 1817 م)، مجلة كان التاريخية، العدد 26، الكويت، ديسمبر، 2014، ص12.

(3) عبد الرحمن عمر الماحي، المرجع السابق: ص134 .

(4) أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص67 .

بغرض إسكاته، ولكن في كل مرة كان يلتقي بهم، يدعوهم للإسلام و ترك العادات السيئة وإقامة العدل.⁽¹⁾

د- خصائص دعوة بن فودي و أهدافها:

من أهم مميزات و خصائص دعوة الشيخ عثمان بن فودي، الإخلاص والأدب وحسن الخلق، حيث يذكر محمد بلو في هذا الصدد⁽²⁾.. "كان خطيباً بليغاً، شاعراً فصيحاً فاضلاً حسن الخلق، جميل العشرة، كريم الصحبة، كثير الحياء والشفقة على الخلق، متواضعاً، يرى نفسه كأقل الحشرات، واقفاً على حدود الشريعة، آلفاً ومألوفاً، لقي من المحبة والتعظيم من الخلق ما لم يعهد حتى كان أحب الأنفس إلى أنفسهم، يتزاحمون عليه مع طلاقة وجهه، وحسن خلق وبشاشة..".

ثم يضيف واصفاً إخلاص الشيخ عثمان: ⁽³⁾ "ثم... ثم أنني رأيته إذا أراد الخروج إلى الناس، يقف في زاوية الدار هنيئة، و يتكلم بكلام، ثم ينصرف إلى الناس، فسألته عن ذلك فقال: أجدد النية وأعاهد الله على الإخلاص فيما أخرج إليه، وأسأله أن يفهم الحاضرين ما أحدث به، ومع ذلك كنت أجدد النية في المجلس، وأتذكر في العهد".

مخاطبة المدعو بلغته، لقد كان الشيخ يجيد لغات قومه و منطقتهم، الأمر الذي كان له الأثر الكبير في جذب الناس وانصياعهم لدعوته.⁽⁴⁾

(1) عبد الله بن فودي: ضياء السياسات وفتاوى النوازل من هو من فروع الدين من المسائل، تحقيق وتقديم أحمد محمد كاني،

الزَّهراء للإعلام العربي، مصر، 1988، ص 08.

(2) محمد بلو: المصدر السابق، ص 61.

(3) المصدر نفسه: ص 62.

(4) بابكر حسن قدر ماري: المرجع السابق، ص 125.

فقد كان يتقن اللغة العربية ومختلف أساليبها البلاغية، و يجيد اللغة الفولانية والهوساوية والتماجك⁽¹⁾.

شمول المرأة بالتعليم والنصح، فقد سبق أن ذكرنا تركيز الشيخ عثمان على التعليم في نشر الدين وتصحيح مساره، فقد اهتم الشيخ عثمان بتعليم المرأة اهتماما واضحا جريا وراء تنويرها بأمر دينها، وقد أفرد للنساء جناحا في مجلسه التعليمي في أول الأمر حين جمع بين الرجال والنساء معا دون الخلط بينهما، ثم في مرحلة متقدمة أفرد للرجال يوما ويوما آخر للنساء⁽²⁾، وقد واجه انتقادا كبيرا في هذا الموضوع إلا أنه كان دائما يرد على خصومه، بالحجة الدامغة ويسكتهم.

ونظرا لكون الشيخ بن فودي على علم و دراية شاملة و فهم عميق للأوضاع الاجتماعية والنفسية التي تعيشها المجتمعات الإفريقية، فقد استخدم أسلوب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة في توجيه مجتمعه توجيها صحيحا، تطبيقا لقوله تعالى⁽³⁾: " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بلتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين".

وكان الشيخ يهدف من خلال دعوته إلى تربية الناس تربية إسلامية و محاربة العادات السلبية و إرسال قواعد الشريعة الإسلامية وبناء دعوة إسلامية كبرى، وهنا نتساءل هل استطاعت حركة الشيخ عثمان بن فودي أن تحقق أهدافها؟

(1) التماجك أو التماشك: هي إحدى اللهجات المنتشرة في إفريقيا الغربية، خصوصا في جنوب الصحراء وهي شائعة خاصة

بين الطوارق. أنظر: عبد الرحمن عمر الماجي: المرجع السابق، ص 132 .

(2) بابكر حسن قدر ماري : المرجع السابق، ص 126 .

(3) سورة النحل الآية : 125 .

هـ - انتشار الدعوة و معارضة علماء البلاط لها:

وبعد زيارة عدد متتبعيه رأى بأنه ينبغي عليه أن ينتقل إلى مرحلة أخرى وهي التحرك إلى قصر السلطان باوا هو سلطان غوبير، وفي عيد الأضحى قام الشيخ عثمان خطيبا وطلب من السلطان ضرورة اتباع الكتاب والسنة، وقدم مطالبه إلى السلطان والتي تتمثل في: حرية الدعوة إلى الله في أرجاء سلطنة غوبير، وعدم منع الناس من الاستجابة لدين الله، وتقدير العلماء وعدم اضطهادهم وإخلال سبيل كل من سجن بدون سبب أو ظلما، وضرورة التخفيف من الضرائب المفروضة على المسلمين.⁽¹⁾

وقد أخذت قوة الشيخ تزداد، خاصة بعدما أصبح تلاميذه يمارسون الوعظ و الإرشاد، وتسابق العلماء إلى الالتحاق بجماعة الشيخ عثمان بن فودي.⁽²⁾

اتخذ الشيخ عثمان بن فودي من بلده ديغل "Deguel" مكانا لنشر دعوته، و قد ساعد في ذلك أتباعه الذين أعجبوا و آمنوا بأفكاره و دعوته الإصلاحية، و ما يؤكد ذلك قول أخيه و تلميذه عبد الله بن فودي إذ يقول: "...ثم قمنا مع الشيخ نعينه على تبليغ الدين و كان يسير لذلك شرقا و غربا، يدعو الناس إلى دين الله بوعظه... و يهدم العوائد المخالفة للشرع فيأتي إليه بعض الناس من مختلف الآفاق و يدخلون في جماعته و نعن في بلده..."⁽³⁾

(1) علي بن أيوب ناجي : المرجع السابق، ص 65.

(2) المرجع نفسه، ص 65 .

(3) أحمد بوعتروس : المرجع السابق، ص 137 .

سافر الشيخ إلى بلاد كيبى "kibie" وقد دعا أهاليها إلى ضرورة إصلاح أمور دينهم، والتحلي بالعادات الحسنة وتجنب كل ما هو خارج عن الدين، ولقيت دعوته استجابة كبيرة من قبل سكان المنطقة، الذين أعلنوا له الولاء وكانوا يستمعون إليه باهتمام كبير أثناء إلقاء دروسه⁽¹⁾. وبعدها زار منطقة "زفر" وهذا الإقليم كان تابعا لإمارة جوبير، وكانت تشهد هذه البلاد وضع ديني متدهور نذكر منه انتشار الوثنية، وظهور البدع والخرافات البعيدة عن الإسلام، وقد مكث الشيخ عثمان في هذه المنطقة خمس سنوات قام فيها بمحاولة الإصلاح وإرجاع الناس إلى تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة و إخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان.⁽²⁾

استخدم الشيخ في دعوته الإصلاحية أسلوب الحكمة، والموعظة الحسنة في توجيه الناس إلى تعاليم الإسلام، ساعده في ذلك فهمه ومعرفته للأوضاع الدينية والاجتماعية والسياسية في بلاد الهوسا.⁽³⁾

و كان الشيخ يركز في دروسه على خمسة أمور رئيسية أولها: توضيح أصول وفروع الشريعة الإسلامية الظاهرة والباطنة، ضرورة اتباع السنة النبوية وترك البدع وكل ما لا يمد للإسلام بصلة، وتبيين ومعالجة الفتاوى التي تصدر خاصة في مجال تكفير عامة الناس بلا مبرر شرعي، والعمل على القضاء على البدع التي أحدثها الناس وكل ما يخالف تعاليم الدين الإسلامي، وتوضيح و تعليم المسلمين في المنطقة للعلوم الشرعية بأسلوب واضح ومفهوم.⁽⁴⁾

(1) عثمان برايماري باري: المرجع السابق، ص 101 .

(2) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 137 .

(3) أحمد محمد كاني : المرجع السابق، ص 73 .

(4) يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 120 .

امتدت المرحلة الأولى من دعوة الشيخ ما بين "1774م و 1803م"⁽¹⁾ لدعوته واستقبال الناس الذين يأتون لأخذ العلم و المعرفة، أو الإعلان عن اعتناقهم الإسلام⁽²⁾.

أما فيما يخص مبادئ الشيخ و تعاليمه في المجال السياسي و نظام الحكم و القضاء، فقد ركز على خمسة دعائم للحكم وهي كالتالي:

أن القوة والسلطان لا تمنع لمن يريد لها حاجة الحاكم إلى الشورى، ضرورة ابتعاد السلطان عن القسوة و الظلم، محاربة الرشوة و الفساد و القضاء على كل الفوارق بين طبقات المجتمع، مساعدة الشعب و تحسين ظروف معيشتهم.⁽³⁾

كما ركز الشيخ ولخص دعائم القضاء في: الفصل بين المتخاصمين، القضاء على الظلم ونصرة المظلوم، الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام في إصدار الأحكام، تنفيذ الوصايا⁽⁴⁾، استطاع الشيخ عثمان في فترة وجيزة أن يثبت نفسه كعالم جليل في المنطقة، حيث بذل جهد كبير في سبيل إعلاء كلمة الله وإحياء سنة نبيه عليه السلام، ومكن من القضاء على معظم الأعراف المعارضة لتعاليم الدين الإسلامي⁽⁵⁾.

كما كون من تلامذته ومقربيه "الجماعة" وهم الذين تلقوا العلم على يديه، كما هيأهم ذهنياً وعملياً وذلك للقيام بدورهم في مجال التربية والدعوة إلى دين الله، وقد سمهم إلى قسمين، في

(1) محمد الثاني: المرجع السابق، ص35.

(2) محمد برايما باري: المرجع السابق، ص 103 .

(3) ماهر شعبان : المرجع السابق، ص 14 .

(4) المرجع نفسه: ص 14 .

(5) عثمان برايماباري: المرجع السابق، ص 103 .

القسم الأول يشرحون دروس الشيخ عثمان ونشر كتبه في أطراف البلاد، والمبحث الثاني: كان منتشرا في أجزاء باد السودان الأوسط و الغربي.(1)

من الأمور التي ساعدت الشيخ في تبليغ دعوته أنه كان متمكنا من عدة لغات حيث كان يجيد اللغة العربية ، الفولاني، الهوساوية.(2)

كان الشيخ عثمان في المرحلة الأولى يهدف إلى تحقيق ما يصبوا إليه خاصة تعليم الناس المبادئ الأساسية للإسلام ومحو الأمية الدينية، وتربية الناس تربية إسلامية صحيحة بعيدة عن كل أنواع البدع والخرافات.(3)

بينما كان الشيخ مهتما بدعوته لقي عداا شديدا من طرف علماء عصره، الذين حسدوه على النجاح الذي حققه، والتفاف المسلمين حول دعوته، وهؤلاء العلماء كانوا وثيقي الصلة والارتباط بالحكام والسلاطين وقد وشوه إلى السلطان وحذروه من أن تشد قوة دعوته وتنتشر في غرب إفريقيا.(4)

وقد وصف الشيخ محمد بلو معارضة العلماء لدعوة الشيخ كالتالي: " فلما أوضح الشيخ الطريق و اهتدى إليه أهل التوفيق، و سلك السالكون، و بقي أهل الدنيا من علماء السوء و الملوك في طغيانهم يعمهون... فجعل أولئك الملوك والعلماء يؤذون الجماعة.(5)

(1) أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص 75 .

(2) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 143 .

(3) سعاد مصطفىاوي: المرجع السابق، ص 53 .

(4) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 143 .

(5) حماء الله ولد سالم: المرجع السابق، ص 527 .

ساهم هؤلاء العلماء في تشجيع السلطان على نهب أموال جماعة الشيخ، و جعلوا أتباعه من السفهاء، ويقطعون طريقهم و يقفون في وجه كل ما ينتسب إلى جماعة الشيخ.⁽¹⁾

وقف علماء البلاط ضد دعوة الشيخ و ذلك حبا للدنيا، و خوفا من نجاح دعوته لأنه هدد مكانتهم عند السلاطين، لذلك سعوا بكل الطرق من أجل إيقاف دعوته و لا يكون هذا إلا بتخويف أتباعه، و دعم الحكام في محاربة دعوة الشيخ و القضاء عليها.⁽²⁾

ولم يبد الشيخ أي اهتمام لكيد العلماء، بل واصل طريقه من أجل تخليص مجتمعه من الانحرافات وجعل أذهانهم و قلوبهم متفتحة على الدين الإسلامي.⁽³⁾

كما أن الشيخ لم يتوقف عما بدأه بل ازداد إرادة أكبر خاصة مع زيادة الذين انضموا إلى دعوته، بل حتى العلماء الذين عارضوه خافوا على أمرهم، لأن ما دعوا إليه معارض للشريعة.⁽⁴⁾

ولما اشتد عليه الأمر وزادت محاصرة الأعداء له إذ بالغوا في اتهاماتهم، تصدى لهم وحاربهم من خلال دروسه و كتاباته، مبطلا كل التهم التي وجهت له، اعتمادا على الحجج والبراهين الدقيقة، وهذا ما أدهش الناس جميعا.⁽⁵⁾

وقد تضاربت آراء المعارضين، فهناك من يقول بأن الفولاني (جماعة الشيخ عثمان) اتخذوا الدين وسيلة لنيل عرض الدنيا، واستغلوه للتنكيل بأمرء الهوسا الذين يضطهدونهم وينكرون

(1) حمّاه الله ولدالسالم: المرجع السابق، ص 527 .

(2) أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص 78 .

(3) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 143 .

(4) حمّاه الله ولد سالم: المرجع السابق، ص 527 .

(5) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 144 .

عليهم حقوقهم، وأن الشيخ بن فودي استغل الدين بغرض طرد الحكام القدامى واقتسام مناصبهم...⁽¹⁾

لكن الدعوة الميدانية وواقعية الشيخ بن فودي دحضت كل هذه الادعاءات لتثبت بأن دعوة الشيخ بن فودي هي دعوة للإصلاح و لإقامة شرع الله على الأرض.

2-2 هجرة الشيخ عثمان و جهاده

أ- هجرة الشيخ عثمان بن فودي:

هناك الكثير من الآيات والأحاديث التي تحض المسلمين على الانضمام للأمة الواحدة الأمة المسلمة، قال عزّ من قائل⁽²⁾: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون".

نقل الحافظ على الطبري قوله:⁽³⁾ " والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة".

واعتمادا على هذه النصوص وغيرها نجد أن الشيخ عثمان كوّن أو بالأحرى تكوّنت لديه مجموعة من الأتباع سماهم "الجماعة"⁽⁴⁾ في بادئ الأمر ثم "الإخوان" ، فكما سمي الإمام

(1) محاسن عبد القادر حاج الصّافي : جهاد الشّيخ عثمان بن فودي في غرب إفريقيا وجهاد السيّد محمّد عبد الله حسن في

الصّومال - (دراسة مقارنة)، النّدوة العالميّة الخرطوم، السودان، 19- 21 نوفمبر 1995، ص 155 .

(2) سورة آل عمران: الآية 63 .

(3) ابن حجر أحمد بن علي : فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد القادر شيبه الحمد، على نفقة السلطان بن عبد

العزيز آل سعود، الرياض، السّعوديّة، 2001، ج13، ص41 .

(4) محمود شاكر: المرجع السابق، ص 276 .

حسن البنا جماعته بالإخوان، ممكن تيمنا بحركة الشيخ بن فودي، ونجد أنه صنّف التصانيف باسم جماعته الجديدة،⁽¹⁾ مثل:

- تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان.
- سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه أهل هذا الزمان.
- سراج الإخوان يهتدون به في أمور الزمان.
- وثيقة الإخوان لتبيين دلائل وجوب إتباع الكتاب والسنة.
- إرشاد الإخوان إلى أحكام خروج النسوان.
- تعليم الإخوان الأمور التي كفرنا بها ملوك السودان.

لقد كان الفوديون صارمين في أحكامهم يحاربون كل من خالف أو اعتزل و يصنفونه منكرا منتقدا أو كافرا، ولم ينج من هذه الأحكام حتى الشيخ محمد الأمين الكانمي- كما أسلفنا سابقا-

عندما بدأ الشيخ عثمان دعوته، قسّم الناس في بلاد الهوسا إلى ثلاثة⁽²⁾: قسم منهم يعمل أعمال الإسلام، ولا يظهر منه شيء من أعمال الكفر، ولا يسمع منه شيء يناقض الإسلام، فهؤلاء مسلمون قطعا تجري عليهم أحكام الإسلام، وقسم منهم مخلّط يعمل أعمال الإسلام، ويظهر منه أعمال الكفر أو يسمع منه قوله ما يناقض الإسلام، فهؤلاء كافرون قطعا لا

(1) عبد الرّحمان أحمد عثمان: مفاهيم وآليات امتلاك السّلطة السّياسيّة بين حركتي الإخوان المسلمين والشيخ عثمان دان فوديو، النّدوة العالميّة، الخرطوم، السّودان، 19-21 نوفمبر، 1995، ص 190 .

(2) عثمان بن فودي : تحفة الأحياب بأدلة كتاب نور الألباب ، مراجعة وتحقيق: محمّد المنصور إبراهيم ومحمّد مودي شوني ،مركز الصّحابة للنّشر والتّوزيع، سكتو، نيجيريا، 2012، ص 13 .

تجري عليهم أحكام الإسلام، وقسم منهم ما شَمَّ رائحة الإسلام قط⁽¹⁾ ولا يدّعيه، فهؤلاء لا يلتبس حكمهم على أحد.

و في موضع آخر وضّح الشيخ بن فودي القسم الثاني من الناس، لكي لا يقع اللبس على التلاميذ، فيقول: ⁽²⁾ "فمن أولئك المخلّطين من يزعم أنه مسلم يعمل أعمال الإسلام، وهو مع ذلك يعظّم بعض الأشجار والأحجار بالذبح عندها والصدقة، أو يصبّ العجين عليها، فهذا كافر لا تجري عليه أحكام الإسلام، ومن المخلّطين من يدعي علم الغيب ومعرفة أخبار الجن ويمارس الشعوذة و التتجيم، وهذا القسم عدّه الشيخ من الكفار.⁽³⁾

وعندما عظمت شوكة الشيخ عثمان ونما نفوذه، وازدادت شعبيته لا في بلاد الهوسا فحسب، بل في منطقة غرب إفريقيا برمتها، عقد العزم على الإقدام على مواجهة الملوك والأمراء، لإفهامهم حقيقة الإسلام بعيدا عن الشوائب والانحرافات المضللة، فاتصل في أول الأمر بحاكم غوبير الأمير "باوانفاتا BAWA NAPHTA" وعرض عليه تطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة العدل فيما بين رعاياه.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ رغم ما قيل عن جهاد عثمان من نقائص - فإنّه لا صحّة للرأي الذي يقول - أنّ الجهاد كان في منطقة وثنية لم تستم رائحة الإسلام، كما لا صحّة لمن قال أنّها كانت حربا قبلية بين الفولاني والهوسا للاستلاء على السلطة السياسيّة وأنّ الدين كان زيا فقط، أنظر: محمد أحمد الحاج: "الشيخ عثمان بن فودي والحضارة العربية الإسلاميّة في الإقليم الشمالي لجمهورية نيجيريا، الاتّحادية، ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلاميّة، الخرطوم، 28-30 أوت 1983، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1985، ص 343 .

⁽²⁾ عثمان بن فودي: تحفة الأحابب بأدلة كتاب نور الأبواب، المصدر السابق، ص 16 .

⁽³⁾ محمد أحمد الحاج،: المرجع السابق، ص 339 .

⁽⁴⁾ عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص 104 .

عاد الشيخ بعد ذلك إلى بلده ديجيل DEGUEL ، حيث واصل اكتساب مزيد من المعجبين به والمؤيدين له، وكانت زيارته لحاكم غوبير، شيئاً مشجعاً لجماعته ومعزلاً جهوده.

ففي شهر ذي الحجة عام 1253هـ/1788م ، استدعى السلطان "باوا BAWA" (1)، علماء إمارته ومنهم الشيخ عثمان، للقاء معه بمناسبة عيد الأضحى وحاول إرضاء الشيخ عثمان، وقدم له 500 مثقال ذهباً، فرفضها و طلب منه عوضاً عنها الأمور الخمسة التالية:

1- أن يسمح له بالتجول حراً في الإمارة للدعوة في سبيل الله.

2- ألا يعترض سبيل أي شخص يستجيب لدعوته.

3- أن يوقر كل عالم يلبس العمامة.

4- أن يطلق سراح المجونين لقضايا سياسية.

5- ألا يفرض ضرائب باهظة على الرعية.

فقبل الأمير ذلك على مضض، واتضح أن دعوة الشيخ عثمان ليست مجرد نصح للحكام، وإصلاح للسلبات الاجتماعية، وإنما هي عمل وسعي لإقامة دول إسلامية.

وكان ذلك منعطفاً جديداً في مسار حركة الشيخ و انتصاراً سياسياً باهراً على حكام البلاد، وكانت مناسبة كبيرة احتفل بها العامة والخاصة من الأنصار والأتباع (2)، وجادت قريحة الشعراء بقصائد مجّدت الحدث كقصيدة عبد الله بن فودي التي مطلعها: (3)

(1) يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 121 .

(2) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 148 .

(3) أحمد محمّد كانم: المرجع السابق، ص 75 .

عِبَادُ اللَّهِ أَنْصَارُ الرَّسُولِ هُمْ الضَّرْعَامُ ثُمَّ هُمْ شُبُولٌ

وبعد وفاة السلطان باوا BAWA عام 1794 خلفه السلطان نافاتا NAFATA، الذي أدرك وقدّر ما يتمتع به أتباع الشيخ عثمان، وشعر هو الآخر بالخطر الداهم الذي يهدده وملكه، وعزم على القضاء على الإصلاح والدعوة الإسلامية في بلاد الهوسا والحيلولة دون زيادة انتشار رقعة الإسلام و تنامي عدد المسلمين بإصداره مرسوماً نص على: (1)

1- يمنع منعاً باتاً السّماح لأي شخص اعتناق الدين الإسلامي و التدين به إلا من ورثه عن آبائه و أجداده.

2- ألاّ تضع أي امرأة الخمار على رأسها و النقاب على وجهها.

3- يمنع العلماء من ممارسة النشاط الإصلاحية والدعوي والوعظي، إلاّ الشيخ عثمان وحده.

و يتّضح من هذا المرسوم، أنه يهدف إلى عرقلة الحركة وشلّ دعوة الشيخ و الحد من اتساع دائرة نشاطه، ومنع الناس من اعتناق الدين الإسلامي وصدّهم عنه، ودعوة الناس إلى السّفور والتخلي عن زي المسلمات المحتشم، والخروج عن تعاليم الشريعة الإسلامية السّمحة.

كما حصر الدعوة في شخص الشيخ عثمان وحده، وهذا التضيق السياسي يقف عقبة في وجه الحركة، على خلاف ما كانت عليه من قبل، ويفتح الباب واسعاً لعودة مظاهر الانحطاط الأخلاقي و الفساد الاجتماعي للبلاد. (2)

كان من الطبيعي أن يتلقى أتباع الشيخ محتوى هذا المرسوم بالرفض، ولا سيما أخوه عبد الله بن فودي، و قرر أن يوجه هذه الإجراءات التعسفية مهما كلفه ذلك من أعباء. (1)

(1) محمّد أحمد الحاج: المرجع السابق، ص 341 .

(2) احمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 149 .

أما الشيخ عثمان فكان موقفه خلاف موقف أخيه عبد الله، إذ أنه عارض استعمال القوة و العنف ضد الحاكم و هو في بداية الطريق، وقبل المرسوم على مضمض، وكان يدرك أن الدائرة سوف تعود على الحكام الطغاة، لإيمانه بانتشار الدعوة بطريقة سليمة، فهو لا يرغب في التورط والانغماس في الصراع مع السلطات حتى لا تنتشتت جهوده وتتبدد قواه وينحرف عن الهدف المنشود لإعلاء كلمة الله ورفع راية الإسلام في سماء الوثنية، وأن أمر إعلان الجهاد المسلح ضد من يقوم ي وجه الدعوة و يقف حائلاً دون انتشارها لم يحن بعد،⁽²⁾ فزاد هذا من شدة خنق نافاتا Nafata على الدعوة والدعوة وأضر لهما الشر في نفسه، وسعى بالكيد والتآمر على الشيخ محاولاً قتله بالحيلة⁽³⁾. لكن القدر لم يمكنه من تحقيق هدفه، إذ نجا الشيخ من خصمه الذي لم يمهل المنون بعد صدور هذا المرسوم إلا أيام قليلة وغادر الحياة غير مأسوف عليه.⁽⁴⁾

خلف نافاتا Nafata في الحكم ابنه يونفا Yunfa، وهو أحد تلاميذ الشيخ عثمان، فوعد أستاذه المصلح بإنهاء الخلاف وتصفية الأجواء بينهما والسماح له بمزاولة نشاطه الإصلاحية والدعوية، لكن لم يدم ذلك طويلاً بين الرجلين، إذ سرعان ما انقلب الحاكم على الشيخ محاولاً التخلص منه،⁽⁵⁾ والتآمر على أتباعه و ظهر الحاكم على حقيقته.⁽⁶⁾

(1) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 150 .

(2) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: حركة الشيخ عثمان في غرب إفريقيا وأثارها الدينية، حوليات كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 5، جامعة قطر، الدوحة، 1992، ص 242.

(3) y.urvoy :histoire population du soudan central colonic du niger ;libraire larose ;paris ,1936, p . 274 .

(4) y .urvoy :ibid, P.274 .

(5) احمد إبراهيم دياب : لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث ، دار المريخ ، الرياض، السعودية، 1981، ص 206 .

(6) احمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 151 .

قد اختلف أسلوبه أسلوب أبائه، حيث عمل على استعمال السلاح، و قد شن حملة عسكرية على إحدى جماعات الشيخ التي كان يقودها عبد السلام⁽¹⁾. ويرابط بها في غامبيا Gumbia وقتك بأهلها، وقتل الكثير من الفقهاء والقراء، ونهبوا ممتلكات الجماعة وسجنوا أطفالهم⁽²⁾، وأمر جنوده بحرق المصاحف والكتب والألواح⁽³⁾.

وبصوّر لنا محمد بلو هذا المشهد المؤلم بقوله⁽⁴⁾: "حتى غزا قرية عظيمة من قرى الإسلام، على حين غفلة من أهلها، فقتلوا ما شاء الله من فقهاءها وقرائها في نهار رمضان، وهم صائمون، ونهبوا أموالهم، وأسروا ذراريهم، وجعلوا يفترشون الكتب والمصاحف، ويحتطبون الألواح فيوقدون بها، ويستنهزؤون بأهل الإسلام، ويقولون لهم: "فأنتا بما تعدنا إن كنت من الصادقين".⁽⁵⁾

وقد طلب هذا السلطان من الشيخ أن يبتعد عن جماعته، لكن هذا المصلح رفض التخلي عن جماعته، وقرر الابتعاد عن المواجهة، لكن السلطان أجبر على القضاء عليه وعلى جماعه، حيث أصدر قرار إلقاء القبض على الشيخ عثمان، وطلب من حكام الإمارات التابعة له، التضيق على جماعة المسلمين وقتل رجالهم، وأخذ ما استطاعوا من أموالهم⁽⁶⁾، وبعد

(1) أحمد إبراهيم دياب: المرجع السابق، ص 206 .

(2) احمد محمّد كاني: المرجع السابق، ص 79 .

(3) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 151 .

(4) محمّد بلو: المصدر السابق، ص 94 .

(5) سورة هود: الآية 32 .

(6) احمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 151 .

المضايقات الكثيرة التي تلقفتها جماعة الشيخ عثمان، قرر هذا الأخير الهجرة من بلاد الكفر إلى دار الإسلام ومن ظلم السلطان إلى عدالة القرآن.⁽¹⁾

و بذلك أصبح الشيخ عثمان قائدا وإماما لجماعته، وكان شعارهم حمل السلاح و الجهاد ضد دعاة الوثنية والضلال⁽²⁾.

شبه الشيخ عثمان في كتابه: "سوق الأمة إلى إتباع السنة" هجرته بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، في قصيدته باللغة الفولانية وفي معناها⁽³⁾: أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى الدين فظهر التوحيد في قلوب الناس وبعد ذلك مكره على الهجرة، وأشكر الله خرج الناس على ذلك، وسبب هجرته لدفع عن القتال، وأشكر الله أنقذني من ذلك، فهجر النبي صلى الله عليه وسلم شرقا ثم شمالاً، وأشكر الله كذلك أنقذني.

فكما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأى بدينه من الفتن وهو في بداية الخمسين من عمره، كذلك هاجر الشيخ عثمان رحمة الله عليه وهو في بداية الخمسين من عمره.

مثلت الهجرة الجانب العلمي للأسلوب التربوي الذي اتخذه الشيخ عثمان في تربية مريديه وجماعته، فيقول: إن الهجرة من بلاد الكفار واجبة: كتابا وسنة وإجماعا، لقوله تعالى⁽⁴⁾: " إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا "

(1) أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص 79.

(2) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوربي لإفريقيا، المرجع السابق، ص 35.

(3) عثمان بن فودي: تحفة الأحابي بأدلة كتاب نور الألباب، المصدر السابق، ص 10.

(4) سورة النساء: الآية 97.

وقد حثَّ الشيخ عثمان كل الآيات والأحاديث الدالة على وجوب الهجرة، ومضى إلى القول أنه لا تكون مراعاة حقوق القرابة والزوجية عذرا لأحد في ترك الهجرة⁽¹⁾، ثم أرشد إلى الجانب العلمي بتحديد بلاد الكفر التي ينبغي مفارقتها في عالم الواقع في منطقتة وعصره، حيث قسم أصناف البلاد التي ينبغي أن يهاجر إلى ثلاثة أصناف⁽²⁾:

قسم: غلب عليه الكفر، وكان الإسلام فيه نادرا كبلد: موشي، غرم، باوتشي، برغ، برن... ثم يقول وهذه كلها بلاد كفر بلا شك إذ الحكم للغالب وسلطين هذا القسم كلهم كفار.

قسم: غلب فيه الإسلام، وكان فيه الكفر نادرا، كبلد: برنو، كن، كشن، سنغي، ملي... قال: وهذه أيضا بلاد كفر بلا شك، إذ الإسلام المستفيض فيها من غير سلاطينها فكفار كالقسم الأول وإن كانوا يدينون بدين الإسلام، لأنهم أهل شرك وصدّ عن سبيل الله، وإعلاء راية ملك الدنيا على راية الإسلام وذلك كله كفر على الإجماع... لا خلاف أنه يجب على المسلمين خلع إمامهم إذا كان كافرا ويجب قيامهم عليه إذا تخيلوا القدرة عليه وإن تحققوا العجز عنه لم يجب القيام عليه وإنما يجب على كل مسلم في أرضه الهجرة منها إلى غيرها.

قسم: ليس من بلاد الكفار باعتبار السلاطين بل من بلاد الإسلام مطلقا، قال وما ذكرناه من أول الفصل من أن الهجرة من بلاد الكفار واجبة على جميع المسلمين لا يختلف فيه اثنان ولا عذر لأحد في تركها إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولقوة لهم على الهجرة ولا نفقة.

من خلال هذا التقسيم يتضح أن الشيخ عثمان - في موضوع الهجرة - يخير المسلمين بين أمرين إمّا تغيير الحكومة الدنيوية بحكومة دينية وإما الهجرة، ومن شقّت عليه الهجرة فعليه

(1) عثمان بن فودي: بيان وجوب الهجرة على العباد، دار جامعة الخرطوم للنشر والتوزيع ، 1977، ص12.

(2) المصدر نفسه، ص16.

التغيير، حتى تتبأ لأصحابه باستيلاء الكفار على ديارهم وظهور المهدي في السودان وادي النيل و أمرهم بالهجرة إليه حين يحدث ذلك⁽¹⁾.

في 21 فبراير 1804م⁽²⁾ هاجر الشيخ من مملكة غوبير وأعلن الجهاد ضد ملوك الهوسا⁽³⁾. وأصدر الشيخ وثيقة تعرف بـ "وثيقة أهل السودان"⁽⁴⁾، تتضمن المبادئ التي أعلنها الشيخ بشأن الجهاد وإقامة دولته الإسلامية، والوقوف في وجه السلاطين الظالمين، وبعدها الإعلان عن قيام إمارة إسلامية في غرب إفريقيا، نواتها جماعة الفولاني المسلمين بقيادة الشيخ عثمان دان فوديو⁽⁵⁾.

لقد اضطر المسلمين من مغادرة غوبير، خاصة بعد تهديد السلطان ينفا Yunfa، خاصة وأن ديجل DIGUEL، تقع جنوب غرب عاصمة غوبير⁽⁶⁾، وقرروا الهجرة إلى مدينة جودو Gudo هذه الهجرة التي شبهوها بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى يثرب عام

(1) عبد الرحمن أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 196.

(2) Rebert et Marienne cornevin : Histoire de l’afrique des origines à nos jours, 2 édition, petit bibliothèque payot, Paris, 1966, P.258

(3) في جي دي: تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة وتقديم وتعليق: يوسف نصر، بهجة رياض، دار المعارف للنشر والتوزيع، جامعة أسويط، مصر، 1982، ص 289.

(4) وثيقة أهل السودان أقرت المبادئ التي أعلنها الشيخ عثمان بشأن الجهاد، وإقامة الدولة الإسلامية، وقد قام "السير بالمر" بجمعها والتعليق عليها، وأعتبرت من المخطوطات الهامة النادرة وقد وقع ناسخها اسمه تحتها ويدعى "محمد ساي بن أمير دورا واسمه إسحق"، وهي تضم 27 مبدأ، هي خلاصة المبادئ التي دعا إليها الشيخ عثمان. أنظر: عبد الرحمن عمر الماحي: المرجع السابق، ص ص 138-139.

(5) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص ص 152-153

(6) علي بن أيوب ناجي: المرجع السابق، ص 71

610م⁽¹⁾، إذ تعتبر منعطفا تاريخيا حاسما في مسار الحركة، وتعدّ بداية لتأسيس إمارة إسلامية تقوم ركائزها على سواعد أتباع الشيخ من قبائل الفولاني المسلمين⁽²⁾.

ومن أهم الأسباب التي أثارت الشيخ ضد السلطان، هو ظلم السلطان للرعية، وعدم تطبيق مبدأ الشورى، وفرض الضرائب الباهظة على السكان، وبدأت الهجرة بناءً على قرار جماعي بعد أن استشار الشيخ جماعته⁽³⁾.

كانت فترة الهجرة فترة مهمة لبناء شخصيات حوارية، وعجم عيدانهم وصقلهم وتربيتهم عن كنبٍ علمياً وتدريباً علمياً على فنون الحرب والقتال وصناعة السلاح - حيث ضيق عليهم حكام جوبير قبل الهجرة- فقد كانت الهجرة إعداداً لمرحلة حاسمة تالية هي مرحلة الجهاد الذي سيمكن من إقامة إمارة إسلامية قوية، حكمت بالشرع في بلاد الهوسا لقرن من الزمان.

ب- انطلاق الجهاد و انتشاره:

بعدما أصبح من غير الممكن التفاهم بين الحاكم من جهة والداعية وأتباعه من جهة أخرى، ولم يجد الشيخ بداً سوى إعلان الجهاد ونشر الإسلام وإصلاح المجتمع⁽⁴⁾.

لجى تلامذة الشيخ وأتباعه النداء واستجاب أنصاره ومؤيدوه لرغبته وذلك لارتباطهم الوثيق به، وتأثرهم بصدق دعوته وحبهم و تقديرهم لشخصه⁽⁵⁾، غير عابئين بالعقبات التي ستواجههم

(1) Y. urvey : OP.Cit., P.275

(2) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص152.

(3) سعاد مصطفى: المرجع السابق، ص31.

(4) زاهر رياض: الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، مكتبة الأنجلو المصرية،

القاهرة، مصر، 1968، ص292.

(5) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص154.

في سبيل رفع راية الإسلام والوقوف في وجه الظلم والظالمين، فعقدوا له البيعة وأقروا له بالولاء وأقسموا له يمين الطاعة على الكتاب والسنة، ومنذئذٍ جمل الشيخ لقب "ساركين مسلماني"⁽¹⁾، وحظي الشيخ وجماعته بتأييد شعبي منقطع النظير⁽²⁾.

جاء الإعلان عن الجهاد رسمياً سنة 1219هـ / 1804م، بداية دور جديد في الحركة الإصلاحية، وهو دور الفتح والجهاد، فعقد الشيخ اللواء لأربعة عشر من أصحابه، وأحرزوا نصراً على أمير غوبير حلفائه من الطوارق⁽³⁾. لكن دول الهوسا لم تسقط من معركة واحدة، حيث سيتم الاستيلاء على ممالك الهوسا في عام 1809م ومن ثم تتسع الإمبراطورية الفولانية⁽⁴⁾.

بعد موقعة "تابين كواتو"، التي انتصر فيها أتباع بن فودي، فقد كان هذا الانتصار حافزاً مشجعاً لمختلف فئات المسلمين، وبداية تدفقها للانضمام إلى صفوف المجاهدين، لا سيما أبناء العشائر الفولانية، الذين تسلم كل زعيم منهم راية الجهاد، مع تعيينه من قبل الشيخ عثمان لنشر الإسلام وسفيراً للدعوة الفودية⁽⁵⁾.

(1) ساركين مسلماني SARKIN MUSULMANI تعني: أمير المؤمنين بلغة الفولاني. أنظر: حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص120.

(2) محمد إبراهيم أبو مسلم: بحوث في تاريخ السودان (الراضي، الخلافة، العلماء، بربر)، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1992، ص96.

(3) مصطفى سعد: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حركة عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب إفريقيا، الندوة العالمية، 19-21 نوفمبر 1995، الخرطوم، السودان، ص ص 435-436

(4) عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسية، معهد الدراسات العربية، القاهرة، (د-ت)، ص14.

(5) عثمان برايمبا باري: المرجع السابق، ص ص 111-112.

أما عن واقعة كتو KUTO فيصفها محمد بلو بأنها الواقعة الفاصلة في تاريخ المنطقة في هذه الفترة، فيقول⁽¹⁾: "... فبارزناهم فترأينا، واكتحلت الأحداق بالأحداق، فكبرنا، ثم نهضنا إليهم، وقد أنطقوا طبولهم ونهضوا إلينا... فرموا ورمينا، وكان قتالنا إذ ذاك بالرمي...، وقامت الحرب على ساق وتخالط الصفان، فهزم الله الكفار، فولوا هارين، وتفرقوا أبابيد وحل المسلمون على أكتافهم يقتلون وينهبون فقتل منهم ما لا يحصيه إلا الله تعالى، فهرب أميرهم وقتل صديقه "بيدو متاج"... وغيرهم".

غير أن هذا النصر لم يكن ساحقا، فسرعان ما عاد المشركون إلى لمّ شتاة قواتهم والاستعداد مجددا للقتال.

وفي العام الموالي (1220هـ/1805م) شرعت القوات الحكومية تشن الغارات المتتالية على المجاهدين، ولم يكد الحول يدور حتى وقعت معركة حامية الوطيس ملك هي معركة تسونسو TssouNssou، التي خسرها المسلمون وذهب ضحيتها ما يربو عن الألف شهيد⁽²⁾، لكن قوات عثمان سرعان ما ضمدت نزيف جراحها ونفضت عنها غبار الهزيمة وصدت الهجوم بنجاح، واستمرت الحرب بين الطرفين سجالاً، وفي الأخير تمكن المسلمون من إحراز النص على خصومهم، وفي هذا يقول محمد بلو في غزوة كبيّ Kébbi⁽³⁾: "...فسار الجيش حتى وصل غنم فغزاه، ثم مرّ يغزو حتى وصل حصن كبّ، فنزل قريبا منه، وبات ليالي، ثم نهض إلى الحصن، ففتحها لله عليهم، فقتلوا وغنموا غنيمة عظيمة لم يغنم مثلها..."، وفي ذلك يقول الشيخ عبدالله بن فودي في قصيدته التي وصف فيها كثرة الغنائم التي غنموها وقوة الجيش.

(1) محمد بلو: المصدر السابق، ص 102.

(2) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 155.

(3) محمد بلو: المصدر السابق، ص 119.

فغادر في ذا الحصن مالا كأنه لقارون لم يأخذ بزادٍ إلى القرى
ولولا شباك الشرع ثم سلاسل السمراوات لإستغنى الذي كلنا نوى
سما جيشنا جيش الفتوح فكلنا حوى من فتوحات الغنائم ما حوى⁽¹⁾

وبعد السيطرة على إمارة كَبِّي Kébbi، اتخذوها قاعدة و منطلقا للجهاد في المنطقة و توالى بعد ذلك سقوط الإمارات الوثنية، حيث تمكنت جماعة الشيخ من اجتياح زاريا zaria في نفس العام 1805م⁽²⁾، ثم وقعت العاصمة الكالوا Kalawa عام 1808م، و تم قتل يونفا Younfa وأتباعه⁽³⁾، وانتهت بذلك مقاومة الوثنيين و صارت كلمة المؤمنين هي العليا في البلاد، وأعلن الناس تأييدهم وطاعتهم للشيخ وأقبلوا عليه مهللين ومكبرين تغمرهم الفرحة ويعمر نفوسهم السرور⁽⁴⁾، وكانت جيوش عثمان قبل الزحف تقرأ آيات الجهاد وسورة براءة لتقوية الروح المعنوية، كما عرف عنها التقشف⁽⁵⁾. رفع المسلمون رايتهم في مختلف أنحاء المنطقة، وتوافدت مختلف القبائل إلى الشيخ عثمان للإعلان عن دخول الإسلام وتوسعت بذلك إمبراطورية الفولاني⁽⁶⁾. بلغ عدد المعارك بين الفولانيين وأمراء الهوسا حوالي ستة وأربعين معركة كبيرة وتسعين معركة صغيرة وسبعين في درجة المناوشات⁽⁷⁾.

(1) محمد بلو: المصدر السابق، ص 119.

(2) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 155.

(3) المرجع نفسه: ص 155.

(4) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر 1986، ص 155.

(5) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 155.

(6) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، المرجع السابق، ص 36.

(7) قاد معظم هذه المعارك الوزير عبد الله فودي والشيخ محمد بلو، وهذا الأخير ذكر مجموعة من المعارك التي حضرها ووصف بعضها. أنظر: محمد بلو: المصدر السابق، ص 13.

ويفضل الدعوة والجهاد اتسعت رقعة دولة الفولاني، وقد انضمت إليها إمارة جديدة، وفي عام 1809م، ذهب الشيخ إلى مدينة سيغادا Sigada، بينما ابنه محمد بلو بقي في سكوتو SOKOTO والتي أصبحت عاصمة لدولته⁽¹⁾.

ونجد أن الشيخ في كتابه: "سوق الأمة إلى إتياع السنة" قد ذكر جملة من الغزوات والمعارك التي يكون قد قادها ابنه محمد بلو أو أخيه عبد الله، حيث يقول⁽²⁾: "...ففي شهر رمضان سنة 1220هـ، فتح محمد بلو كانو، وفتح جان دوت في شهر ذي القعدة سنة 1220هـ، وفي سنة 1221هـ فتحت بلاد كشنة، ووقع القتال بين المسلمين وأهل برنو، فتزاحفوا عدة زحفات لينتصر فيها المسلمون، وفي سنة 1222هـ كانت القاضاوا الأولى ولم يكن فيها فتح... وفي عام 1223هـ كانت غزوة ثانية وفتحت القاضاوا... وفي عام 1224هـ جاوزت جيوش الإسلام البحر وفتحت بلاداً و حصوناً ورجعت سالمة غانمة... وفي عام 1230هـ انتقل الشيخ من سيفاو إلى صُكُت، فأقامه عاصمة الخلافة الصكتية ببركات الشيخ وصارت قبة الإسلام في بلاد السودان إلى يوم القيامة".

رغم الانتصارات الكبيرة التي حققها الشيخ والتي تمت الإشارة إليها⁽³⁾، إلا أن بعض الأقاليم لم تخضع لسلطان بن فودي، مثل كانم والبرنو اللتين كانتا تحت حكم الحاج محمد الأمين الكانمي، هذا الأخير الذي كان يرأسل بن فودي و يطالب بالدلائل لهذا الجهاد على برنو، وجنّد

(1) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص156.

(2) عثمان بن فودي: سوق الأمة إلى إتياع السنة، المصدر السابق، ص13.

(3) أنظر الملحق رقم (3) ص274.

الكانمي الجنود من كانم وياغرمي فأخرج إبراهيم زاك من الحصن وأجلى الفولانيين من برنو، وآل إلى أحفاده حكم برنو والكانم إلى اليوم و صاروا يتلقبون بلقب الشيخ بدلاً من الماي EL.MAI⁽¹⁾.

توسعت إمارة سكوتو ولقد سميت بمختلف التسميات في مختلف المصادر والتأليفات فمنها: دولة الفولاني، الدولة الصكتية، إمبراطورية الفولاني وغيرها، وفي الواقع فقد تكونت إمارة جديدة، وأعطى الشيخ أمرا لاتباعه بإعلان الجهاد في مختلف المناطق، فتوسعت رقعة الدولة، ودخل الناس تحت راية الجهاد، بل أن المسلمين من الهوسا وغيرهم انضموا تحت لوائه، وما أن حل عام 1810م، حتى كان الشيخ عثمان قد بلغ الذروة وجهاده انتهى، بعد أن أخضع معظم بلاد الهوسا، وكوّن إمارة فسيحة في شمالي نيجيريا والسودان الغربي⁽²⁾. ويلاحظ أن نفوذ الشيخ عثمان لم يخترق منطقة الغابات الكثيفة في الجنوب، إذ ظلّ سكانها اليوروبا بعيداً عن غزوات الشيخ، حيث وصلت سيطرته في الشرق لغاية مدينة "يولا yola". كما أن حركة بن فودي ارتكزت أساساً على الناحية الدينية، حيث تجلّى ذلك في أن الشيخ عثمان نفسه حدّد الغرض من الجهاد في وثيقة أهل السودان و هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والهجرة من بلاد الكفار، وتنفيذ أحكام الشرع، وقتال الملك الكافر الذي لا يقول "لا إله إلا الله".

(1) عبد اللطيف سعيد: سيرة الشيخ عثمان دان فوديو مع الإشارة للعوالم التي ساهمت في تكوين شخصيته، الندوة العالمية، الخرطوم، السودان، 19-21 نوفمبر 1995، ص46.

(2) محمد الفاضل علي باريء، سعيد إبراهيم كريدة: المسلمون في غرب إفريقيا (تاريخ وحضارة)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص139.

2-3 تأسيس إمارة دان فوديو

بعد أن هاجر الشيخ سنة 1804م-1219هـ من بلاد الظلم، بدأ يفكر في وضع أسس لدولته المقبلة، وأول ما قام به هو توضيح الأسباب التي أدت إلى الهجرة، وكذا تبيان الدلائل التي أوجبت عليه الجهاد و منها: ظلم الحاكم و تعذيب المؤمنين، وجود العادات الدخيلة على الإسلام مثل تعظيم الأشجار، و التقرب عن طريق تقديم الذبائح وتعظيمهم لهذه الأمور و ذلك بالتصدق إليها، دعمهم للكفار بمختلف الأشكال.(2)

تعتبر المرحلة التي تبدأ عام 1801م -1225هـ، الفترة التي سعى فيها الشيخ إلى وضع أسس متينة لدولته الجديدة في مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية.

اتخذ الشيخ في بداية تأسيس دولته من ولاية سوكتو عاصمة لدولته،(3) وأطلق على دولته الخلافة الصكتية، و قصد بها أنها صكّت الأعداء صكًا(4)، و استطاع أن يؤسس دولة الفولاني الكبرى و ضمّت المناطق الشمالية من نيجيريا، وأغلب المناطق من النيجر ووصلت

حتى مالي.(5) ولم يسيطر بن فودي على مناطق الهوسا (الهوسالاند) فقط، بل ضمّ إلى كل مدينة كل ما كان يجاورها من المناطق المحيطة.(6) ووحد بذلك شعب الفولاني.

أصبح للشيخ عثمان لقب رسمي متمثل في: أمير المؤمنين و الخليفة، و قد حدد الشيخ عثمان في كتابه "وثيقة لأهل السودان" وكتابه "بيان وجوب الهجرة على العباد" أن: " تنصيب أمير

(1) سعاد مصطفى: المرجع السابق، ص59.

(2) أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص85. وانظر أيضا الملحق رقم (4) ص275.

(3) فيصل محمد موسى: المرجع السابق، ص101.

(4) محمد سعيد القشاط: المرجع السابق، ص116.

(5) كولين ماكيفيدي: أطلس التاريخ الإفريقي، ترجمة: مختار السويفي، مراجعة: محمد الغرب موسى، الهيئة المصرية

العامة للكتاب، مصر، 1987، ص162.

(6) اسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر: تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر، السعودية، 1993، ج2، ص243.

المؤمنين واجب إضافة إلى تكرار ذكر كلمة الإمام التي وردت في كتبه، فتكررت الكثير من الألقاب الإسلامية في مؤلفات الشيخ عثمان وهذا ما يعكس تأثيره بنظام الحكم الإسلامي في صدر الإسلام، و سيسعى الى اقامة خلافة اسلامية مشابهة للخلافة العباسية والأموية ويستعين بالنظم التي انتشرت في مختلف الدول الإسلامية في المشرق و المغرب الإسلامي.

ويبدو أن ظاهرة استعمال الألقاب الإسلامية (الخليفة، أمير المؤمنين، الامام ...) كانت تشكل المستند الشرعي للكثير من الحكام في غرب إفريقيا، بل يعتبرون أن ذلك بمثابة الترقية المعنوية لتوليه هذا المنصب، وقد كان الملوك والأمراء الأفارقة يذهبون الى البقاع المقدسة من أجل تأدية مناسك الحج، وفي الوقت نفسه يأخذون ترقية من مشايخ الحجاز - باعتبار منصبهم الديني المميّز - ولما يرجعون الى بلدانهم يلقبون بلقب " الحاج"، بالإضافة الى اللقب السياسي والديني، ولكن استعمال الإمام كان شائعاً أكثر من لقب أمير المؤمنين و الخليفة، و ذلك لانتشار استعمالها في كل أنحاء غرب إفريقيا بدءاً من فوتاتورو إلى فوتاجالون.⁽¹⁾

بعد خضوع جميع بلاد الهوسا لحكم الشيخ عثمان الذي أقام إمارة إسلامية في غرب إفريقيا هي "الدولة الصكتية The SOKOTO state"، التي اتخذت من مدينة سوكوتو SOKOTO عاصمة لها".⁽²⁾

بدأ الشيخ بتعيين وزرائه قبل الهجرة من دغل، فعين قضاة أكفاء من بين علماء مقتدرين وتطبق عليهم شروط القاضي⁽³⁾، ومنهم:

1- محمد سنبو الإمام المساعد و رئيس القضاة.

(1) علي بن أيوب ناجي: المرجع السابق، ص 84.

(2) محمد السكاكر : المرجع السابق، ص 139.

(3) علي بن أيوب ناجي: المرجع السابق، ص 84.

2- أبو بكر لادان، رئيس القضاة.

3- محمد بن محمد بندوري و الحسن أسكي ولاة للشرطة، ومازال المنصب يتقلده أحفادهم.

4- وعين إمامين آخرين وهما محمد زنقي و أبا بكر.

كما عين قادة الجيوش، ومنهم: علي جيدو الذي يعتبر من مؤسس الجيوش و الذي نال لقب أمير الجيش و محمد بلو و عبد الله بن فودي و غيرهم من القادة.

وفي الحقيقة الجهود التي قام بها الشيخ عثمان وأتباعه في سبيل تحقيق أهداف دعوتهم الإسلامية، أثمر بتأسيس دولة إسلامية⁽¹⁾ ضمّن مساحات واسعة من منطقة غرب إفريقيا⁽²⁾.

تمتد اليوم من بحيرة تشاد شرقاً حتى منحى نهر النيجر غرباً، ومن الغابات الاستوائية الإفريقية جنوباً حتى الصحراء الكبرى شمالاً، وبلغت فيما بين (1258هـ-1842م/1276هـ-1859م) 1500 كلم من الغرب إلى الشرق، و500 كلم من الشمال إلى الجنوب⁽³⁾.

عمل الشيخ بن فودي في الفترة الممتدة من عام 1810م إلى 1817م إلى توطيد دائم إمارته الجديدة في شتى الميادين الاقتصادية و الاجتماعية و الإدارية و السياسية _ كما سيأتي تفصيله في الفصل الذي يلي _ وسعى من أجل تنسيق الأعمال مع الأمراء و الوزراء و الحكام، و عقد الأولوية لأربعة عشر قائدا و زعيما من أنصاره و رفاقه⁽⁴⁾.

مجمل القول: فإن دعوة الشيخ بن فودي قد حققت أهدافها إلى حد بعيد، فقد أصلح من أمور المسلمين الدينية و الدنيوية ونشر التعليم وأصبح حق مشروع لكلا الجنسين الذكر و

(1) أنظر الملحق رقم(4) ص275.

(2) توماس أرنولد: المرجع السابق، ص362.

(3) Rebert et Marnevin :OP.Cit., P.P.258- 259.

(4) يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص122.

الأنثى على حدّ سواء، وصحح الكثير من المفاهيم الخاطئة في أذهان العامة من الناس في الكثير من المسائل الدينية، ثم أنه قد كللت جهوده الدعوية الإصلاحية بتأسيس إمارة إسلامية عاصمتها سكوتو وحصناً من حصون الإسلام.

الفصل الثالث

النظم الحضارية لإمارة سكوتو في ظل

حكم بن فودي

الفصل الثالث: النظم الحضارية لإمارة سكوتو في ظل حكم بن فودي

بعد نجاح الشيخ بن فودي في حركته الجهادية ضد أمراء الهوتا، سعى إلى تأسيس إمارة إسلامية عاصمتها سكوتو و حكمها مستمد من الكتاب و السنة و قد وحد البلاد تحت راية واحدة و جعل اللغة العربية لغة رسمية لها، و قد ساعده في حكم الدولة أخاه عبدالله بن فودي و ابنه محمد بلو، و قد استمر هذه الدولة حوالي مائة سنة.

و بعد تأسيس الإمارة شرع الشيخ ابن فودي في القيام بعدة مشاريع و إجراءات من أجل التمكين أكثر لهذه الإمارة الفتية، و كذا لضمان تسيير أمثل لشؤون الرعية، لذا فقد أعطى الشيخ أهمية قصوى لتنظيمها في شتى المجالات السياسية و الإدارية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و التعليمية و العسكرية، و هذا النظم هي التي ستشكل الوجه الحضاري لإمارة بن فودي.

سنسلط الضوء في هذا الفصل على النظم الحضارية لإمارة بن فودي، بإعتباره هو الذي وضع اللبنة الأولى لها و أشار للكثير من النظم في بعض مؤلفاته، حيث سنجد هناك إرتباط وثيق بين القول و العمل في فكر الشيخ بن فودي، و من ثم لبناء إمارة قوية كان لابد من تطوير كل المجالات.

1- النظم السياسية و الإدارية و العسكرية.

1-1 النظم السياسية و الإدارية:

لقد بايع أنصار الشيخ الذين هاجروا معه بالولاء و الطاعة، و حلفوا على دعمه و موالاته و فق ما ينص عليه كتاب الله و سنة رسوله، و قد كان الشيخ يلقب بأمر المؤمنين و مرة بالخليفة⁽¹⁾.

إن النجاح الذي حققه الشيخ عثمان بن فودي في هذه المناطق من إفريقيا جنوب الصحراء قد ترتبت عنه أعمال أخرى و مسؤوليات جديدة فكان يجب عليه أن يقوم بعملية إصلاح من نوع آخر و ذلك بأن يركز على تنظيم الشؤون السياسية و المالية و الاجتماعية و أن يقوم بتوحيد كل إمارات الهوسا على أساس أن يشكل منها دولة واحدة⁽²⁾.

لقد ظل الشيخ عمل بجهد كبير على تنظيم دولته طبقا لتعاليم الإسلام و يسعى إلى تقويتها داخليا و في مختلف المجالات اقتصاديا، ثقافيا و اجتماعيا⁽³⁾.

و لتنسيق أعماله مع الأمراء و الوزراء و الحكام قسم دولته إلى أربعة عشر ولاية، على رأس كل ولاية قائدا من أنصاره، و طلب منهم أن يدافعوا عن الدولة في سبيل الله و رسوله⁽⁴⁾.

واجهت الشيخ عدة صعوبات أثناء تكوين دولته في مختلف الميادين و من بينها كيفية تسيير الأمور اليومية و تنسيق الأعمال الإدارية مثلا بين أمير المؤمنين و الوزراء أو بين الإمارات، و من بين المشاكل كذلك معالجة العلاقة بين العاصمة سكوتو و بعض المجموعات

(1) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المسلمون و الإستعمار الأوربي لإفريقيا، المرجع السابق، ص 35.

(2) علي بن أيوب ناجي : المرجع السابق، ص 84

(3) عبد القادر زيادية : دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 81.

(4) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 122.

التي بايعت الشيخ على السمع و الطاعة، و لكن اشترطت الحفاظ على خصائصها، كمجموعات الطوارق حيث أعطى لها الشيخ الحكم الذاتي في تسيير شؤونها لكنها تبقى تابعة للخلافة الصكتية⁽¹⁾.

نلاحظ وجود تشابه بين تنظيم دولة الشيخ و بين تنظيم الدولة العباسية، حيث أن المسلمين في منطقة السودان الغربي كانوا متأثرين بالأنظمة العربية الإسلامية، و من أوجه التشابه أن الشيخ جمع بين الإمامة و الخلافة، و قد تحول الداعية الإمام إلى خليفة حاكم بيده الأمر، و هو نفس ما كانت تعمل به الدولة العباسية⁽²⁾.

لقد كانت الدولة الإسلامية التي أسسها الشيخ تشمل أقاليم واسعة في غرب إفريقيا ضمنت كل البلاد الهوسا و المناطق المجاورة في بورنو و كانم⁽³⁾ و المناطق الجنوبية في كيببي و اللورين، و هاته المناطق تمتد من بحيرة التشاد شرقا حتى نهر النيجر غربا، و من الغابات الاستوائية جنوبا حتى الصحراء الكبرى شمالا⁽⁴⁾، و قسم الشيخ إماراته إلى قسمين : القسم الشرقي جعل تحت قيادة ابنه محمد بللو و يشمل المناطق التالية⁽⁵⁾:

زمفارة، كتسينا، كانو، و يوشي، و كانت سوكوتو المركز الرئيسي، أما القسم الغربي عهد به إلى أخوه عبد الله و قد شمل: نوب "Nupe"، و دندي "Dendi" و بورجو "Borgou" و إيلورين "ilorin"، المركز الرئيسي جواندوا في إقليم كب⁽⁶⁾، و يذكر محمد بلو: و لما فتح الله له البلاد

(1) أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص 94

(2) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 157-158

(3) كانم: برنو: تقع برنو في الشرق من إمارة الهوسا، و تقع كانم إلى الشرق من برنو، و هما تحيطان بجزيرة التشاد: أنظر

سعاد مصطفى: المرجع السابق، ص 6-14.

(4) عبد الله الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث و المعاصر، القاهرة 1998، ص 142.

(5) إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 44. أنظر الملحق رقم (5) ص 276.

(6) محمد بلو: المصدر السابق، ص 207.

ولى أخوه سائر بلاد المغرب و استعمله عليها ليرعى فيها و يعدل و ولاني سائر بلاد المشرق و استعملني لأراعي فيها بالعدل و قام كل واحد منا على قدر ما استطاع ... و أقام كل واحد منا على ما يعدل فيه نائبا على كل إقليم بلادنا".

و من أهم الأسباب التي أدت إلى نجاح الشيخ عثمان في السيطرة على المنطقة سواء دينيا أو سياسيا نذكر اعتماد الشيخ على أتباعه من الفولانيين بينهم جيشا، كما كان لإعلانه الجهاد دور كبير في إثارة حماس السكان من أجل الدفاع عن الإسلام، كما نتج عن هذا الأخير أيضا نقص الحروب بين أقاليم المنطقة و أصبحوا يركزوا أكثر على الجانب التجاري⁽¹⁾.

لقد كانت لكتابات الشيخ عثمان بن فودي دور كبير في مجال التنظيم الإداري و السياسي خاصة في نشر الفقه في المجال السياسي، و من القضايا التي تناولها الشيخ في كتاباته موضوع الألقاب السياسية المناسبة لحكام الدولة الإسلامية مثل أمير المؤمنين و السلطان الوالي، و قد رأى الشيخ أن استعمال أي لقب لا يعني شيئا، و أن المهم هو تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية .

اتبع الشيخ في طريقة اختيار و تعيين أمير على منطقة من مناطق دولته شروط إسلامية دقيقة و هي كالاتي: تطبيق كل ما يعد به الرعية، أن يدافع عن الدين الإسلامي و مثال ذلك الإكثار من المساجد، تأدية الصلاة في المسجد حتى يكون قدوة لمواطنيه، أن يكون دارسا للقرآن و فقيها بالحديث و طالبا للعلم، أن يراقب تطبيق الشريعة الإسلامية مثل المجال التجاري، أن يحضر نفسه للجهاد في سبيل الله⁽²⁾.

(1) إلهام محمد ذهني: المرجع السابق، ص ص44-45.

(2) علي بن أيوب ناجي: المرجع السابق، ص ص87-88.

هدف الشيخ من خلال التوحيد إمارته إلى وضع نظام موحد و عازل مثل توحيد عملية جمع الضرائب و قد أفادت هذه العملية كثيرا المجال التجاري و الصناعي⁽¹⁾.

لقد حاول الشيخ مواجهة كل المشاكل التي واجهته بعد تغلبه على أمراء الهوسا، خاصة على مستوى الإدارة، حيث سعى الشيخ و إلى جانبه أخوه عبد الله، و ابنه محمد بلو، إلى اختيار أشخاص على درجة من العلم قصد تطبيق الشريعة الإسلامية.

1- نظام الحكم:

سارت إمارة سكوتو التي أسسها عثمان بن فودي في بداية القرن التاسع عشر على نمط الخلافة الإسلامية في صدر الإسلام، حيث كان الخلفاء يتبعون أثر النبي صلى الله عليه و سلم في أفعاله و أقواله و يلجؤون للشورى التي كان النبي الكريم يلجأ لها فيما لا وحي فيه⁽²⁾.

أما الخليفة أو أمير المؤمنين فقد تحددت مهامه و اختصاصاته في المجالات التالية :

1- الإشراف على حقوق الرعية و المحافظة عليها داخل المجتمع وفق ما أمرت به الشريعة الإسلامية.

2- السهر على حماية حدود الدولة الإقليمية و ممتلكاتها و تحصين المدن و تسويتها لصد هجومات الأعداد و الغزاة⁽³⁾.

و الملاحظ أن التغيير الجذري للبنية الإدارية أي نظام القبلية إلى نظام الإمارة، انعكس على القيم السياسية و فلسفة الدولة الإسلامية حيث ظهرت عدة مؤسسات منها: الشورى،

(1) فيج، جي، دي: المرجع السابق ص 291.

(2) يحيى بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 150.

(3) أحمد بوعتروس: المرجع السابق ص 159.

الوزارة، الشرطة، القضاء، الخزينة و تم تطوير المؤسسات التعليمية و توجيهها و المحافظة علي القيم السائدة كما حددتها القيادة الثورية⁽¹⁾ المتمثلة في الإمام و الخليفة أو أمير المؤمنين.

يرى الشيخ عثمان بن فودي أن الإمامة من الأمور التي أجمع المسلمون علي وجوبها شرعا فلا يجوز أن تمر بالمسلمين فترة من الفترات لا يكون لهم فيها إمام ينفذ حكم الله و يرفع مصالحهم الدينية و الدنيوية⁽²⁾، و لما كانت الإمامة مرادفة للخلافة التي هي رئاسة عامة في أمور الدين و الدنيا نيابة عن صاحب الشرع صلى الله عليه و سلم، صار وجوبا ثابتا عن طريق الشرع، و لذلك كانت طاعة الإمام واجبة على كافة المسلمين، و لا يجوز الخروج عليه، و إن كان الإمام من العصاة المذنبين⁽³⁾، يقول عز من قائل⁽⁴⁾: " وعد الله الذين آمنو منكم و عملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا و من كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون".

و يذكر الشيخ عثمان في كتابه : " بيان وجوب الهجرة على العيار⁽⁵⁾" ما نصّه : "فصل في وجوب نصب الإمام في وجوب طاعته و تحريم الخروج عليه و عزله إلا بكفر فأقول و بالله التوفيق فأعلم أن نصم الإمام واجب على المسلمين شرعا و إجماعا".

(1) Kameche Mohammad : The shelu uthuman danfadio the reformer the renovator and the founder of the sokoto caliphate (1774-1817),Athesis for the degree of Magister of Arts in african civilisation, University of ORAN-Algeria.2008/2009.P182.

(2) مصباح الدين جنيد : المرجع السابق ص 206.

(3) المرجع نفسه: ص 206.

(4) سورة النور الآية : 55.

(5) عثمان بن فودي : بيان وجوب هجرة العباد و بيان وجوب نص الإمام و إقامة الجهاد، تحقيق فتحي المصري، دار جامعة الخرطوم، السودان، 1977 ص21.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فإنه يقول: "إن ولاية الناس من أعظم واجبات الدين و لا قيام للدين إلا بها فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع و لا بد لهم عند اجتماعهم من رئيس حتى قال النبي صلى الله عليه و سلم فيما رواه أبو داود عن أبي سعيد الخدري إذا خرج ثلاثة في سفر فليأمروا عليهم أحدهم و كذلك فقد روى عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه و سلم قال "لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمرو عليهم أحدهم" (1).

و من ثم فإن النصوص الشرعية لا يمكن حصرها في هذا الموضوع فجمهور العلماء المسلمين يرون وجوب نص إمام يتولى أمر المسلمين، و لا خلاف أن الإمامة من أشرف مبادئ الإسلام و طالما كانت الخلافة قائمة بين المسلمين فإنها تعبر بصدق عن وحدتهم و قوة شكوتهم فلما ألغي هذا المبدئ في العصور المتأخرة انحلت وحدة الأمة و تماسكها و انتشرت الأهواء، و تمسكت كل فئة برأيها و اتسعت رفقة الخلاف بين أبناء الأمة الواحدة(2).

لذا فعندما يذكرنا ابن فودي بوجوب نصب الإمام، فإنما يذكرنا بما تحقق به العزة للإسلام و المسلمين و العودة إلى ما كان عليه الرعيل الأول، ثم يمضي الشيخ ابن فودي فيقرر بعض الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن ينصب إماما للمسلمين فيقول: "إن شروط الإمام أحد عشر:

1-الإسلام : فلا ينعقد لكافر بالإجماع.

2-العدالة لأن الفاسق ربما تصرف في الهوى و يتعدى فتضيع الحقوق.

3-الذكورية

4-الحرية

(1) أحمد بن تيمية: السياسة الشرعية لإصلاح الراعي و الرعية، ط4، دار الكتاب العربي، مصر 1969، ص 60

(2) مصباح الدين جنيد: المرجع السابق ص 21.

5- البلوغ

6- العقل

7- أن يكون مجتهدا في أصول الدين و فروعه إن وجد و إلا مقلد

8- أن يكون شجاعا لا يضعف عند لقاء العدو و إقامة الحدود

9- أن يكون ذا رأي و سياسة بتدبير الأمور، يقدر على الشدة في مواضعها و على اللين في مواضعه.

10- أن يكون مقتدرا على إنفاذ أمره و حكمه

11- يشترط في الإمام الأعظم أن يكون قرشيا، إن وجد مع الشروط السابقة و إلا فكتانيا، و إلا فمن ولد إسماعيل فإن لم يوجد يولى أعجمي (1).

فمن هذه الشروط كما يظهر يرجع معظمها إلى الأوصاف النفسية لمن ينصب إماما للمسلمين تتم له الولاية التامة و لما كانت الغاية من نصب الإمام هي حفظ الشريعة الإسلامية و التصرف التام في شؤون المسلمين.

أما العدالة فالمقصود بها أن يكون الخليفة مستقيما في دينه و قدورة حسنة للرعية بعيدا عن البدع الاعتقادية، متجنباً للمحرمات و ما يؤدي إليها من الشبهات، يقول ابن خلدون : " و أما العدالة فلأنه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها كالقضاء و كان أولى باشتراطها فيها و لا خلاف في انتقاء العدالة بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات و امثالها" (2).

(1) عثمان بن فودي : بيان وجوب هجرة العباد، الصدر السابق ص 24.

(2) عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر 2003، ص ص122-

و الذكورية عند ابن فودي تعني أن الرجل أقدر على المرأة في الالتزام بمتطلبات الخلافة أو الإمامة من تحمل المسؤوليات و التفرغ لها و التجرد لتبعات القيادة و مقتضياتها التي منها القهر و الغلبة و إنقاذ الجيش، لذا كان من الصواب اشتراط الذكورية، و قد وردت العديد من النصوص الصحيحة في ذلك منصب المرأة للقيادة و الخلافة من باب أولى منها⁽¹⁾.

أما اشتراط الحرية ضروري لأن الرق أو العبودية تستلزم نقصان التصرف فالذي لا يملك التصرف في شؤونه الخاصة لا يملك التصرف في شؤون العامة و كذلك الصبي الذي دون سن البلوغ فإن العقل يحيل أن يتولى شؤون الأمة و لأن الواقع العملي أو العادة الجارية كلها تشهد على تولية من كان بالغاً عاقلاً و في هذا يقرر ابن حزم أنه لا خلاف بين أحد من أهل الإسلام بأنها لا تجوز لمن لم يبلغ حاشا الرفضة فإنهم أجازوه⁽²⁾.

و الاجتهاد فإنه يقع على الذي سيتولى إمامة المسلمين ينبغي أن يكون على درجة عالية من العلم يتوصل به إلى معرفة الأمور المستجدة و إذا تعذر لجأ المسلمون إلى اختيار أمثل مقلد و هو من كان أكثرهم التزاماً بالإسلام و لا يكتفي الإمام أن يكون ملماً بالعلوم الدينية⁽³⁾.

فطبيعة هذا المنصب تقتضي الإشراف على الشؤون السياسية بين المسلمين و أعداءهم و معالجتها بمنتهى الدعاء و قد عبر العلماء عن اشتراط الثقافة السياسية للإمام بعبارات مختلفة

(1) مصباح الدين جنيد : المرجع السابق، ص 213.

(2) محمد بن علي حزم الأندلسي: الفصل في الملل و الأهواء ، مكتبة المتن للنشر و التوزيع، بغداد العراق (د ت) ج4،

ص178

(3) مصباح الدين جنيد : المرجع السابق، ص 215.

تؤدي كلها إلى معنى واحد و من أهم ما قاله ابن خلدون في المقدمة : "أن يكون جريئاً على إقامة الحدود و اقتحام الحروب بصيرا بها كفيلا لحمل الناس عليها"⁽¹⁾.

أما الشجاعة فلأن صلاح أمر الرعية يعتمد على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و هما لا يتحققان إلى ممن يحسن التعرف بين الناس على مختلف طبقاتهم و تباين ميولهم فيأخذ الناس بالجد في موطنه و باللطف في موطنه و منه يعلم ضرورة اشتراط العقل و الشجاعة فيمن ينصب إماما للمسلمين⁽²⁾.

و أما اشتراط النسب القرشي في الإمامة الكبرى فقد اختلفت آراء العلماء فيه، فذهب جمهور أهل السنة إلى التمسك بهذا الشرط نظرا للأدلة الواردة في الشرع و التي من أهمها قوله صلى الله عليه و سلم :⁽³⁾ "لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم إثنان"، بالإضافة إلى نصوص أخرى تشير إشارة صريحة إلى أن الولاية الكبرى تكون في النسب القرشي، و لكن من بين العلماء الذين عللوا هذه النصوص ببقاء العصبية، بمعنى أنّ النبي صلى الله عليه و سلم، لم ينص على قريش إلى لما لها من العصبية و المنعة فإذا زالتا فلا معنى لاشتراط النسب القرشي كما يقول العلامة ابن خلدون⁽⁴⁾: "لابد إذن من المصلحة من اشتراط النسب و هي المقصود من مشروعيتها و إذا سبرنا و قسمنا لم نجد لها إلا اعتبار العصبية التي تكون بها الحماية و المطالبة و يرتفع الخلاف و الفرقة بوجوبها لصاحب المنصب، فتسكن إليه الملة و أهلها، و ينتظم حبل الألفة فيها، و ذلك لأن قريش كانوا عصبية مضر و أصلهم، و أهل الغلبة منهم، و كان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة و العصبية و الشرف، فكان سائر العرب

(1) ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 161.

(2) مصباح الدين جنيد: المرجع السابق، ص 216.

(3) رواه مسلم في باب الخلافة في قريش، ج 12، ص 265.

(4) ابن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص ص 174، 175.

يعترف لهم بذلك و يستكينون لغلبهم، فلو جعل الأمر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة فإذا ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية و الغلبة و علمنا أن الشرع لا يخص الأحكام بجيل و عصر و لا أمة، علمنا أن ذلك إنما هو من الكفاية فرددناه إليها".

أثبت ابن خلدون من خلال هذا النص، أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية و الغلبة... إلخ، فقد سلم أن القرشية شرط وردت به النصوص، و لكنه جعل هذا الشرط مشروطا بشروط هي توفر العصبية و الغلبة و الحمية ليرتفع الخلاف و الفرقة، أما الدكتور محمد يوسف موسى، فإنه يقول⁽¹⁾: " نرى أن هذا الشرط غير واجب الآن ذلك لأن الأحكام يجب أن ترد إلى عملها و الحكم كما هو معروف يتبع علقه وجودا و عدما، و قد زالت منذ قورن طويلا ما كان قري من العصبية القوية، و النفوذ الغال، و أصبحت العصبية و النفوذ لغيرها، فلا معنى لاشتراط هذا الشرط الذي زالت علته".

و مهما يكن من أمر فإن المسألة لا تعدوا أن تكون ضمن المسائل التي تخضع للاجتهاد⁽²⁾، لأن الوقائع التاريخية الإسلامية قد شهدت كثيرا من الخفاء من غير قريش و قد أقاموا الدين و دافعوا عن الشريعة.

كان منصب الخليفة من بين أهم التجديدات التي استحدثها الشيخ عثمان⁽³⁾، فلقد كانت ولايات الهوس و الولايات المجاورة لها في القرن الثامن عشر وحدا سياسية تتمتع بالحكم الذاتي،

(1) محمد يوسف موسى: نظام الحكم في الإسلام، ط2، دار المعرفة للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، (د-ت)، ص40.

(2) مصباح الدين جنيد: المرجع السابق، ص225.

(3) أهم ما ميز النظام القديم، هو دور الملك الذي كان يعرف بأسماء مختلفة منها، الماي، الساركين...، و قبل التطورات التي شهدتها السلطة في أواخر القرن الثامن عشر، كانت للملك وظائف طقوسية كما كان دوره يتطلب عزلة عن الرعية، و كان قصره أكثر قداسة من البيت العادين، و كان الملك فوق السياسة بشكل أواخر حيث كان رمزا السلطة العظيمة و كانت جميع الأعمال و التصرفات تتم باسمه و كان يمثل الدولة، أنظر: عزيز بطران: الثورات الإسلامية في إفريقيا الغربية في القرن التاسع عشر، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، لبنان، 1996، المجلد 6، ص 634.

و كان من الواضح طبقاً للنظام الجديد، أن الإمارات (الولايات) كانت تحت سيادة الخلفية في سكوتو، و هو الذي تنبثق منه سلطة الحكم في مناطق معينة، و بحكم الأساس الواضح للخلافة في الممارسات الدستورية الإسلامية، كان الخلفية من الناحية الرسمية فوق كل شخصية محلية أو عرقية بشكل لم يسبق لحاكم من قبل⁽¹⁾، وعادة ما كان الخليفة بعيداً عن مظاهر الثراء و البذخ.

جمع شيخ دان فوديو في نظام الحكم بين الإمامة و الخلافة، و تحول الداعية الإمام إلى خليفة حاكم بيده لأمر، و قال في بيان حكمة نصب السلطان في الأرض: "أعلم أن نصب السلطان في الأرض حكمة و نعمة على البرية شاملة، لأن الله تعالى جبل الخلق على حب لانتصاف و كراهية الإنصاف، فمثل الرعية بالسلطان كالحيتان في البحر، يزدرد الكبير الصغير، و القوي الضعيف، و لو لم يكن سلطان قائم لم ينتظر لهم أمر، و لم يستقر لهم معاش، و لم يهنئوا بالحياة".⁽²⁾

و قد اقتصرت الخلافة على سلالة الشيخ عثمان بن فودي، و كان يطبق حكمه على سائر الأقاليم و يمارس سلطته في كل مجال، و له مطلق الحرية في تفويض من لمن يشاء من المهام⁽³⁾، و يقول في هذا الصدد: "...و من الحكمة من إقامة السلطان العادل عموم المنفعة، و حقن الدماء، و صون الحرم، و عمارة الأسواق، و حراسة الأموال، و في زوال السلطان و ضعف شوخته سوق أهل الشر، و مكسب الأجناد، و نفاق أهل السرقة و الفساد، فلا يتمنى زوال السلطان إلا مغرور جاهل، أو فاسد متجاهل، و صلاح الدارين منوط بصلاح السلطان، و

(1) عزيز بطران: المرجع السابق، ص 636.

(2) عثمان بن فودي: الوصية الرضية من الراعي إلى الرعية (نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان)، تقديم و تعليق:

أحمد مصطفى أبو الخير، مراكز أبحاث الوثائق و المخطوطات، دمياط، مصر، 1995، ص ص 86-87.

(3) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 158.

أخلق شخص يعم نفعه البلاد و العباد، و يصلح بصلاحه الدنيا و الآخرة، أن يكون شرفه عنده عظيما و قدره في النفوس جسيما.⁽¹⁾

و قد ساهمت مؤلفات الشيخ المؤسس في مجال الإدارة و السياسة في إثراء الفقه السياسي، و من القضايا التي أدى بها الشيخ عثمان بدلوه، قضية الألقاب السياسية المناسبة لحكام الدولة الإسلامية كأمر المؤمنين و الخليفة و السلطان و الإمام...، حيث جاء في كتاب نجم الإخوان: " لا بأس بإطلاق لفظ الخلافة و الإمامة و الإمارة و الولاية و السلطنة على أمراء الإسلام ولوردها في الشرع، و لا يفهم من جميعها المدح أم الذم في ذاتها، وإنما المدح و الذم في لوازمها.⁽²⁾

لذا فالشيخ يعتقد بجواز استعمال أي من الألقاب لأن الألقاب في نفسها لا تعني شيئا و المهم هو تطبيق أحكام الإمام في الدولة⁽³⁾، و كان يهدف دائما إلى العمل على تحقيق استقرار الدولة الجديدة لمواجهة التحديات الكبرى.

كما يرى الشيخ أن على ولي أمر المسلمين أن يتمتع بمجموعة من الخصال، التي تمكنه من بسط نفوذه و التمكين لسلطانه، حيث ذكر في نجم الإخوان: "... و من خصال ولي الأمر أن ينصر إليه، حيث قال تعالى⁽⁴⁾: "ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز"، و لا يتأتى نصر الله سبحانه إلا بإعزاز دينه، و إتباع أحكامه، و بسط العدالة بين أتباعه.⁽⁵⁾ بإضافة إلى شروط أخرى، جاءت في قوله تعالى⁽⁶⁾: "الذين إن مكانهم في الأرض أقموا الصلاة و أتوا الزكاة و أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر وليه عاقبة الأمور".

(1) عثمان بن فودي: نجم الإخوان، المصدر السابق، ص 87.

(2) المصدر نفسه : ص 60.

(3) أسامة عبد الله محمد الأمين: المرجع نفسه، ص 13.

(4) سورة الحج: الآية 40.

(5) عثمان بن فودي: نجم الإخوان، المصدر السابق، ص 89.

(6) سورة الأنبياء: الآية 41.

و مما يدل على القدرات التنظيمية التي يتمتع بها الشيخ عثمان، تنظيمه للعلاقات التي كانت تربط سكوتو و بعض الجماعات القبلية التي بايعته، مع احتفاظ هذه الأخيرة بخصوصياتها التي أقر لها بالحكم الذاتي.⁽¹⁾

2. الوزارة و الوزراء:

لقي نظام الوزارة⁽²⁾ و الوزراء، تأديبا و دعما قويا من خلافة سكوتو الإسلامية، فاعتبروها في الدرجة الثانية بعد مكتب أمير المؤمنين، فيما يتعلق بتنفيذ الحكم و كذلك لتأليف و لتدوين بدءا بزمن الشيخ بن فودي إلى سقوط الدولة عام 1903م⁽³⁾، و يظهر ذلك في الأعداد الضخمة من الرسائل التي كانت بين الأمراء ووزرائهم إلى أن بلغت أكثر من ستمائة رسالة.⁽⁴⁾

كان الوزير⁽⁵⁾ في إمارة سكوتو، يتمتع بسلطات و صلاحيات واسعة، حيث كان في الإمارة مجلس لاختيار، يتكون من خارج أسرة الشيخ بن فودي، و كان للوزير الكلمة النهائية في هذا الاختيار، أما بالنسبة لتولي الخليفة الجديد يتم بعد وفاة الخليفة الحاكم عن طريق مجلس الاختيار⁽⁶⁾. و من صلاحياته أيضا تعيين الأمراء (الولاة) او الموافقة على تعيينهم، و حسم أي

(1) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 157.

(2) الوزارة: هي أهم الخطط السلطانية و الرتب المملوكية، لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة، فإن الوزارة مأخوذة إما من المؤازرة و هي المعاونة أو من الوزر و هي الثقل، كأنه يحمل كل أفعاله و أوزاره و أثقاله. أنظر: عبد الرحمان ابن خلدون: ديوان المبتدأ و الخبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للنشر و لتوزيع، بيروت، لبنان، 2000، ج1، ص 249.

(3) محمد لواء الدين أحمد: الإسلام في نيجيريا و دور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص 138.

(4) علي بن أيوب ناجي: المرجع السابق، ص 133.

(5) الوزير: هو خاصة أمير المؤمنين الذي يحمل ثقله و يعينه برأيه، أنظر: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس لمحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998، ص 492.

(6) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: حركة الشيخ عثمان في غرب إفريقيا و آثارها الدينية، حوليات كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، العدد5، جامعة قطر، 1992، ص 255.

منازعات قد تنشأ بشأن الخلافة، و كان مندوب الخليفة (مثل الوزير) هو الذي يعين الأمير الجديد في السلطة، فقد كان الوزير يحمل خطابا مختوما بخاتم الخليفة مع ترك مسافة خالية لكي يوضع فيها اسم الأمير، و كان لا مفر، مع اتساع نطاق الوزارة، أن تزداد المشاكل التي تتدرج تحت سلطة الوزير لاسيما أن الوزير بماله من مندوبين خصوصيين مقيم في الإمارات الرئيسيتين و هما: كانوا وزاريا، كان المندوب المتحول الوحيد للخليفة⁽¹⁾. لذا فقد كان للوزراء صلاحية اتخاذ القرارات في معظم شؤون البلاد على أن تكون الكلمة الأخيرة للأمير، و كثيرا ما يفوض الوزير في معظم رسائله و رحلاته العملية.⁽²⁾

و له من الوزراء، صاحب النص الرضى الصوفي عمر الكموني، ووزيره لأكبر وركنه الأبهر شقيقه الاستاذ أبو محمد عبد الله بن فودي، و إمام المسجد محمد ثنب، منهم المؤلف محمد بلو⁽³⁾، و الوزير جنيد، و الوزير جداد بن ليم، و الوزير عبد القادر بن جداد⁽⁴⁾ و غيرهم. يعتبر شيخ عثمان حكم الرسول صلى الله عليه و سلم، نموذجا حقيقيا لأي حكومة، بناء على ذلك، يقرر أنه يجب على الحكام أن يأخذوا حصة الموظف العادي فقط كمرتباتهم من الخزينة العامة و أن يعيشوا معيشة بسيطة بعيدة عن الرف و الملذات، و هو يعتبر الخزينة العامة ملكا لأيتام في يد القائم بالإدارة، و هكذا إذا كان لدى الحكام الوسائل الكافية لتلبية احتياجاتهم الأساسية، فلا ينبغي لهم أحد أي شيء من بيت مال المسلمين، كما نهى كل الحكام و المسؤولين عن قبول الهدايا.⁽⁵⁾

(1) عزيز بطران: المرجع نفسه، ص 638.

(2) علي بن أيوب ناجي: المرجع السابق، ص 138.

(3) محمد بلو : المصدر السابق، ص ص 206-207.

(4) علي بن أيوب ناجي: المرجع السابق، ص 138.

(5) Abdul azim Islamic : shehu uthmam dan fadio and his economic, ideas, MPRA, Paper NO. 40916, Munich Personal Repec Archive, 2012, P98.

3. الولايات و الولاية:

انقسمت الدولة إلى عدة إمارات (ولايات) يحكمها أمير (والي) مسؤول أما الخليفة عن إمارته ، و في بداية الجهاد/ كان أول أمراء الخلافة قد عينوا بتفويض من الشيخ عثمان، ز كل هؤلاء الأمراء هم أنفسهم حملة الرايات في بداية الجهاد و أعضاء الجماعة⁽¹⁾، التي أسسها دان فوديو، و كان الشيخ يحسم المسائل التي تتجم عن النزاع حول القيادة، و لكل أمير في إقليم وزير، وقائد الجنود و الإمام الأكبر للصلاة، و رئيس القضاة و كبار العلماء و كبار الجنود و عمال الولايات.⁽²⁾

أما فيما يخص انتخاب الوالي (الأمير)، فقد جرت العادة أن توافق كل عشيرة من الأسرة الحاكمة على مرشح تؤديه ثم تصبح الانتخابات تنافسا بين العشائر و الاسرة الحاكمة، و كانت الرغبة على التناوب قد وضعت في الاعتبار، و كان الاختيار النهائي يتم في مجلس خاص يسمى "مجلس اختيار الأمير"، و هو مجلس يتكون من أبرز أعيان الإمارة، على ينضم إليهم عضو من الأسرة الحاكمة، و من ثم يتوقف تعيين الأمير في المقام النهائي على رغبة الخليفة الذي يأخذ برأي وزيره في هذه المسائل بعد الانتهاء من ترشيح الأمير عن طريق مجلس الاختيار.⁽³⁾

(1) أول جماعة إسلامية في بلاد الهوسا، هي جماعة السنة التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي من تلاميذه في التعليم و الإرشاد و من مديريه في الطريقة الصوفية، و بذلك هي بمثابة الحكومة التي سيعين منها الشيخ الأمراء و الوزراء و القضاة و المعلمين و بهدف الاهتمام بشؤون الرعية، أنظر: فهد العصيمي: الإسلام في نيجيريا، مكتبة وهبة للنشر و التوزيع، السعودية، 1985، ص 8.

(2) محمد لواء الدين أحمد: المرجع السابق، ص 139.

(3) المرجع نفسه: ص ص 139-140.

و يتضح أن مجلس اختيار الأمير، ما هو في الحقيقة إلا مجلس شكلي بجمع أعيان العشائر و عضو من الأسرة الحاكمة، لأن القرار في الأخير سيتخذه الخليفة ووزيره، و بذلك يلغى موقف أعيان العشائر.

و كان الشيخ يدعوا دائما أمراءه وولاته إلى الزهد و الابتعاد عن ملذات الحياة، فهذا كان مبدأ الذي لم يحد عنه حتى وفاته، لكنه لم يفرض ذلك على أمراءه، حيث ترك لهم مسألة اللباس التشبه بالأعاجم على الإباح، فقد جاء في نجم الإخوان ما نصه: " فأعلموا يا إخواني أن تفخيم الصور إنما حدث في زمن عمر رضي الله عنه- حين افتتح الصحابة الشام و خالطوا العجم، و كان العجم لا يعظمون إلا بالملابس الحسنة، و تفخيم الصور، فرأى بعض تألفهم كل مباح من الملابس، و هذه المسألة كانت بين الصحابة من المسائل المختلف فيها في الندب و الكراهة..."(1)

و على الرغم أن الدور و توزيع المناصب تحت كل أمير (والي) لم يكن يتبع نظاما و نمطا موحدًا، لذا كانت الهيكليات السياسية للإمارات بصفة عامة تتدرج تحت نمطين(2):

أ. إمارات أنشأت بتأييد مجموعات كبيرة متماسكة، و في هذه الإمارات كانت بعض المهمات الحكومية الرئيسية و الأقاليم توزع بين أعضاء هذه المجموعات أو بين المرتبطين بهم، و كانت ذرية الولاة السابقين تحتفظ بحقوقها في المنصب و في الممتلكات المرتبطة به و من بين الولايات التي تسير على هذا النمط نجد: زاريا، كانو، العاصمة سكوتو، كاتاغوم...

ب. إمارات تعتمد على مجموعات غير متجانسة من الأفراد الذين يسيرون في ركاب الأمير، لذا كان نظام الحكم فيها يقوم على الأتباع، و من أهم الولايات

(1) عثمان بن فودي: نجم الإخوان، المصدر السابق، ص 95.

(2) عزيز بطران: المرجع السابق، ص ص 644-645.

نجد: هادجيا، إيلورين، نوبي، بورنو...، ة كانت هذه الإمارات تشهد حروبا أهلية.

و على ما يبدو، أن التجارة هي الاداة الدبلوماسية الوحيدة التي ربطت بين مختلف الإمارات، لذا نجد أن الشيخ محمد بلو قد شجع النشاط التجاري عن طريق الإبقاء على الطرق مفتوحة، و إقامة الأسواق، لذا فقد تزايدت أهمية السياسة الاقتصادية كأداة فعالة من أدوات القوة و النفوذ و تضاءلت أهمية الحرب.⁽¹⁾

4. المؤسسات الإدارية:

يلاحظ أن إمارة سكوتو تأثرت بالنظم الإدارية و السياسة التي كانت موجودة، خاصة في مملكة غانا و مالي كمنصب الوزير و قائد الشرطة⁽²⁾، و هذا ما يعكس حسن الاطلاع و تدبر الذي كان يتمتع به أمراء سكوتو ابتداء من الشيخ المؤسس عثمان بن فودي، الذي يرى بأن الدولة الإسلامية و من أجل تحقيق المنهج الفكري و أهدافه السياسية، تبنى على ثلاثة عناصر أساسية:⁽³⁾

- 1) العلماء الذين يقومون بدور التوجيه.
- 2) عامة الناس الذين يقومون بالامتثال لهذا التوجيه.
- 3) الحكام الذين يشرفون على مسيرة هذا لتوجيه و الامتثال له.

(1) عزيز بطران: المرجع السابق، ص 645.

(2) عرفت غانا و مالي منصب الوزارة، الذي يساعد ملوك هذه البلاد في إدارة شؤونها و كان الوزير في مملكة مالي الإسلامية يلقب باسم " هندي" كما كان يعاون ملك البرنو هدد من الوزراء، و يتألف منهم مجلس عرف باسم " الأكابر الأعلام"، و كان من أهم أعضائه الذين بلغ عددهم إثني عشر وزيرا يعرف باسم " القلادима"، أنظر: العمري: المصدر السابق، ص 506.

(3) عثمان باريمبا باري: المرجع السابق، ص 117.

يتعين على الدولة أن تكون كاملة لنضوج النهائي الذي تجتاز خلاله المراحل الثلاث التالية، لكي تتمكن من إنجاز أهدافها المذكورة على الوجه الكامل⁽¹⁾:

(1) المرحلة المبكرة: و هي ما قبل إعلان الجهاد العام، و هي مرحلة توجيه الأمة، و تتسم بالإعداد الثقافي و الروحي لعامة الناس.

(2) المرحلة المتوسطة: و هي المرحلة التأسيسية للدولة، و تتميز بالسعي من أجل التخلص من العناصر السلبية الفاسدة من الحكام و التركيز على إصلاح أحوال الناس و أخلاقهم و إنعاش الجوانب الروحية فيهم.

(3) المرحلة الأخيرة: و هي أعلى مرتبة اكتمال قيام الدولة، و تتميز بوضع المنهج الفكري و العلمي للحياة بصفة عامة، علما أن الناس منقسمون بطبائعهم و ظروفهم إلى ذوي لاستعداد للانسياق إلى التوحيد الخالص، و هم العلماء و الفئة الثانية و هم عامة الناس الذين و إن كان لهم الرغبة في هذا الانسياق، فهم في حاجة إلى تقليد و إتباع العلماء.

و يبدو أن الشيخ عثمان، كان يسعى أن يعين في جميع مستويات الإدارة، رجالا على درجة من العلم تمكنهم من فهم الشريعة الإسلامية، كما يتمتعون بالسلطة الشخصية التي تمكنهم من تطبيقها، بيد أن الوفيات بين العلماء و طلبة العلم كانت مرتفعة بصفة خاصة أثناء الحرب، و حتى في سكوتو لم يكن هناك في ذلك الحين العدد الكافي من الرجال المتعلمين الازمين للتعيين في مناصب الأمراء و القضاة و الأئمة لمحليين في المناطق الريفية، وكان هذا النقص في بعض المناطق من بلاد الخلافة أشد ما ذلك في هذه المرحلة المبكرة، برغم أن سياسة الشيخ كانت تقوم على إعادة الدراسين إلى مواطن الأصلية، و كان لا مفر من تعويض هذا

(1) عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص ص 117-118.

النقض بتعيين الأقارب مع إخضاعهم لإشراف السلطة المركزية⁽¹⁾. أو الاستنجااد ببعض الموظفين الذين كانوا يعملون لدى الأمراء السابقين، و أعطيت لهم مناصب قضائية مثلاً، و قد سعى الشيخ إلى القضاء على مختلف المشاكل التي اعترضته إما باستعمال القوة أو بمعالجة المشاكل بعيداً عن التنافس على السلطة.⁽²⁾

أ. المجالس الإدارية:

استعان الخليفة في تسيير الدولة بمجلسين⁽³⁾:

الأول: مجلس استشاري: يصم ابرز أعوان الخليفة و أصدقائه و مساعديه (الوزير، مقاجن قري، قلاديمية، أبان دوما، رئيس القضاة، مقاجن اراضي، ممثلين عن القبائل الفولانية..)⁽⁴⁾، و يكر أيضاً محمد بلو في كتابه: "غنفاق الميسور" بعضاً من وزرائه: "... و له من الوزراء صاحب التقي الرضى الصوفي عمر الموني.. ووزيره الأكبر و ركنه الأبهـر، شقيقه الأستاذ أبو محمد عبد الله بن فودي.. محمد ثنب"⁽⁵⁾، و في موطن آخر ذكر بعضاً من خدامه و عماله⁽⁶⁾:
 " .. وله: كرمغ و سليمان و ثنب... و من العمال الذيك من جهتي: أبو حامد علي رنفر، عمر دلاج على كاتسنا، سليمان بن أجدم على كانوا، يعقوب علي ياوس، إسحاق علي دور، إبراهيم علي برنو..".

(1) عزيز بطران : المرجع السابق، ص 631.

(2) م -لاست: دولة الخلافة في سكوتو و بلاد البورنو، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، لبنان، 1996، المجلد6، ص 633.

(3) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص159.

(4) علي بن أيوب ناجي: المرجع السابق، ص 138.

(5) محمد بلو: المصدر السابق، ص 206.

(6) المصدر نفسه: ص207.

ثاني: مجلس تنفيذي:⁽¹⁾ يسهر على وضع مراسيم و تعليمات و أوامر الخلفية و نواهيه موضع التنفيذ، و يضم هذا الأخير الوزير و القاضي و المحتسب.

ب. مكتب النظام و المساعدات:

يعتبر هذا المكتب من اختصاص الوزير، ذلك لأن الوزير عادة يقوم بمساعدة الضعفاء الذين يرفعون شكاويهم الاقتصادية و الاجتماعية للأمير، ظ الذي بدوره يحول هذه الظالم إلى الوزير الذي يطاب منه سرعة البث فيها، فمثلا الوزير جداء و الذي كان يطوف حول المدن ليرى عما إذا كان هناك من هو جائع أو عار أو لا مأوى لله، و كانت المساجد كلها تحت سلطة الوزير و كذلك مجلس الكتبة، أما أعمال الوزراء خارج سكوتو فترتبط بالوزارات، و الوزراء في الاقاليم بالحكومات المركزية و علاقتهم علاقة الرئيس بالمرؤوس.⁽²⁾

ت. الديوان:

اتبع الشيخ دان نظام الدواوين و سماها الولايات، فأنشأ عشرين ولاية لإدارة الدولة، أهمها: الخلافة العامة و الوزارة و القضاء و رد المظالم و الجهاد و قسم الغنيمة و قيم للفيء و لكتابة و قسم وضع الجزية و قسم للصلاة و قسم للصدقة و الحج و غيرها، و حدد لكل ولاية اختصاصاتها و أسلوب عملها.

و قد تناول الشيخ في كتابه " بيان وجوب الهجرة من العياد و بيان وجوب نصب الإمام و إقامة الجهاد"، أقسام الولاية الشرعية، و كانت كل تنظيمات دولته وفق مبادئ الشريعة الإسلامية

(1) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 159.

(2) علي بن أيوب ناجي: المرجع السابق، ص ص 139 - 140.

و ذلك واضح من كتاباته الكثيرة في هذا الشأن مثل كتابة: "الفرق بين ولاية أهل الإسلام و أهل الكفر"، الذي وضع فيه نظام الحكم في الدولة.(1)

ث. الكتابة:

ظهر منصب الكتابة بصورة أوسع في بلاد غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر في عهد خلافة سكوتو، فقد عهد الشيخ عثمان لبعض وزرائه بكتابة الرسائل إلى بعض الملوك و رؤساء الدول في فترة الجهاد و بعدها مثل: ملوك غوبير و سلطان مراكش، و شيخ محمد الأمير الكافي و أمير الأهير، و غيرهم من الحكام المعاصرين له.(2)

ج. الشرطة:

ظهر جهاز الشرطة في الإمارة الصكتية، فقد ذكر الشيخ بن فودي في هذا الشأن أن من أركان الملك صاحب الشرطة (ساركين دوجاري)(3) ينصف للضعيف من القوي(4)، و حدد أمير المؤمنين محمد بلو وظيفة والي الشرطة، بقوله: " إن موضوع الشرطة في شيئين (5):

الأول: عون الحكام من أصحاب المظالم و أصحاب الدواوين، و في حبس من أمر بحبسه و إطلاق من أمر بإطلاقه، و أشخاص من كاتبوا بأشخاصه، و إخراج الأيدي مما خلت فيه أو إقرارها.

(1) محمد باي بالعالم: المرجع السابق، ص 113.

(2) القلقشندي: المصدر السابق، ص 298.

(3) يحي بو عزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 150.

(4) عثمان بن فودي: بيان وجوب الهجرة على العباد، المصدر السابق، ص 39.

(5) المصدر نفسه: ص 35.

الثاني: إقامة الحدود

و من ثم فقد اتخذت المؤسسات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية على وجب الخصوص عمقا في إمارة سوكوتو⁽¹⁾، و قد تعذرت الزراعة و التجارة في ظل القيادة الحكيمة للشيخ عثمان و بعد ابنه محمد بلو.

1-2 النظم العسكرية:

خاض الشيخ بن فودي في جهاده عدة معارك، و كذا معارك أخرى بعد تأسيس الدولة من أجل حماية الحدود و توسيعها، و في الحقيقة لم يكن هناك تنظيم كامل للجيش، بل كانت كل إمارة (ولاية) مستقلة في التنظيم العسكري، و رغم استدعاء قوات من مختلف الإمارات للمشاركة في العمليات العسكرية و الحملات الرئيسية في الخلافة، فإن الأمراء احتفظوا بجيوشهم المستقلة، و كان الأمراء بدورهم يكلفون الرؤساء بإرسال القوات حسب أوامر الخليفة.⁽²⁾

ذلك فإن الانتصارات التي حققتها الجماعة في ساحات المعارك لم تأتي كثيرا من أسلحتها أو من التخطيط الجيد الذي كانت تعمل به، و إنما بإيمانهم بقضيتهم و بدعوتهم و بشيخهم دفعهم قدما إلى تحقيق الانتصارات المتتالية في المعارك.⁽³⁾

أ. القيادة العسكرية:

كان الأمراء يقودون الجيوش في الحروب التي يقومون بها ضد المناطق المجاورة، أو ضد القبائل الوثنية أو ضد القبائل الوثنية المتمردة داخل إماراتهم، و كانت مهمة القيادة

⁽¹⁾ Smith : the contemporary significance of the academic ideals of the socoto jihad, i, y.b usman(ed) the socoto caliphate-lagos,1979,p247.

⁽²⁾ محمد لواء الدين أحمد: المرجع السابق، ص 140.

⁽³⁾ Kameche Mohammad : OP.Cite.P182.

العسكرية في الإمارات هي العمل على حماية الجيش و المحافظة عليه و اختيار مواقع المعارك، و تزويد الجنود بالعتاد و الأسلحة، و تشجيع المحاربين على الجهاد في سبيل الله، و توزيع الغنائم على الجنود و القادة المخلصين، و مان الخليفة في بعض الأحيان يعين أحد الموظفين لقيادة الجيوش، و على مستوى الإمارات كانت القيادة العسكرية هي المسؤولة قائد الجيش.⁽¹⁾

كانت القيادة العسكرية قد احتفظت بطابعها اللامركزي منذ أيام الجهاد، فالبرغم أن الأمير كان أول من عين و كان حامل راية الجهاد، و في بعض الحالات كان هناك أكثر من حامل راية الجهاد، و في بعض الحالات كان هناك أكثر من حامل للراية و في حالات أخرى، كان الأمير الذي عين في الأصل أضعف من أن يؤكد سلطته⁽²⁾، و في 1820م ، و بعد وفاة عدد حملة الراية القدامى كان لابد من الوصول إلى نوع من التعايش أو التسوية المؤقتة.⁽³⁾

كان قادة جيوش سكوتو عنيدون، رغم أن الحروب كانت طويلة و نتیجتها غير مؤكدة في كثير من الأحيان و مع ذلك، يبدو أن القادة المسلمين و خاصة الشيخ عبد الله بو فودي و محمد بلو، فهموا فن الحرب أكثر من خصومهم الهوسا، ربما بسبب أن الأولين على أي حال كانا يعرفان الكتابة و القراءة بشكل كامل وراية بالأدب العسكري الإسلامي، و قد اكتسبوا الخبرة من حروبهم ضد الطوارق، و قد عرف محمد بلو بأنه سيد المفاجآت، حيث فهم العقيدة العسكرية المبنية على المفاجآت و التغلب على العقبات الطبيعية، ظهر محد بلو كقائد خبير في سلاح الفرسان و في التكتيك العسكري، و هذا ما تركه يلحق الخسائر بأعدائه.⁽⁴⁾

(1) محمد لواء الدين أحمد: المرجع السابق، ص 140.

(2) عزيز بطران: المرجع السابق، ص 633.

(3) عزيز بطران: المرجع السابق، ص 633.

(4) j-d, Fage And Rolond Oliver: The History of Africa, Cambridge university press,2008, P140.

ب. المشاة و الفرسان:

كانت قواة المشاة هي أكثر القوات عددا و تضم أساسا حاملي الرماح و الحراب و حاملي السيوف و رماة الأسهم المزودين بالأسلحة النارية، و كانت هذه القوات من عامة الشعب، و من المتطوعين من الفلاحين و أهل الذمة الذين يدفعون ضريبة الجزية، و إلى جانب قوات المشاة، كانت قوات الفرسان الذين يمثلون الصفوة في جيش الأمير من الموظفين و أتباعهم⁽¹⁾، و من حكام المقاطعات، وكانت أسلحتهم تضم الدروع و الحرب و السكاكين و الحناجر.⁽²⁾

ت. لباس الجهاد و تحلية آلات الحرب بأحد النقدين (الذهب و الفضة):

يرى المصنف رحمه الله، في حكم لبس النقدين (الذهب و الفضة) في غير الجهاد، و حكم لبسها في الجهاد " فأعلموا يا إخواني أن لبس المحلى بأحد النقدين في غير الجهاد، على وجه التجميل حرام بإجماع العلماء و أما لبسها في الجهاد فحرام أيضا على المشهور، سواء كان ما ينفش كالفرس، أو ما يضارب كالرمح و السمين، أو يركب كالسرج و الركاب أو يستعان به على الفرس، كاللجام..."⁽³⁾

و اما لبس ما أخذ من المحلى بأحد النقدين الذي أخذ من الكفار، إظهارا للنعمة أو للإذلال، وأو لينظر الناس إلى أمر عظيم من الدنيا و قتها، من غير استدامة، فقد قال الأبخشي، كما في المستطرف من كل فن مستظرف: "لا بأس أن يلبس الرجل المحلى بأحد النقدين، على وجه الشكر و إظهار النعمة، و استدل على ذلك بقوله: قد أتى رسول الله صلى

(1) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المسلمون و الاستعمار الأوروبي لإفريقيا، المرجع السابق، ص 41.

(2) أنظر الملحق رقم (6) ص 277.

(3) عثمان بن فودي: نجم الإخوان، المصدر السابق، ص 103.

الله عليه وسلم، بجية كسرى، فاشتراها و لبسها، ثم كساها أسامة، فقالو: كيف تكسو أسامة جبة كسرى؟ فقال: الحمد لله الذي سلبها كسرى و ألبسها أسامة، ثم قال الأبشيهي⁽¹⁾: فكأنه عليه الصلاة و السلام، أراد بإلباسها أسامة إظهارا للنعمة، التي أنعم بها على أهل الإسلام، حيث تصل كنوز كسرى إليهم إذلالا، إذ لم يكن يلبس أمثالها إلا الملوك، فأذلتها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكساها أسامة مولاه...⁽²⁾

فيجوز للرجل تحلية السيف و غيره، من آلات الحرب بالفضة كالسيف و الرمح و أطراف السهام و الدرع و الران- خف يلبس في الساق ليس له قدم و يكون بين الركبة و الكعب- و كذا الخف، لأنه يغيض الكفار، و لا يجوز تحلية شيء مما ذكر بالذهب.⁽³⁾

و كان الأسرى الحرب أهمية خاصة، سواء من حيث توسيع الرقعة الزراعية في المنطقة المحيطة بسكوتو و القرى المتاخمة لها (حيث لم تكن هذه المناطق تزرع من قبل)، و كذلك لإقامة التحصينات الدفاعية المناسبة، مثل: " الأسوار العالية المبنية بالطوب اللبن و المنازل ذات الأسطح التي لا تتأثر بالحريق و كذلك بناء المساجد في مناطق الاستيطان الجديدة.⁽⁴⁾

ث. حملة الأولية:

بعد تأسيس الشيخ عثمان لإمارته عام 1804م، بدأت حركة الجهاد تتخذ شكلا جديا و استراتيجيا خاصا بها، ففي ذلك العام (1804م) أعطى الشيخ أعلام الجهاد إلى الفيف من أتباعه و تلاميذه و أقاربه، و أخذ منهم المبايعة، كما تعاهدوا على نصرته و العمل لإعلاء

(1) محمد بن أحمد الخطيب، صاحب المستطرف، الذي اشتمل على كل فن ظريف، ففيه الاستدلالات بآيات القرآن و أحاديث صحيحة، و حكايات حسنة من الأخبار، و يقال فيه الكثير مما أودعه الزمخشري في ربيع الأبرار، و ابن عبد ربه في العقد...، و أبوابه 84 بابا، و الأبشيهي من مالكية القرن 8 هـ. أنظر: عثمان بو فودي: نجم الإخوان، المصدر السابق، ص 105.

(2) المصدر نفسه: ص 105.

(3) نفسه: ص 105.

(4) عزيز بطران: المرجع السابق، ص 637.

كلمة الله و نشر الوعي الديني بين الناس⁽¹⁾، و كان لهذا العمل أثر كبير في انتشار نفوذ إمارة سكوتو في غرب إفريقيا، و كان لكل واحد من الدعاة و المجاهدين و القواة رجال مقاتلون تحت قيادته، و قاموا بدورهم في تسليم و توزيع أعلام الجهاد إلى أفراد آخرين للتوجه إلى الأقاليم الأخرى التي لم يتم فتحها بعد، و كانوا مجهزين أنفسهم بما لديهم من كتب و مصنفات علماء سكوتو و غيرهم.⁽²⁾

عين ابن فودي حملة الأولوية من بين أتباعه المخلصين الذين جاؤوا من مناطق نائية، و قد كان يرسلهم إلى المناطق التي ينتمون إليها، أو إلى البلدان التي تجاورها بعد أن يعطيهم اللواء لإعلان الجهاد في تلك البلدان و يعطيهم لقب أمير الجيش، و بعد تحقيق النصر في المنطقة بعين حاكما أو نائبا أو أميرا لها، و كان محمد بلو و عبد الله يقومان بصلة الوصل بين الشيخ و نوابه في أقاليم الهوسا⁽³⁾، و فيما يأتي أهم حملة الأولوية في المنطقة:

1. سلطان آهير: قرب مدينة سكوتو، يعمرها الطوارق و بقايا صنهاجة و البرابرة،

و كان من جماعة ابن فودي، و أيضا من جماعة ابن فودي الذين نشطوا في سبيل الدعوى في المنطقة، نذكر السلطان محمد الباقر الذي عمل على نر فكر ابن فودي في بلاد آهير⁽⁴⁾.

2. لواء ابن فودي في مقاطعات كاشنة (كاتسنا): كان على رأس الفولانيين، الشيخ

عمر دلاج، و هو من أصحاب الشيخ ابن فودب و تلاميذه، و لم سمع بقيام

(1) . عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص 130.

(2) . عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص ص 129-130.

(3) بهيجة الشاذلي: دور زعماء الإصلاح الأفارقة (قرن 19م) في إثراء الثقافة العربية الإسلامية، المؤتمر الدولي: " الإسلام في إفريقيا"، ليبيا، 2006، ص ص 306-307.

(4) آدم عبد الله الألوري: الإسلام في نيجيريا و الشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، تقديم عبد الحفيظ أولاد دوسو، دار الكتاب المصدري، الإسكندرية، مصر، 204، ص 163.

الجهاد قدم إلى ابن فودي و طلب منه اللواء معقده له، فرجع إلى بلاده يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و يدعو إلى نصرة الحق و الإسلام و بنصرة ابن فودي.

3. لواء ابن فودي في مقاطعات زاريا: يعد الشيخ ما لم موسى، أحد أتباع الشيخ عثمان، و الذي فرض سيطرته على حكومة زاريا.

4. لواء ابن فودي في مملكتي بوشي و غامبي: يوجد من تلاميذ ابن فودي قبل قيامه بالجهاد، تلميذان هما: يعقوب و أبو بايرو، اللذين قادا عملية لوعظ و الإرشاد في المنطقة وفق معلمهما الشيخ عثمان.⁽¹⁾

5. لواء ابن فودي في إمارة كانو: بعد النزاع الذي كان على الحكم، بعث الشيخ عثمان ابنه محمد بلو الذي قض على هذا النزاع، و عين العالم سليمان العم كأمرير على هذا الإقليم، و أمر الناس أن يبايعوه، و هكذا دخلت كانو تحت سلطة ابن فودي.⁽²⁾

6. لواء ابن فودي في أعالي بنوي: هناك رجل فولاني يدعى مودبو آدم، تلقى العلم في برنو، و لما رجع إلى بلاده و اتصل بالدعوة الإصلاحية الجديدة، أسرع إلى اعتناقها، و حث قومه على المسابقة إلى قبولها و مناصرتها، فبعثوه إلى مبايعة ابن فودي فذهب و بايع، ثم رجع باللواء فجهز حبشا عظيما و صار يدعو القبائل الوثنية للإسلام.

⁽¹⁾ آدم عبد الله الألووري: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفولاني، المرجع السابق، ص ص 166-167.

⁽²⁾ المرجع نفسه: ص 169.

7. سقوط برنو في حكم ابن فودي: كان بأرض برنو عددا كبيرا من الفولانيين- أنصار ابن فودي- و كان يتعرضون باستمرار للاضطهاد من قبل رجال أمير برنو، و بدعم من شيخ عثمان تم لهم إخضاع برنو تحت حكم ابن فودي.⁽¹⁾
8. لواء ابن فودي في بلاد يوروبا: كان من جملة أصحاب و أتباع ابن فودي، رجل فلاني عرف بالتقوى و الصلاح اسمه " صالح بن محمد بن جنتا"، الذي أوكل إليه الشيخ عثمان مهمة نشر الدعوة في المنطقة، و فعلا تمكن الشيخ جنتا من ذلك، و دانت اليوروبا لحكم دان فوديو.⁽²⁾

ج. الرباطات⁽³⁾:

شجع خلفاء سكوتو، ابتداء بالشيخ المؤسس عثمان بن فودي البدو على الاستقرار حيث عملوا على تطبيق سياسة بناء الرباط، و هو عبارة عن وحدة اجتماعية متكاملة، تشمل الفلاحين إلى جانب المحاربين، بالإضافة إلى الفقهاء و المدرسين، و كان الرباط يتكفل في منطقتة بالإدارة المحلية، و يعهد بالمسؤولية فيه لشخص معين، مسؤول عن توفير الحماية لمساحة واسعة من الأرض و سكانها.⁽⁴⁾

كما زود الجيش بمعدات إضافية مثل: الخيام و الدواب من الخيول و الأبقار و الحمير التي كانت تستخدم لنقل المواد و الطعام و أسلحة المحاربين، و كانت الدولة تعتمد على نظام الرباط الذي أدى أدوارا هامة لدولة سكوتو لدرجة أنه يمكن أن نطلق على هذه الدولة " دولة

(1) آدم عبد الله الأولي: الإسلام في نيجيريا و الشيخ عثمان بن فودي الفلاني، المرجع السابق، ص ص 171-172.

(2) المرجع نفسه: ص ص 186-187.

(3) الرباطات: جمع رباط: و هو من المرابطة، أي القيام في ثغر العدو لإعزاز دين الله و التصدي لأعداء الأمة و الدين، أنظر: أسماء موسى زايد: الصلات التجارية بين البلاد المغرب الأقصى الغربي في عصر المرابطين، جامعة 7 أكتوبر، ليبيا، 2008، ص 47.

(4) بهيجة الشاذلي: المرجع السابق، ص 316.

الرباط"، لأنها منذ البداية حتى النهاية، كان الرباط يشكل أمراً جوهرياً في حياة الدولة، و صارت قوة دفاعية أمام أعدائها، ناهيك عن انتشار الزهاد و العباد الذين جاهدوا في سبيل الله⁽¹⁾.

رغم المساحات الشاسعة التي امتد إليها سلطان الدولة، و رغم جسامه المسؤوليات الملقاة على عاتق الخلفاء، و رغم كثرة الأعداء الذين يتربصون بالدولة، فإنه لم يوجد لدى الدولة جيش كامل و منظم و مركزي، بل على العكس كانت كل إمارة لها جيشها و قوتها، و تستقل في كل شؤونها الحربية، و كان الأمراء يكفون أتباعهم بإرسال الجنود و المعدات بناء على مطلب الخليفة للقيام بحملات الجهاد، أو للقضاء على تمرد قد يحدث في إحدى الإمارات التابعة للدولة، و كان الخليفة يكلف أحد الموظفين بقيادة الجيوش حسب طبيعة كل معركة، و حسب أهمية الحملة الموجهة إلى منطقة من المناطق، و كان الخليفة نفسه يشارك في بعض المعارك بل يقود الجيوش المشتركة.⁽²⁾

و ما يجب التنويه له أن الجنود لم يكونوا يتقاضون تعويضات، و لكنهم كانوا يحصلون على نصيب من الغنائم، و لم يكن أيضاً هناك تجاني في تسليح القوات³، إلا أن هذه النقائص في جيش سكوتو لم تقف عائقاً في تحقيق الانتصارات و إلحاق الهزائم بالأعداء، و يبدو أن التأثير الروحي و الفكري للشيخ دان فوديو قد ألقى بضلاله على نفوس الفولاني و أخذوا على عاتقهم مهمة إنجاح الدعوة الفودية.

(1) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المسلمون و الاستعمار الأوروبي لإفريقيا، المرجع السابق، ص 41.

(2) المرجع نفسه: ص 40.

(3) عزيز بطران: المرجع السابق، ص 640.

2- النظم الاقتصادية و الاجتماعية في إمارة سكوتو

1-2 النظم الاقتصادية:

كانت الإمارات التابعة لسكوتو تعاني في بداية من نقص الأيدي العاملة و لم تكن طرق التجارة قد استقرت بعد كما لم تكن تتمتع بالحماية الكافية، و كذا حالة عدم الاستقرار التي كانت تعاني منها بعض الإمارات في الفترة الأولى⁽¹⁾، كلها هذه الأوضاع أدت بالشيخ عثمان أن يعتمد على سياسة إعطاء الاستقلال الذاتي للإمارات في تسيير شؤونها و دعمها و هذا سيؤدي إلى حالة من الاستقرار سمحت الدولة من التحكم في زمام الأمور و تنظيم القطاع الاقتصادي باعتباره عصب الدولة، و لعل الأفكار الاقتصادية للشيخ دان فوديو كان لها بالغ الأثر في توجيه اقتصاد سكوتو كما سيتبين ذلك.

1. المؤسسات الاقتصادية:

أ. بيت المال:

هي دعائم النظام المالي و الاقتصادي لخلافة سكوتو⁽²⁾، و قد سار النظام المالي وفق النظم الإسلامية المستحدثة من تعاليم القرآن الكريم⁽³⁾، و انتقد الشيخ عثمان بشدة النخبة الحاكمة في الهوسا بسبب ضرائبها الشديدة و انتهاكها للشريعة الإسلامية⁽⁴⁾، كما أدان الاضطهاد و كل الظلم و إعطاء الرشاوى و قبولها و نهب أموال الناس، حيث يقول: " وعلمت أن أموال المسلمين التي نهبوا قبل، إذا وجدها صاحبها الآن عندنا، و أثبت أنها له، أخذها بغير شيء، حيث وجدها عندهم أو عند غيرهم، بشراء أو هبة أو إرث إذ وارثه و موهوبة و

(1) عزيز بطران: المرجع السابق، ص 647.

(2) محمد لواء الدين أحمد: المرجع السابق، ص 141.

(3) محمد احمد كافي: المرجع السابق، ص 154.

(4) Abdul Azim Islahi: OP-cit,P6.

مشرية - إن علموا الغصب- كالغاصب في الضمان و غيره، و أما ما يقال من أن ما تصرف فيه الملوك بالجور أن الصواب ترك التعرض له، لما فيه من الفساد فإنما ذلك فيما استهلكوا من بيت المال، و تداولت عليه الأيدي، لعدم تعيين مالكها، و أما ما ثبت أنه المسلم فلا وجه لمنعه".(1)

و من أهم موارد بيت المال نجد:

★ الضرائب: سارت الضرائب وفق النظم الإسلامية، فكانت الزكاة تدفع لبيت المال⁽²⁾، و هناك ضريبة العشر و ضريبة تقرض على الماشية تسمى (جانجالي)، ضريبة الخراج على الأرض و تسمى (كوجرين كاسا)⁽³⁾، و ضرائب أخرى على أرباب الحرف و الصناعات، و أسهمت الضرائب المختلفة بنصيب وافر في اقتصاد سكوتو.⁽⁴⁾

★ الجزية: كانت تقرض على الوثنيين الذين يرفضون الدخول في الإسلام، و كذا عناصر أهل الكتاب (النصارى و اليهود)⁽⁵⁾، نظير إعفائهم من الخدمة العسكرية و نظير استمتاعهم بالمرافق العامة⁽⁶⁾، و كانت الجزية تتم مرتين

(1) عثمان بن فودي: نجم الإخوان، المصدر السابق، ص ص 119-120.

(2) ذكر الباحث محمد لواء الدين أحمد في كتابه: " الإسلام في نيجيريا و دوار الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه"، فيما يخص الزكاة، أن الشيخ عثمان قد فرق بينها و بين المواد الأخرى، حيث أن الزكاة ليست موردا من موارد الدولة، بل أن مصارفها مبينة في القرآن الكريم، مصداقا لقوله تعالى: " إنما الصدقات للفقراء و المساكين و العاملين عليها و المؤلفة قلوبهم و في الرقاب و الغرمين و في سبيل الله و ابن السبيل فريضة من الله و الله عليم حكيم". أنظر: محمد لواء الدين أحمد: المرجع السابق، ص 41.

(3) محمد باي بالعالم: المرجع السابق، ص 114.

(4) المرجع نفسه: ص 114.

(5) محمد شاكر: نيجيريا، ط2، مؤسسة الرسالة للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1971، ص 22.

(6) إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 46.

سنويا مع العديدين الرئيسيين في السنة الهجرية، و مع ذلك فإن عملية الجباية تتم بدون شك في الإمارات بعد الحصاد، بصرف النظر عن تاريخ حلول العيد.⁽¹⁾

★ الهدايا: و تسمى (جيزورا) أي الهدية، و هي تقضي بأن يقدم كل مرؤوس هدية لرئيسه، قم تتوالى الهدايا حتى تصل إلى الخليفة - رغم استنكار الشيخ عثمان لذلك- و تقدم في المناسبات و الأعياد و كان أمراء المقاطعات يدفعون الضريبة لأمير المسلمين في سكوتو.⁽²⁾

كما توجد موارد أخرى لبيت المال، تشمل: خمس الغنائم، ممتلكات العدو، أي الغنيمة التي تم الحصول عليها دون القتال الفعلي، الوريثة (ملكية الفقيده و المفقودة التي وجدت و صاحبها لا يمكن تتبعه).⁽³⁾

ب. الحسبة⁽⁴⁾:

و هي رقابة ادارية تقوم بها الدولة عن طريق وال مختص على أفعال الأفراد وتصرفاتهم، لصبغها بصبغة اسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفقا لأحكام الشرع وقواعده⁽⁵⁾، فقد دلت الأدلة على وجوبها من الكتاب و السنة و الإجماع، فأما الكتاب فقد أمر

(1) عزيز بطران: المرجع السابق: ص 639.

(2) محمد شاكرا: المرجع السابق، ص 22.

(3) Abdul Azim Islahi : DP- cit, P9.

(4) الحسبة: ضبطها علماء اللغة بكسر الحاء، اسم مصدر احتسب احتسابا و حسبة، و تعني الأجر حسب ابن منظور، أنظر: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1999، ج3، ص 164.

(5) عبد العزيز بن محمد بن مرشد: نظام الحسبة في الإسلام، منشورات جامعة الغمام محمد بن سعود الإسلامية السعودية، 1393، ص 16.

الله سبحانه و تعالى بالحسبة في مواضيع متعددة و بأساليب مختلفة، و منه قوله تعالى: " و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون" (1). و تبين أن حكم الحسبة بالنسبة للولاية يختلف عنه بالنسبة للعامة، فهو بالنسبة لولاية الأمور فرض عين عليهم دائماً و أبداً، و هم مسؤولون عن القيام به امام الله سبحانه و تعالى على الوجه الأكمل.(2)

الثابت ان منصب الحسبة قد ظهر و ازدهر إبان عصر إمارة سكوتو، و ذلك عندما أحس حكام الإمارة بحجاتهم الماسة لهذا المنصب الهام لضبط أمور الدين و الدولة و الهم لتكوين البناء الاجتماعي و الاقتصادي للدولة الإسلامية الحديثة في أرض الهوسا(3)، و ذكر الشيخ بن فودي فو هذا الشأن: " أن ولاية الحسبة محدثة، و هي من أكبر الولايات"(4)، لذلك أسس الشيخ عثمان وظيفة الحسبة، واتفقت مصادر التاريخ أن منصبهم المحتسب في إمارة سكوتو، كان هاماً، بل كان في بعض الأحيان أهم منصب قاضي القضاة، لأنه كان في إمارة سكوتو يجمع بين الشرع و السياسة، و كان شيخ عثمان ضد الممارسات غير الصحيحة مثل: الغش، و الاحتيال، الإسراف، لتي لها عواقب سيئة على الاقتصاد.(5)

إدارية تقوم بها الدولة عن طريق وال مختص على أفعال و تصرفاتهم، لصبغها بصبغة إسلامية، أمراً بالمعروف و نهياً عن المنكر(6)، وفقاً لأحكام الشرع.

(1) سورة آل عمران: الآية 104.

(2) عبد العزيز بن محمد بن مرشد: المرجع السابق، ص 102.

(3) محمد أحمد كافي: المرجع السابق، ص 154.

(4) عثمان بن فودي: بيان وجوب الهجرة على العباد، المصدر السابق، ص 39.

(5) Abdul Azim Islahi : DP- cit, P.

(6) عبد الرحمان ابن خلدون: ديوان المبتدأ و الخبر، المصدر السابق، ج2، ص 323.

2. التجارة و الأسواق:

وضع الشيخ عثمان نظاما موحدًا عادلًا لجباية الضرائب، يهدف إلى تنظيم و حكم الدولة بشكل منظم، و قد أفاد هذا الأمر مدن الهوسا و خاصة في مجال التجارة و الصناعة التي لم تزدهر من قبل، كما تم إنشاء الأسواق ببلاد الهوسا، يأتيها التجار عبر الصحراء و من النصف الشرقي لإفريقيا الغربية.⁽¹⁾

و هو ما ساهم في عملية التبادل التجاري بين شعوب الهوسا و العالم الخارجي، كما أصبحت المعاملات في الدولة كلها إسلامية⁽²⁾.

لم يكن التجار في سكوتو مهمتهم التجارة فقط، بل وضعوا على رقابهم أيضا مهمة نشر الإسلام أينما كانوا، كما قام محمد بلو بالتسوية بين كبار التجار الفولانيين و الهوساويين.⁽³⁾

لكن في البداية كان ينظر إلى التجار الذين يعبرون الحدود بعين الشك، و لذلك فإن تجار الهوسا الذين تخلفوا أو مسؤولي الهوسا المحليين الذين أرادوا إعادة الاقتصاد القائم على التجارة، وجدوا أنفسهم في موقف صعب، و نظرا إلى عدم خبرة الإدارة الجديدة، و نظرا إلى احتمالات خيانة الأمانة، كان عبي الإشراف الذي وقع على حكومة الخلافة كبيرا جدا في البداية ووجد الشيخ نفسه أمام عدد كبير من الشكاوى و المنازعات التي عرضت عليه من كافة أنحاء بلاد الخلافة، وكانت أولى المنازعات تلك التي نشأت بين القادة العسكريين و العلماء حول توزيع المناطق فيما بينهم لإدارتها، و قد حسم عدد من هذه المنازعات، إما بالقوة أو بقيام الطرف المتظلم بتسوية أوضاعه بشكل مستقل بعيدا عن المنافسة و يقوم ولاءه مباشرة للشيخ.⁽⁴⁾

(1) بكرابي رقية: حركة الشيخ عثمان بغرب إفريقيا، مجلة الدراسات التاريخية و القانونية، العدد (1،2)، المركز الجامعي

بتندوف الجزائر، 2016، ص ص 106-107.

(2) المرجع نفسه: ص 107.

(3) محمد لواء الدين أحمد: المرجع السابق، ص 148.

(4) عزيز بطران: المرجع السابق، ص 633.

يدعو الشيخ عثمان إلى تأسيس نظام اقتصادي قائم على القيم مثل: العدل و الإخلاص و الاعتدال و التواضع و الصدق و ما إلى ذلك، ووفقاً له، فإن العدالة هي مفتاح التقدم بينما يؤدي الظلم إلى الانحطاط، حيث يمكن الحكومة عادلة أن تستمر حتى مع عدم الإيمان، لكنها لا تستطيع تحمل الظلم، لقد حمل الشيخ عثمان العدل الشاق و رفض التسول، و شجع أتباعه على الانخراط في كسب الرزق حتى خلال مهنة عادية، كما يحتل تقسيم العمل و التعاون مكانة عالية للغاية في فكره الاقتصادي و كانت الوسائل الاحتياطية يتم مصادرتها مباشرة إلى بيت مال المسلمين، و كان الشيخ يؤكد دائماً على العدل في السوق و من أجل ذلك شدد على إحياء مؤسسات الحسبة التي تشكل أعمالها: مراقبة ضرب الأسعار و جودة السلع و منع الغش و تصحيح الأوزان و المقاييس و منع الاحتياي و إزالة احتكار المنتجات.⁽¹⁾

واكب الاستقرار السياسي الذي شهدته سكوتو ازدهار اقتصادي، حيث ظهرت في المدن الكبرى أسواق عالمية عامرة، مثل: كانو و كاتيسينا، و ظهرت مراكز التجارة بين الشمال و الجنوب، و نشطت التجارة بين بلدان رلتا النيجر و بلاد الهوسا، و تنوعت السلع و البضائع و خاصة المواد الغذائية كالأرز و العسل و الحبوب و البصل و التوابل و السمك المجفف، و كذا الأواني و النسيج.⁽²⁾

و كانت كل من كاتيسينا و كانو في بلاد الهوسا، تمثل جزءاً من هذا المجال التجاري، حيث أصبحتا مركز السوق الأول في المنطقة، و كانت تتصل بالمراكز الأخرى عن طريق زندر ZANDAR، و قد ذكر الباحث "بوفيل Bouvill"، وجود قافلة هائلة تعرف باسم "الأزلاي Azlai"، تتحرك كل خريف لسد حاجيات منطقة الهوسا، و أشار إلى أنها تشكل ظاهرة تجارية

⁽¹⁾Abdul Azim Islahi : DP- cit, P7.

⁽²⁾بهيجة الشاذلي: المرجع السابق، ص 316.

قل نظيرها في أي مكان، و قد استمر وجودها حتى سنة 1908م، و كان عدد الإبل التي تضمه الواحدة منها لا يقل على عشرين ألفاً.⁽¹⁾

أدت الأسواق التي ازدهرت في ظل دولة سكوتو دورا هاما في تنمية التجارة و الثروة، و قد لاحظ الرحالة كلا برتون⁽²⁾، الذي زار مدينة كانو عام 1240هـ/1824م، أن سوق هذه المدينة يعد من أحسن أسواق إفريقيا، و له أنظمة خاصة تنظم حركة البيع و الشراء و تحديد الأسعار.⁽³⁾

و من بين مظاهر الفساد التي حاربها الشيخ دان فوديو في الأسواق، الغش في البيوع، حيث يذكر:

"... و من الأمور التي عمت البلوى بها في هذه البلاد ما يفعلونه من الغش في البيوع، مثل: خلط اللبن بالماء أو غير ذلك، و منهم من إذا اشترى السلعة حازها و ذهب قبل أن يدفع لربها ثمنها، فإذا ندم أو لم يجد بيعها بربح أو طلب منه ربحا الثمن، قال: خذ سلعتك أو أصبر حتى أبيعها"⁽⁴⁾، و هذه بعض المسائل التي عالجها الشيخ عثمان، من خلال إنشاء ديوان الحسبة لمراقبة السوق و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

(1) بهيجة الشاذلي: المرجع السابق، ص 317.

(2) هيو كلا برتون Hio Kleberton: رحلة أسكتلندي، بدأ رحلته عام 1822م، حيث وصل إلى طرابلس الغرب ثم أكمل إلى نهر النيجر عبر مناطق الهوسا برفقة تاجر عربي من فزان يدعى: محمد الوردى، فوصلا إلى كوكا غربي بحيرة تشاد ثم غربا إلى كانو و كان ذلك في 1824م، ثم سافر إلى سكوتو، و مات فيها عام 1827م، أنظر: الجبور دنهام و هيو كلا برتون و لندر أودني: رحلة لاستكشاف إفريقيا، ترجمة عبد الله عبد الرزاق إبراهيم و شوقي عطا الله الجمل، المشروع القومي للترجمة، مصر، 2002، ج1، ص ص 5-6.

(3) محمد باي بالعالم: المرجع السابق، ص 115.

(4) عثمان بن فودي: تحفة الأحياب، المصدر السابق، ص ص 99-100.

3. الزراعة و الرعي:

اعتمد اقتصاد دولة سكوتو في هذه الفترة - مرحلة التأسيس - على الزراعة و الرعي، إلى جانب قيام بعض الصناعات المحلية، و أسهمت الضرائب المختلفة بنصيب وافر في هذا الاقتصاد الذي انتعش أيضا بسبب التجارة المارة عبر أراضي الدولة.⁽¹⁾

أما فيما يخص إدارة الأراضي، فقد اتبع الشيخ عثمان الأحكام الموجودة في كتب الفقه، أولا: يقوم بتقسيم الأراضي إلى فئتين (صالحة للاستعمال و السكن) و موات (أرض ميتة، غير مؤهلة و غير مزروعة)، ثانيا: إذا ما كانت هذه الأراضي قد تم الاستيلاء عليها بالقوة أو بموجب معاهدة سلام، لذلك سيتم توزيعها: منحا أو وقفا.⁽²⁾

ازدهرت الزراعة في عهد الشيخ عثمان حيث شاهد الرحالة الاسكتلندي كلا برتون KLABERTON المزارع الضخمة حول إمارة زاريا ZARIA، و شاهد الماشية و الخيول منتشرة في تلك المزارع المحيطة بالمدن الكبرى، كما تم الاهتمام بإنشاء مدن الرباط عن الحدود الدولة، و قد انتشر العمران في مناطق كثيرة من سكوتو، و قد سمح لهم الشيخ بالاستيلاء على الأراضي التي وقعت في أيديهم أثناء حركة الجهاد.⁽³⁾

و لعل هنا يجدر التنويه إلى دور الأسرى في عملية حفر الآبار و إقامة الأسوار، فكان لهذه اليد العاملة بالإضافة إلى اليد العاملة المحلية دور كبير في النشاط الزراعي، و يبدو أن كفاءة الزراعة قد ازدادت نسبيا بعد الأخذ بنظام التقسيم الدقيق لوقت العمل، و بعد توفير

(1) محمد باي بالعالم: المرجع السابق، ص 114.

(2) Abdul Azim Islahi : DP- cit, P.10.

(3) محمد باي بالعالم: المرجع السابق، ص 115.

الحوافز لزيادة الإنتاج، و بعد أن أصبح الحديد متوفرا بكميات كبيرة لصنع الأدوات الزراعية، و استخدمها على نطاق واسع في عمليات معينة.⁽¹⁾

و في سكوتو، بدأ استخدام الشادوف في الري، و كان من التجديدات الفنية الأخرى، إقامة مزرعة صغيرة لقصب السكر و معمل لتكرير السكر- و يبدو أن ذلك تم على غرار نموذج برازيلي- كما ظهرت بض المحاصيل النقدية مثل: القطن و البصل و الفول السوداني..، و برغم عدم وجود أدلة كافية و مؤكدة على حدوث بعض التحسينات و تواريخ حدوثها، لأن الاستثمارات الزراعية العامة في أوائل عهد الخلافة كانت كبيرة إلى درجة لا يمكن لأحد أن يغفلها.⁽²⁾

و في حوض تشاد و سكوتو، و غير بعيد عن مناطق الزراعة الكثيفة بعيدا عن ذباب تسي تسي، يصبح رعي قطعان الماشية بواسطة شب الفولاني مهما للغاية، و تربي الماشية للإعاشة أكثر من تربيتها لأغراض التجارة، و تجارة الماشية مهمة لسوق سكوتو الكبيرة، و تشهر سكوتو بجلود ماعزها الحمراء، و كانوا كانت تشتهر أيضا بجلود ماعزها البنية، و الجلود الخام و المدبوغة لها أهمية كبيرة للتصدير.⁽³⁾

4. الصناعة:

إلى جانب الزراعة و الرعي، ظهرت الحرف و الصناعات التي قامت أساس على الإنتاج المحلي من الغلات الزراعية و المحاصيل النقدية أو علة بعض المعادن المتوفرة في الدولة، و تركز هذا النشاط الصناعي في حزام عريض من المدن الصناعية⁽⁴⁾، وامتدت من

(1) عزيز بطران: المرجع السابق، ص 654.

(2) المرجع نفسه: ص 654.

(3) جودة حسين جودة: قارة إفريقيا - دراسة في الجغرافيا الإقليمية- دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2000، ص

333.

(4) أنظر الملحق رقم (7) ص 278.

مدينة كانو جنوبا حتى الجزء الشمالي من إمارة زاريا، و كانت صناعة الملابس من أكثر الصناعات شيوعا. (1)

2-2 النظم الاجتماعية:

ترتب على جهاد الشيخ عثمان دان فوديو في النصف الأول من القرن التاسع عشر، أن صار الدين الإسلامي أساس النظام السياسي و الاجتماعي في الدولة، حيث تقلد رجال الدين و العلماء مناصب التدريس و القضاء، و كان طبيعيا أن يتمتع الحكام في الإمارات المختلفة بثقافة سلامية تمكنهم من ممارسة أعباء و وظائفهم، و تسير لهم تطبيق الشريعة الإسلامية و لم تكن طبقة رجال الدين قاصرة على فئة معينة من السكان، بل كنت مفتوحة لكل من تعمق في الدين و ثبتت أقدامه على طريق النصح و الإرشاد. (2)

و ظهر أثر الإسلام في جعل القرابة الدموية من ناحية الأب بدلا من سلطة الأمومية في تلك المجتمعات، كما ساعد على تفنيت النظام القبلي تدريجيا و انخراط الناس في نظام دولة بن فودي، و اتحدت كل القبائل تحت لواء دولة واحدة. (3)

كانت جميع الطوائف و الأفراد في دولة سكوتو آمنة مطمئنة، و نظمت تنقلات الرعاة نحو الجنوب للتقليل من التنازع مع الفلاحين، بينما أخضعت للرقابة المستمرة الثغور و الراعي غارات الطوارق الذين كانوا يهاجمون الفلاحين ليتخذوا منهم رقيقا، و أنشئت المحاكم الشرعية و عين قضاة من قبل الخلفاء و الأمراء و ألغيت أعراف متنافية مع الشريعة و منع الخمر منعا

(1) محمد باي بالعالم: المرجع السابق، ص 115.

(2) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم و شوقي الجمل: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 142.

(3) المرجع نفسه: ص 143.

مشددا، و حلت محل الضرائب التي كانت تجنيها الأنظمة الفاسدة جباية، الزكاة و الخراج و الجزية التي تنص عليها الشريعة الإسلامية.⁽¹⁾

لذا ركز الشيخ عثمان في ثورته على تقنية المجتمع من كل مظاهر الجهل و الخرافات⁽²⁾، و الجمع بين الأفراد مختلف القبائل تحت مظلة واحدة، تتقاسم التطلعات المتطابقة و القتال من أجل نفس القضية، و قد تمكنت هذه الحركة من تحقيق تكامل اجتماعي ثقافي ضخم، و بالكعب فإن قوة التكامل الرئيسية هي الغيمان بالإسلام الذي يسعى للمساواة بين الجميع بغض النظر عن قبائلهم و بلدانهم و ألوانهم⁽³⁾، مصداقا لقوله تعالى⁽⁴⁾: " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير".

لعل الفكر الاجتماعي اذي حملته المؤلفات كان الهدف منه القضاء على تلك الفروقات الاجتماعية و القبلية في الهوسا قبل حركة الجهاد، و هذا ما سيعمل على تجاوزه أثناء مرحلة التأسيس و بعدها، لذا سنتناول أهم المظاهر الاجتماعية للإمارة سكوتو في ظل حكم الشيخ دان فوديو.

أ. المأكل و الشرب:

لقد اهتم أهالي الهوسا اهتمام خاص بطعامهم فقد كانت من أشهر الوجبات المنتشرة هي (الشنكة) و التي يدخل فيها الأرز و كذلك (اليه) و هي الملوخية و (درموسو) و هي مجموعة من رؤوس الخراف المطبوخة، و أما المشروبات التي يستعملونها هي (الفر) و هي خليط من الدخن و (التكطي) و هو مشروب من الأعشاب البرية يقدم في جميع المناسبات و الاحتفالات،

(1) عزيز بطران: المرجع السابق، ص 623.

(2) kameche Mohammad : DP-cit,P177.

(3) Ibid,P183.

(4) سورة الحجرات: الآية 13.

و كذلك عرق البلح و هو المشروب الشائع، و كذلك الذرة و هي أكثر المنتجات في المأكل و المشروبات، حيث يشربون مشروبات مصنوعة من الذرة و يتناولها كغذاء أيضا و كذلك لحوم الحوت و لحوم الإبل.⁽¹⁾

ب. الملابس و الزينة:

أما فيما يتعلق بملابس أهالي الهوسا و تصميمها، فإنها تكون من نفس الأزياء التي تنتشر في غرب إفريقيا، و لها تأثيرها الخاص على الملابس التي يرتدونها الغانيون بشكل عام⁽²⁾، و قد شهدت الملابس تطورا ملموسا منذ بدايات اتصال السودان الغربي بالحضارة الإسلامية، و منهم من يرتدي زيا شبيها بزي المغاربة⁽³⁾، و كانوا يرتدون لباسا حسنا و يتمثلون بلثام أبيض.⁽⁴⁾

أما اللباس التقليدي لنساء الهوسا، فهو على تنوع كبير في التصميم و النسيج، و فكانت المرأة ترتدي الملابس المطرزة الفضفاضة ذات الأكمام⁽⁵⁾، كما يترزين بأقراط من الذهب المعلقة في أذانهن و يتحلين بالخرز الذي يلاقي منهن كل تقدير و اعتراز⁽⁶⁾، أما الرجال فيلبسون الزي

(1) مادهورك بانيكار: الوثنية و الإسلام تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقيا، ط2، ترجمة: أحمد فؤاد بليغ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 1998، ج1، ص 468.

(2) أنور الجندي: العالم الإسلامي لاستعمار السياسي و الاجتماعي و الثقافي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1979م، ص 148.

(3) العمري: المصدر السابق، ص 62.

(4) الوزان: المصدر السابق، ص 583.

(5) ثريا محمود الحسن و إزهار غازي مطر: إمارات الهوسا في التاريخ الحضاري الثقافي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 21، جامعة بابل، العراق، 2014، المجلد1، ص1.

(6) عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السابق، ص ص 172-173.

الفضفاض، و قد كان هذا الزي مخصصا للملك و كبار المسؤولين، حيث كان الحكام يلبسون ثوب مخطط باللونين الأخضر و الأبيض و سروال فضفاض، و يكون مطرز بحريير أخضر عند مقدمة الساقين و فوقها عباءة حمراء مطرزة في حين تلف حول طاقيته الحمراء عمامة غاية في الأناقة يقاطعها اللونان الأحمر و الأبيض.⁽¹⁾

قد كان الازدهار الاقتصادي الذي شهدته المنطقة كان سببا في تألق الأهالي في ملابسهم حيث ظهر لديهم الاهتمام بصناعة الملابس من الأقمشة المحلية المقطنة، و بمرور الزمن و بعد اعتناق الإسلام و انتشار الدعوة الفودية التي تدعو إلى حيادية البساطة و الزهد، فأصبح الناس يتأنقون في ملابسهم من أجل الصلاة و شرعوا يغتسلون يوميا، لأن الشريعة تتطلب منهم الطهارة، بل أنهم قد أصبحوا يباهون مواطنيهم الوثنيين بملابسهم النظيفة⁽²⁾، و يتضح أثر الإسلام في ملابس النساء الذين وصفهم القزويني بالأشراف، فمنهم قميصا طوله عشرون ذراعا، و بذلك يختلف عن الكفار.⁽³⁾

ت. الختان:

من بين العادات السيئة التي يقوم بها الناس في بلاد الهوسا، و هو تأخر ختان الصبيان، و هذه العادة، قد نهى عنا الشيخ عثمان لأنها مخالفة لقواعد الشرع، و قد وضح لك في قوله: " و من الأمور التي عمت البلوى بها في هذه البلاد، انتظار الصبيان الذين بلغوا حد الختان إلى أب يبلغ من دونهم حد الختان فيختنونهم جميعا في يوم واحد و يجمعونهم في الصراء، و كل ذلك بدعة محرمة، و أما إذا بلغ مثل الصبيين حد الختان فلا بأس بختانها معا

(1) مادهو-ك بانيكار: المصدر السابق، ص ص 484-485.

(2) ثريا محمود الحسن و إزهار غازي مطر: المرجع السابق، ص 192.

(3) زكريا بن محمد بن محمود القزويني: آثار البلاد و أخبار العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1969، ص 26.

و أن يدخلوا في بيت واحد، لكن افتراقهما كل واحد منها في بيت أمه و أبيه افضل و أحسن من البدعة المحرمة".⁽¹⁾

فكلام الشيخ يصب إذا في قضية تأخير الختان على البلوغ أو مجاوزته، و قد قال في إحياء الشنة في معرض بيانه للبدع التي أصبحت في باب الختان، فمنهما المحرمة إجماعاً، لأن عند بلوغ الصبي يحرم كشف عورته و بطؤ البرء.

ث. الزواج:

من الشعائر الدينية ما يتعلق بالزواج، حيث توجد احتفالات خاص بالخطبة و أخرى بالزفاف، و يتم الاحتفال في منزل والد الفتاة و تكون على نفقة الخطيب الذي يرسل كميات من الثمار و الحلوى لتوزيعها على الأصدقاء و الجيران و الأقارب، و يعتبر الإسلام شرطاً أساسياً في الزواج بين المسلمين، و في الحالات التي يرغب فيها رجل مسلم الزواج من امرأة وثنية تعتنق الإسلام، أو امرأة نصرانية تعتنق الإسلام، أما إذا قبل لأن الزواج يلقى تشجيعاً باعتباره وسيلة حسنة للدعوى إلى الإسلام.⁽²⁾

و قد كانت هناك العديد من الأدوات الحلي التي تنتزين بها العروس الهوسوية، فمنها الخاتم الذي يلبس في الأصبع و يصنع من الذهب أو الفضة أو الحديد و الأسورة و تكون مستطيلة من أعلاها بها ثقب مفتوحة من أسفل، كذلك الأقراط التي تلبس في الأذنين و تصنع من الذهب أو الفضة أو العقيق و الخلال الذي يلبس في اليد أو الرجل و أيضاً العقد الذي تلبسه المرأة في رقبتها.⁽³⁾

(1) عثمان بن فودي: تحفة الأحباب، المصدر السابق، ص ص 94-95.

(2) محمد لواء الدين أحمد: المرجع السابق، ص 144.

(3) العادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص ص 209-210.

و في الزفاف كان يستعمل الفولاني العديد من الآلات الموسيقية كالقيثارة و الناي الشبيه بالبوق و الطبل⁽¹⁾، و كانت السيدات يرحبن بزوارهن و يرد الزوار على تلك التحية بوضع أيدهن على صدورهن، و هن يتحلقن في دائرة، و يضلن واضعات النقاب التام حول رؤوسهن في هذه المناسبات، و تكون الراقصة الرئيسية مكشوفة حتى يراها الجميع و تمتدح المتبرع لها و ترحب بالجميع، و كن يزغردن و يهتفن⁽²⁾، و نجد أن للغناء جانب سياسي أيضا، حيث نجد أن الطبالون و المغنون هم نقلة الروايات الشفوية للعديد من مجتمعات السودان الغربي، و الأحداث التاريخية غالبا ما يحتفظ بها في شكل أغاني و أحاديث تروى أبا عن جد، و كان الغناء يستمع إليه و هو يسرد في الاحتفالات و هذا ما يعرف بتواريخ الطبول.⁽³⁾

ج. البنية الاجتماعية:

كان المجتمع في دولة سكوتو يقسم عموما إلى فئتين: فئة الرسميين او الطبقة الحاكمة و من يلونون بهم، و تتألف أصحاب الألقاب و العلماء و الأتباع و العبيد، أما الفئة الثانية: فهي فئة غير الرسميين و هم المشتغلون بالزراعة و التجارة و غيرها⁽⁴⁾، لذا أستترق إلى أهم الطبقات الفاعلة في مجتمع سكوتو:

1) الطبقة الحاكمة: و ما يميز فئة الرسميين أو الطبقة الحاكمة هو الاستقرار النسبي في مكان واحد، و في الحقيقة أصل هذه الطبقة الأرستقراطية هم المجاهدين الذين ساهموا في تأسيس الدولة، و أصبحوا يتقلدون المناصب الإدارية، و أستوطن عدد منهم أراضي الفيء المستولى عليها.⁽⁵⁾

(1) مادهورك باننيكار: المرجع السابق، ص 487.

(2) الماجور دونهام و هيوكلابرتون: المصدر السابق، ص 34.

(3) ثريا محمود عبد الحسن و ازدهار غازي مطر: المرجع السابق، ص 192.

(4) عزيز بطران: المرجع نفسه، ص 649.

(5) المرجع نفسه: ص 623.

و من يميز أهل السلطة هو اهتمام بسلسلة النسب، و الحرص على مصاهر لا ذوي اتجاه السلطان و التنفيذ الشديد بقواعد التوارث عن الآباء، أما زوجاتهم فكان يلبسن البرودة و يعيشن في بيوت كبيرة متعددة الزوجات و مليئة بالمحظيات و الجواري.⁽¹⁾

(2) العلماء: و لم تكن طبقة رجال الدين قاصرة على فئة معينة من السكان بل كانت مفتوحة لكل من تعمق في الدين، و ثبتت أقدامه على طريق النصح و الإرشاد و الحجة القوية، و قد صار الدين الإسلامي في هذه الدولة أساس تشكيل طبقات المجتمع التي حملت مشعل الحضارة إلى القبائل الوثنية⁽²⁾، و كان العلماء يحظون بمكانة مرموقة و باحترام كل القبائل الهوسا، لما لهم من فضل تعليم أمور لادين و إرشاد الناس و نصحهم.

(3) العبيد: كان العبيد بعد الجهاد لا يقلون عددا عما كانوا عليه قبل تأسيس إمارة سكوتو، فقد حررت رقاب الذين اركوا في الجهاد، و لكن أسترقت من جديد من لم يوال منهم الشيوخ، و زاد من عددهم من أسر خلال عمليات الغزو⁽³⁾، و لم يكن العبيد يدفعون ضرائب، و مع ذلك فإنهم كأبناء أو كزوجات كانوا يعملون في البيت (أي لمصلحة رب الأسرة) إلى جانب غيرهم من العبيد المعتادين، و كانوا يساهمون بثلاثة أرباع وقتهم تقريبا لمصلحة المالك، أما في قرى العبيد التي تملكها الدولة أو تملكها الأسر،

(1) عزيز بطران: المرجع السابق، ص 650.

(2) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: حركة الشيخ عثمان بن فودي لإصلاحية في غرب إفريقيا و آثاره الدينية، المرجع السابق، ص

248.

(3) عزيز بطران: المرجع نفسه، ص 623.

فقد كانت للعبيد أسر خاصة بهم و كانوا يعملون تحت امرأة رؤساء لهم، و كانت هذه القرى ظاهريا لا تختلف عن قرى الأحرار.⁽¹⁾

أدرك رجال الإصلاح أن للعبيد فضل كبير، فجزوهم أحسن الجزاء و حررت الرقاب و تلقى العبيد نصيبهم من الفيء، و قلد بعضهم مناصب إدارية سياسية⁽²⁾، حتى حيث قامت الدولة السكنية نجد فيها رجالا من هذه الطبقة، قد تقلدوا أسمى الوظائف الإدارية.

(4) موقف الخلافة من غير المسلمين: لقد التزمت دولة سكوتو بما حددته الشريعة الإسلامية تجاه غير المسلمين (النصارى، اليهود الوثنيين) المقيمين فيها، و لا إكراه في الدين، لقوله تعالى⁽³⁾: «لكم دينكم و لي دين"، و قد طبقت الخلافة هذه الشريعة ووضعتها موضع التنفيذ الدقيق في كافة معاملتها مع أهل الكتاب، و حتى أن بعض الجماعات الوثنية التي لم تدخل في دين الإسلام، كانت لها الحرية في ممارسة طقوسها الدينية، مثال على ذلك قبلية ماغازاوا Maguzawa التي يستعطف أفرادها الأرواح خلال طقوسهم الدينية، لكن بعد استئذان الله في ذلك كما يدعون⁽⁴⁾. و كانت هذه الجامعات تختلف عن بعضها البعض، ليس فقط على مستوى الانتماء الجغرافي أو العرقي، و لكن كذلك على مستوى العبادة.

(1) عزيز بطران: المرجع السابق، ص 652.

(2) المرجع نفسه: ص ص 619-620.

(3) سورة الكافرون: الآية 6.

(4) محمد لواء الدين أحمد: المرجع السابق، ص ص 144-145.

ح. العادات و التقاليد:

لم تختلف العادات و التقاليد كثيرا بين سكان الريف و المدن، على اعتبار أن الثقافة و التراث الهوساوي واحد، و هنا ينبغي الإشارة إلى أ، حياتهم و طرق إعداد الطعام و الملابس لا تختلف كثيرا عن الشعوب المجاورة في مالي و صنغاي و برنو، و من حيث الاهتمام بالاحتفالات الدينية.

و الأعياد و المناسبات ⁽¹⁾، و مع ذلك فإن ثقافة الهوسا التي كانت تشمل العادات و التقاليد تحمل طقوسا و ثنية حتى بوجود الإسلام ⁽²⁾، فقد حرم الإسلام شرب الخمر و أكل لحوم البشر و الأخذ بالثأر و غير ذلك من العادات السيئة التي كانت سائدة في المجتمع كما أعطى الدين الإسلامي للمواطن الزنجي الحق في أن يصبح مواطنا حرا كريما، بعد أن حرره من الرق و قضى على تجارة الرقيق ⁽³⁾.

على الرغم من أن المشاعر العرقية تكون قد ظهرت في أوقات و ظروف معينة، إلا أنها لم تشكل في أي وقت من الأوقات في المساوات و الأخوة بين جميع المؤمنين فضلا عن الإنجازات الاجتماعية و الثقافية الضخمة ⁽⁴⁾.

إن التكامل الاجتماعي و الثقافي الهائل الذي حققته حركة الشيخ دان فوديو، هو ما يجعل مهمة الجولة المعاصرة من نيجيريا أسهل بكثير مما كانت ستكون عليه.

(1) خالد علي عبد القادر: انتشار الإسلام في إمارات الهوسا بالنيجر و نيجيريا وأثره على الحياة الاقتصادية و الاجتماعية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2014 ص 199.

(2) يرى عثمان بن فودي أن العادات السيئة عند الهوسا كثيرة منها: ذبح الأغنام و المشي على شعورها و أصوافها و إتباع طقوس وثنية و شيء من السحر، و كشف عورات الإماء في الأفراح، و صدقات الميت و كذلك عادات التشاؤم من الطيور و شرب الخمر و استخدام الطلاس. أنظر آدم الألوري: موجز تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان 1965 ص 122

(3) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم و شوقي الجمل: دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر، المرجع السابق ص 142

(4) Kamache Mohamed :OP.Cit. p183

3- النظم الثقافية و التعليمية3-1 النظم الثقافية:

إن دخول الإسلام كثقافة جديدة للمجتمع الهوساوي، كان يسير جنباً إلى جنب مع العادات و التقاليد و الأعراف المحلية، مما جعل الإسلام المختلط mixed islam ينشأ بين السكان فقد اندمج الإسلام مع الديانات المحلية⁽¹⁾ و الطقوس الروحية المحلية، و لم يعتبر الأفارقة الدين الإسلامي ديناً غريباً فقد اعتنقت المراكز الرئيسية للإسلام أما القرى و الأرياق فظلت على دينها التقليدي تستخدم السحر و الطقوس و الشعوذة لمدة طويلة⁽²⁾ لكن يرجع الفضل في انتشار الإسلام فيما بعد إلى التجار و الهجرات الجماعية و الفردية التي قام بها العلماء⁽³⁾.

لقد شنت دعوة الشيخ دان فوديو حملة شعواء على كل مظاهر الوثنية التي كانت تخيم على المنطقة بأسرها من بدع و خرافات و حالات انحراف، و كذا ممارسة التتجيم و ضرب الخط و اعتقاد الضر و النفع في الأشجار و الأحجار⁽⁴⁾، و قد ذكر الشيخ عدداً من هذه

(1) بسبب هذه الثقافة المحلية أتهم الهوسا بأنهم غير مسلمين و أن دينهم فاسد فهو الاسم فقط، و هذا الحكم أطلقه أصحاب حركة الإصلاح الديني من الفولاني فيما بعد، كما أنهم طرحوا و سجلوا ما كان يمارسه الهوسا من عادات و تقاليد محلية فقد ذكر محمد بلو الكثير منها حيث يرى أن سكان الهوسا و عامتهم غير مهتمين بقراءة القرآن و تجويده و حفظه و لم تنزل العامة هكذا حتى قام الجهاد. أنظر محمد بلو : المصدر السابق : ص56-57.

(2) مهدي أرامو : الهوسا و جيرانهم بالسودان الأوسط، تاريخ إفريقيا العام اليونسكو، لبنان، 1994، المجلد 4، ص 296.

(3) لقد ارتبط الإسلام و الثقافة العربية بالهجرات الجماعية لمجموعات تجارية أو رعوية، قام بها الأفارقة، كان الغرض منها البحث عن الموارد و مصادر العيش كما ارتبط بالهجرات الفردية التي قام بها العلماء مع بداية القرن 15م، حيث دخل عد كبير مع العلماء إلى إمارات الهوسا. أنظر : احمد محمد كاني: المرجع السابق، ص 16.

(4) الخضر عبد الباقي محمد : التجديد و الإصلاح الديني في غرب إفريقيا، مجلة الوعي الإسلامي، (دع)، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، الكويت، 2010، ص02.

الطقوس، " و من الأمور التي عمت البلوى بها في هذه البلاد ما يفعلونه من البدعة المحرمة عند الختان و وليمة النكاح و العقيقة و الصدقة للميت و غير ذلك من مواضع اجتماعهم مما لا يحصى، لأن البدعة تزيد بقدر اجتهاد أهل البدع، و هو ما يفعلونه من اللهو و اللعب و اجتماع الرجال و النساء و الرقص و الغناء و غير ذلك من ضلالتهم و عصيانهم و تلاعب الشيطان بهم و كل ذلك حرام بالكتاب و السنة و الإجماع، و لا يجوز لأحد من المسلمين أن يحضر في ذلك الموضع و إن كان أبوه يفعل ذلك أو صهره أو شيخه لأن كل من يفعل ذلك فاسق إجماعاً و كذلك من يحضر فيه فاسق و لا يجوز لأحد من المسلمين أن يأذن لزوجته أو ولده أو عبده أو كل من كان في حكمه أن يحضر في ذلك الموضع الملعون و من أذن لهم فقد عصى الله و رسوله و من كان في بلد أهلها يعلمون بهذا العصيان و يجب عليه أن ينهاهم عن ذلك إن قدر عليه، و إن لم يقدر عليه و يجب أن يرتحل إلى موضع آخر ليس فيه هذا العصيان" (1).

و ممّا لا شك فيه أن الشيخ عثمان حارب و بشدة مظاهر الوثنية التي كانت ضارية بأطنابها في المجتمع الهوساوي فقد كان كلامه واضحاً و شديد اللهجة فيما يخص من يقوم أو يشارك في هذه الطقوس و عمل الشيخ عثمان علة استبدال مظاهر الوثنية و تهذيبها مظاهر إسلامية تهذب نفوسهم و تؤلف بين قلوبهم و من العادات الإسلامية التي سادت في مجتمع سكوتو تسمية المولود في اليوم السابع وسط حفل كبير يذبح فيه والد الطفل خروفاً أو ثورا و جرت العادة على تسمية الطفل باسم أحد الأنبياء أو الصحابة (2).

(1) عثمان بن فودي: تحفة الأحباب بأدلة كتاب نور الألباب: المصدر السابق ص 89.

(2) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم و شوقي الجمل: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث و المعاصر، المرجع السابق

1. الشعائر الدينية:

و بعد أن أقام الشيخ عثمان المجتمع الإسلامي بدأ الناس يحتفلون بالمناسبات الإسلامية الكبرى مثل: عيد الفطر و عيد الأضحى و المولد النبوي الشريف و حاول الشيخ القضاء على الكثير من العادات السيئة الخاصة بتعدد الزوجات، و عادات التشريط و النذب على الأموات و احل محلها عادات قراءة القرآن في حجرة المتوفى و الصلاة عليه و دفنه في مدافن عامة، حيث لا توجد شواهد على القبور كما حر الشيخ إشراك النساء في تشييع الجنازة و صارت ملابس الحداد الثوب الأبيض للرجال أما النساء فليس لهن زي خاص⁽¹⁾.

كثرت المظاهر الاجتماعية الثقافية في بلاد الهوسا و تنوعت ما بين حياة اجتماعية عامة و أخرى خاصة اشتركت جميعها في تكوين ملامح الشخصية الهوساوية، تشمل في ذلك الفرد و أسرته و ما حوله من أفراط القبيلة و كانت هناك مناسبات اجتماعية و ثقافية يتكفل بها أهالي الهوسا و يهتمون بها سواء كانت في شكل أعياد دينية او احتفالات اجتماعية و قد وصف أهل السودان أنهم أشخاص يتصفون بالليوننة و الظرافة و حسن المعاملة و البشاشة، يرقصون و يغنون على نغمات الطبول و المزامير⁽²⁾، و من هذه الأعياد و المناسبات :

***شهر رمضان** : نظرا لأن شهر رمضان شهر عبادة، فقد كان الأهالي يأتون إلى أبواب المساجد قبل الغروب بالتمر و قطع الخبز و الحساء و يوزعون ذلك على الفقراء و المحتاجين⁽³⁾، و إذا كانت ليلة القدر يأمر بطبخ الطعام ثم تجعل المطبوخ في المائدة، أي

(1) محمد سلام زناتي: الإسلام و التقاليد القبلية في إفريقيا، دار النهضة العربية للطباعة و النشر و التوزيع، الكويت، 1969، ص94.

(2) محمد الغزبي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، دار الرشيد للنشر و التوزيع، العراق، 1982، ص621.

(3) ثريا محمود الحسن و أزهار غارزي مطر: المرجع السابق، ص 191.

القدح الكبير بحملها فوق رأسه و ينادي لقراءة القرآن و يأكلون منه تعظيماً لهم⁽¹⁾، و قبل قدوم رمضان الساركن (الأمير) يحرص على قراءة القرآن من منتصف شهر شعبان، حيث تذكر حوليات كانو بأن الساركن أبو بكر كادو، كان لديه سبعة أولاد و كان يحث كل فرد من أبناءه السبعة على قراءة القرآن صباحاً قبل شروق الشمس و بذلك يقومون بختم القرآن الكريم كله⁽²⁾.

ب* الإحتفال بعيد الفطر و عيد الأضحى: و من المظاهر الإسلامية، الإحتفال بعيد الفطر و الأضحى حيث أنه بمجرد انتشار الخبر تتعالى الصيحات و خاصة في المدن الكبرى بالتهليل و التكبير ممزوجة بزغاريد النسوة تعبيراً عن الفرحة بقدوم عيد الفطر المبارك⁽³⁾، و يتسارع الناس إلى الطرقات مصطحبين أطفالهم الذين يحملون الفوانيس لتتير الطرقات طيلة ليالي العيد⁽⁴⁾، و في صباح يوم العيد يجتمع الأمراء و الحكام و قادة الجيش و القضاة و أفراد عائلة الخليفة و أتباعهم في المدن الكبرى و يلبسون أبهى الحلل و ينتظرون موكب الخليفة و بعد الأذان و التكبير لصلاة العيد تبدأ الخطبة باللغة العربية و بعد الصلاة يتوجه الناس إلى الساحة حيث يلقي عليهم الخليفة خطاباً ينصح فيه الناس في الأمور التي تتعلق بدينهم و دنياهم⁽⁵⁾، و بعدها تقوم الأسر و الأفراد بالتزاور و التصدق على الفقراء و المساكين أما في عيد الأضحى فكانت المدافع تطلق من أبراج المدن الكبرى و ذلك كما كان يحدث في جميع مدن المغرب⁽⁶⁾.

ج* المولد النبوي الشريف: كانت الإحتفالات بالمولد النبوي الشريف تأخذ طابعاً فريداً و خاصة في المدن الكبرى، حيث يخرج الناس في ليلة المولد النبوي إلى الشوارع يمدحون الرسول الكريم

(1) محمد بن عبد الكريم المغيلي: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق عبد القادر زيادية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1974، ص 21-22.

(2) محمد الغري: المرجع السابق، ص 621.

(3) ثريا محمود عبد الحسن و أزهار غازي مطر : المرجع السابق ص 191.

(4) المرجع نفسه: ص 191.

(5) محمد لواء الدين أحمد: المرجع السابق، ص 143.

(6) مادهو باننيكار : المصدر السابق، ص 486.

صلى الله عليه و سلم و بشكل جماعي⁽¹⁾، و كانت النساء في هذه المناسبة يرقصن حسب تقاليد الدولة و كانت حركات نساء كوكا أكثر متعة رغم أنها أقل رشاقة، و يمارس الشوا رقصات داخل حلقات تتخللها حيل بارعة، الناس سعداء بهذه الخدع التي تتم بأشكال مختلفة سواء بالجلوس أو بالدوران على

جانب واحد أو الانحناء إلى الأسفل⁽²⁾ و كانت هناك مناسبات أخرى مثل: الاحتفال بأول السنة الهجرية و عاشوراء و ختم القرآن و كذا الاحتفال بمرور أربعين يوماً على وفاة العلماء⁽³⁾.

2. المذهب :

المذهب السائد في دولة سكوتو هو مذهب الإمام مالك-رضي الله عنه⁽⁴⁾، و قد احتفل الفقهاء في الدولة درجة رفيعة، فلما نجد مثلها في الدول الإسلامية الأخرى⁽⁵⁾، فقد طبق فقهاء الفولاني المذهب المالكي بكثير من الدقة لأنهم كانوا متجبرين في أحكام الإسلام كما طبعوا مبدأ الشورى في الحكم و استقلال القضاء⁽⁶⁾.

3. القضاء :

ظهر القضاء الإسلامي في بلاد الهوسا مع ظهور الحكم الإسلامي في القرن الثالث عشر الميلادي، لكنه تطور أكثر في عهد دولة سكوتو، حيث كان القضاء مستمداً من الكتاب

(1) ثريا محمود عبد الحسن و أزهار غازي مطر: المرجع السابق، ص 191.

(2) الميجور دونهام وهيو كلابرتون و ولتر أودني: المصدر السابق، ص 249.

(3) محمد الغربي: المرجع السابق، ص 621.

(4) يتميز المذهب المالكي بوفرة مصادره و كثرة أصوله، المتمثلة في الكتاب و السنة و الإجماع و القياس و الاستحسان و كذا تميزه بالوسطية و الاعتدال و بعده الاجتماع و الإصلاح. أنظر: محمد التاويل : خصائص المذهب المالكي، مطبعة أنفو برنت فاس، المغرب الأقصى، 2014، ص ص 13-35.

(5) محمد لواء الدين أحمد: المرجع السابق، ص 143.

(6) يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 150.

و السنة و الإجماع و القياس على المذهب المالكي و كان القضاء يختارون من بين العلماء و الفقهاء المشهورين بالورع و التقوى، ثم أصبح القضاء موروثاً لأبنائهم و يشترك الأمراء مع القضاء في كثير من القضايا⁽¹⁾.

كان القضاء في إمارة دان فوديو في أول الأمر مستقلاً عن السلطة التنفيذية و كان القضاة في الشريعة الإسلامية على مذهب الإمام مالك، و يشتهر القضاة المسلمون في الخلافة بالدقة و التبحر في العلم و فهم القوانين الإسلامية⁽²⁾، و لديهم مكتبات حافلة بالمؤلفات الفقهية⁽³⁾.

لقد اختار الشيخ عثمان، أكفأ الناس للقضاء و أعلمهم بالشريعة و جعل لهم منزلة كبيرة فرفع سلطة الولاة عن القضاء و جعل الخليفة مرجعهم الأعلى، و نهى عن تنفيذ أي حكم بقتل أو قطع إلا بعد مراجعته هو⁽⁴⁾، و إلى جانب القضاء كان هناك النظر في الظلم، و كان حلفاء إمارة سكوتو يجلسون للنظر في المظلم بأنفسهم و هذا ما كان دائماً يحدث عليه الشيخ المؤسس حيث كانت هيئة النظر في المظلم بسكوتو تضم إلى جانب أمير المؤمنين، قاضي القضاة و المفتي و الكاتب و القاضي و المحتسب يقومون برئاسة هذه الهيئة⁽⁵⁾.

و قد حدد عثمان دور القضاء، و حدد اختصاص القاضي فيما يلي⁽⁶⁾ :

1- الفصل بين المتخاصمين إما بصريح عن تراض أو بإجبار عن حكم

(1) موسى عبد السلام مصطفى أبكين: اللغة العربية في نيجيريا بين الأمس و اليوم، مجلة مجتمع اللغة العربية الأردني، العدد

81، الأردن 2011، ص 237.

(2) إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 45.

(3) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص 123.

(4) محمد لواء الدين أحمد: المرجع السابق ص 142.

(5) محمد أحمد الثاني : المرجع السابق، ص 154.

(6) محمد لواء الدين أحمد: المرجع السابق، ص 142.

2- نصرمة المظلومين و إعطاء كل ذي حق حقه

3- إقامة الحدود بالعدل و عدم محاباة الشرفاء

4- النظر في أموال اليتامى و تعيين الأوصياء عليهم

و من خلال هذه الاختصاصات يتبين لنا أن الشيخ عثمان بن فودو كان واضحا في أهدافا يسعى إلى ضرورة تطبيق الأحكام حسب الشريعة الإسلامية، و كان دائما يحذر المسؤولين من إهمال ذلك، حتى لا تضيع الحقوق و تتعطل الحدود و ينتشر الفساد في البلاد.

3-2 النظم التعليمية :

اهتمت إمارة سوكوتو بالتعليم فقد أنشأ الشيخ عثمان سنة (1219هـ/1804م) جامع سوكوتو لتحفيظ القرآن و نشر العلوم الشرعية (هو بمثابة جامعة إسلامية في هذا العصر) وفي الوقت ذاته جعله رباطا للجهاد و قاعدة لبناء دولة إسلامية ينطلق منها بجيوشه التي تنظمها هو و شقيقه الشيخ عبد الله بن فودي و ابنه الشيخ محمد بلو حيث كرس الشيخ عثمان نفسه في هذا الجامع للتدريس و توعية المسلمين، بعد أن تنازل عن إدارة الخلافة و ذلك عام (1223هـ/1808م)⁽¹⁾.

أصبح التعليم واجبا شرعيا يقوم به الجميع و كان الشيخ عثمان قد أمر أن يفتح في كل مسجد و قرية مدرسة لتعليم الناس أمور دينهم، ويقول في كتابه "إحياء السنة و إخماد البدعة"، يجب أن يكون في كل مسجد و ملة في البلد فقيه يعلم الناس دينهم، و كذا في كل قرية، و يجب على كل فقيه فرع من فرض عينه و تفرغ لفرض الكفاية، أن يخرج إلى ما يجاور بلده من الناس ليعلمهم دينهم و فرائض شرعهم⁽²⁾.

(1) محمد لواء الدين أحمد: المرجع السابق، ص 149.

(2) علي يعقوب : الخلافة العثمانية في سكت (Sokoto) و دورها في غرب إفريقيا، مجلة قراءات إفريقية، العدد 11، الرياض السعودية، 2012، ص 8.

اعتبر الشيخ عثمان مهنة التعليم نقلا باعتبار إضافتها إلى تعليم الأهل و العيال باعتبار أسسا من المهنة فإن الله عزّ و جلّ أوجب على العلماء التبليغ عنه و عن رسوله و أخذ عليهم العهد بذلك قال تعالى (1) : " وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ " و هذا ما صرح الشيخ عثمان صراحة في كتابه : " تحفة الأحباب بأدلة كتاب نور الألباب " : " يا عجباً كيف يتركون أزواجهم و بناتهم و عبيدهم في ظلمات الجهل و الضلال و هم يعلمون طلابهم صباحا و مساء و ما ذلك إلا لأنهم مخطئون أنفسهم لأن في تعليم طلابهم رياء و فخرا و هذا خطأ عظيم لأن تعليم الزوجات و البنات و العبيد واجب و تعليم الطلاب نقل و الواجب مقدم على النقل إجماعاً، و لا يجب تعليم الطلاب على العلم إلى إذا لم يكن هناك غيره فحينئذ يجب تعليمه لهم لكن بعد تعليم أهله، لأن السابق أولى أن يقدم على المسبوق (2).

و الملاحظ أن حكومة سكوتو لم تفتح مدارس نظامية على النسق المتعارف عليه حالياً، بل كان العلماء يتطوعون لذلك دون مقابل و لا يبتغون بذلك إلا وجه الله تعالى و كان العالم و الفقيه الذي لم يفتح باب داره لطلبة العلم كان يعلم على الأقل أصحابه و أهل عشيرته، و بذلك نشطت حركة التعليم و ازدهرت الثقافة الإسلامية و اللغة العربية التي أصبحت لغة الثقافة و التعليم، حيث أن الوزراء في هذه الدولة كانوا من العلماء (3)، و في هذا الصدد سنستعرض أهم مظاهر النظم التعليمية في إمارة سكوتو :

1- اللغة العربية : ساهم الشيخ بن فودي في نشر اللغة العربية و جعلها اللغة الرسمية في إمارة سكوتو فكتب مؤلفاته الرسمية بها و السبب في ذلك أنه يعتبرها لغة الدين و لكي نفهم الدين

(1) سورة آل عمران: الآية 187.

(2) عثمان بن فودي: تحفة الأحباب بأدلة كتاب نور الألباب، المصدر السابق ص 53.

(3) عبد العظيم محمد الأجلط: المرجع السابق، ص16.

لابد من تعلم اللغة العربية و استعمالها⁽¹⁾، و لهذا انتشرت اللغة تبعا لانتشار الإسلام كما كان لتطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية في إمارة سكوتو أحد أهم أسباب انتشار اللغة العربية.

2- الشعر و النثر: بعد استقرار الأوضاع السياسية و الأمنية في سكوتو و انتشار اللغة العربية و ازدهارها نتيجة لذلك ظهرت فنون الشعر و النثر في الحواضر الإسلامية في الهوسا. ***الشعر:** ازدهرت الحياة الثقافية في سكوتو حيث أبدى الشعراء في هذه المنطقة تمكنهم من الثقافة الإسلامية و ذلك بالتعبير عن مشاعرهم نحو الحالة الاجتماعية مبدئين فلسفتهم الشعرية تجاه الحياة السائدة في المجتمع الذي يعيشون فيه⁽²⁾، داعين إلى الإصلاح الاجتماعي محاربين الفساد المنتشر في ذلك المجتمع و يعد الوزير حينئذ أشهر شعراء سكوتو الذي صور لنا الانهيار الخلفي في خلافة سكوتو في آخر أيامها قبل الاستعمار الإنجليزي⁽³⁾.

و قد هيأت الحروب الطاحنة التي خاضها الشيخ عثمان ضد الأعداء ميدانا فسيحا للشعراء و النظام فعدو يعرضون الشعر في هذا المجال باللغة العربية و الهوسوية، فكثر بذلك ما يسمى بشعر الجهاد، و من بينهم عبد الله بن فودي الذي كان من بين الشعراء الذي سجلوا انتصاراتهم العسكرية المتتالية في أشعارهم و يصفون معاركهم و قوتهم في المعارك و تخاذل خصومهم و ضعفهم أمامهم و لذلك كثر في هذه الفترة شعر الجهاد الذي يستهدف إثارة حماس المجاهدين للدفاع عن دينهم و عقيدتهم و النيل من أعدائهم و خصومهم⁽⁴⁾.

(1) ماهر شعبان: المرجع السابق، ص 25.

(2) ناصر أحمد صكتو: نقد الحياة الاجتماعية لدى شعراء صكتو: دراسة تحليلية لنوتية الشاعر الوزير جنيد في محاربة الفساد الاجتماعي، المؤتمر الدولي للدراسات العربية و الحضارة الإسلامية، ماليزيا، 2014، ص 211.

(3) يحي محمد الأمين: تحفة وزراء صكتو في الثقافة العربية الإسلامية، ط2، مركز الدراسات الإسلامية، صكتو، نيجيريا، 2009، ص 51.

(4) عبد العظيم محمد الأجلط: المرجع السابق، ص 23.

و كان شقيق الشيخ عثمان ووزيره الشيخ عبد الله بن فودي من طليعة من سجلوا الانتصارات الإسلامية من الشعراء حيث قال (1) :

فيا أمة الإسلام جدو وجاهدو ولا تهنو فالصبر للنصر مرجع
فقتلاكم في جنة الخلد دائما و راجع بالعز و المال يرجع
فليس لما تبني يد الله هادم و ليس لأمر الله إن جاء مدفع

يمكن القول أن فنون الشعر العربي في دولة سكوتو تدخل تحت مفهوم جنسين من أجناس الشعر و هما :

أ- الشعر الغنائي: بأغراضه التقليدية من مدح و رثاء و وصف و فخر و هجاء و غزل بالإضافة إلى الشعر الإسلامي متمثلا في جهاد الوثنيين (2).

ب- الشعر التعليمي: تناول الشعراء الشعر التعليمي في ذلك الوقت فنظموه في مختلف الفنون العلمية من نحو و صرف و فقه و أصول و غيرها، حيث كانت تساعدهم كثيرا على تدريس المادة العلمية و السبب في ذلك أن الشعراء في ذلك الوقت هم أنفسهم العلماء، و أكثرهم رجال الدولة، فكان العالم ينظم المسائل الفقهية أو اللغوية ثم يدرسها لطلبته فيجد الطالب سهولة في حفظ ذلك لأنه كلام موزون مقفى، ثم أن النعمة و الإيقاع من معينات الحفظ و التذكر و أشهر هؤلاء العلماء الشعراء: عبد الله بن فودي، محمد بلو، محمد سنبو (3) و غيرهم، فمثلا مدح محمد بلو للشيخ محمد الجيالي و مطلع قصيدته (4) :

(1) عبد الصمد عبد الله: أثر اللغة العربية و الشعر العربي في البناء الحضاري بغرب إفريقيا، الندوة العالمية جامعة أم القرى، السعودية، 2013، ص 14.
(2) المرجع نفسه: ص 11.
(3) عبد العظيم محمد الأجلط: المرجع السابق، ص 23.
(4) عبد الصمد عبد الله، المرجع السابق، ص 11-12.

فجعتك أم الفضل بالهجران فبقيت بين الناس كالسكران
و كأن في قلبي و جوفي جمرة مذ بعدتني من جناها الداني
قامت ترائي في القصور بفاحم رجل و مقلة شادن ظمأن

ج-النثر : أما في مجال النثر فيمثل ذلك مؤلفات الشيخ عثمان و الشيخ عبد الله و الشيخ محمد بلو و غيرهم فقد كتبوا في فنون شتى من تفسير و حديث و فقه و تاريخ و لغة و أدب و يتميز نثرهم بسهولة الألفاظ و استعمال التعابير المتداولة في الكتب الفقهية، و كذا كثرة النقل و الاقتباس من كتب العلماء السابقين و يدل على كثرة اطلاعهم و وفرة الكتب عندهم⁽¹⁾.

و من تأليف الشيخ عبد الله بن فودي في المجال الشعري و الأدبي نجد: "ضياء التأويل في معاني التنزيل"، و هو كتاب تفسير القرآن الكريم، و له أيضا: "مفتاح التفسير" و هي منظومة تزيد على سبعمائة بيت، نظم فيها علوم القرآن في كتابي الإتقان في علوم القرآن و النقاية للسيوطي و له مجال النحو "البحر المحيط" و هو منظومة في أربعة ألفوا أربعمئة بيت، نظم فيها جمع الجوامع للسيوطي و في الصرف له "الحصن الرصين" و هو منظومة من ألف بيت، و له ديوان شعري مشهور و هو "تزيين الورقات"⁽²⁾.

ترك محمد بلو آثار فكرية كبيرة حيث ذكر فيها أن مؤلفاته كثيرة و متنوعة شملت العديد من الكتب و الرسائل و تناولت شتى فروع العلم (العقيدة، الفقه و السياسة و الإدارة و التاريخ و الطب)⁽³⁾، و لعل أشهر مؤلفاته "إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور" و هو من

(1) علي يعقوب : جمهور العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الإسلامية و العربية (غرب إفريقيا نموذجاً)، مجلة قراءات إفريقية، العدد 03، الرياض، السعودية، 2008، ص 19.

(2) المرجع نفسه: ص 19.

(3) موسى يوسف بن عيسى: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا الواقع و المأمول، مؤتمر الشباب الإفريقي المسلم، جامعة أم درمان، السودان، 2008، ص 4.

المراجع الأساسية لتاريخ الجهاد العثماني⁽¹⁾، خلف لنا أفراد الأسرة الفودوية (الشيخ عثمان و عبد الله و محمد بلو و المنحدرون منهم) وخدمهم ما جملته 723 عمل باللغة العربية فقط، تتراوح من منظومة طويلة إلى مجلد ضخم (غير ما ألفوه باللغات المحلية-هوسا و فلفدي) تفاصيلها كما يلي⁽²⁾ :

-الشيخ عثمان بن فودي: 154 عمل أضخمها "بيان وجوب الهجرة على العباد"
-الشيخ عبد الله بن فودي: 112 عمل أضخمها "البحر المحيط في النحو" في 4000 بيت على نمط ألفية ابن مالك و كتاب "ضياء التأويل في معاني التنزيل" و هو كتاب تفسير القرآن.
-الشيخ محمد بلو بن فودي: 162 عمل أضخمها "إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور"
-المنحدرون : 295 عمل.

يرصد فهرست "المخططات العربية" الموجودة في مشروع تاريخ شمال نيجيريا في عام 1977، زهاء 1115 عنوان (بعضها مكرر) لمؤلفات من كتب و رسائل تنسب إلى 261 مؤلف و مؤلفة، و من الوثائق المحفوظة في المشروع آلاف الرسائل الرسمية المتداولة بين السلاطين و الخلفاء و الأمراء و غيرهم و الكتب و الرسائل المرصودة في الفهرس للشيخ عثمان دان فوديو تبلغ 131، و المرصودة لأخيه الشيخ عبد الله تبلغ 57، و المرصودة لإبنه بلو تبلغ 96، و رصد لأسماء بنت الشيخ عثمان 6 عناوين⁽³⁾.

(1) علي يعقوب: جمهور العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الإسلامية و العربية (غرب إفريقيا نموذجاً)، المرجع السابق، ص 19.

(2) الأمين أبو منقة محمد، التراث العربي الإسلامي في شرق إفريقيا و غربها (دراسة مقارنة)، الندوة الدولية حول الحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا، كمبالا، أوغندا، 2003، ص 14.

(3) عثمان سيد أحمد إسماعيل البيلي: ملاحظات و خواطر حول الحياة الفكرية في الخلافة العثمانية الصكتية (القرن الثالث عشر الهجري-التاسع عشر ميلادي)، ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ما بين 12-14/05/1988، ص 220.

3- المراسلات العلمية:

تعدّ المراسلات العلمية أحد أهم روافد النهضة الإسلامية المعاصرة في غرب إفريقيا فهي تمثل جانبا مهما من جوانب البر و التقوى و ترسيخ مبدأ التواصل العلمي و الاجتماعي و الثقافي إذ تناولت مسائل عملية مختلفة فقهية، عقديّة، ثقافية، تاريخية و غيرها، ففي السياسة الشرعية: بنصائح للملوك و السلاطين و فيها الحسبة: بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و فيها التعليم: بنشر التعليم و الثقافة الإسلامية و الوعي بين المسلمين و فيها المحافظة على اللغة العربية إذ هي لغة المراسلات⁽¹⁾.

كانت لغة هذه المراسلات بسيطة و سهلة و سليمة من الأخطاء و خاصة تلك التي تصدر من مقر الخلافة في عهد مؤسسي الدولة و السنوات التي تليها⁽²⁾، و كان منهج المراسلات العلمية بين علماء غرب إفريقيا هو منهج علمي وصفي تحليلي، تتمثل عناصره فيما يأتي :

أ* الاستفتاء، أي عرض المسألة و طلب الرد عليه

ب* بيان ما صدر في المسألة من أحكام وفق المذهب المالك، أو رأي جمهور العلماء من مختلف المذاهب الفقهية الأخرى ثم طلب رأي المرسل.

ج* المبادرة إلى توجيه المراسل للقيام بالواجب، الحسبة و الإصلاح الاجتماعي في البيئة التي يعيش فيها⁽³⁾.

(1) هارون المهدي ميغا : المراسلات العلمية و أثرها التعليمي و الدعوى بغرب إفريقيا، مجلة قراءات إفريقية، العدد 03، الرياض، السعودية، 2008، ص04.

(2) علي يعقوب: جمهور العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الإسلامية و العربية (غرب إفريقيا نموذجا)، المرجع السابق، ص199 .

(3) هارون المهدي ميغا : المرجع السابق، ص05.

و كانت اللغة المستعملة في جميع الأطوار و المناهج هي اللغة العربية الفصحى، أما إذا كان المراسل أو الشخص المكلف شفويا والمراسل من قبيلة واحدة، فقد تستعمل اللغة الإفريقية التي يجيدانها.

4-منهج وسائل التعليم :

كانت الأساليب و الطرق المستخدمة في التدريس عند الهوسا، مجرد محاولة تقليد و إتباع ما كان ي مكة خصوصا لمن زارها و حج إليها، و محاولة تقليد طريقة التدريس في الأزهر بمصر و جامس القرويين بفاس⁽¹⁾، و الأساليب تتمحور في أسلوب التلقين و التكرار الذي يعتمد على الحفظ و أسلوب الكتابة و أسلوب العرض حيث تسرد الأحاديث الشريفة عن طريق الدارسين و التي يحفظونها عن ظهر قلب، و يتتبع الشيخ لما يقرؤه الطلاب ثم يقوم بشرح مقاصد ذلك الحديث⁽²⁾.

جعلت صعوبة اللغة العربية على اللسان الهوساوي، المعلمين و الدارسين يستخدمون لغة الهوسا في العلم و الحلقات الدراسية⁽³⁾، و يرجع ذلك لتأخر وصول العرب و الطرق الصوفية إلى الهوسا.

(1) هذه الأساليب كان أغلبها مغربيا، يستخدمون الخط العربي في الكتب كما استخدموا الكتب المغربية في المناهج و التي كانت تدخل عن طريق مالي و صنغاي و بنو: مثل: الشفا للقاضي عياض، و دلائل الخيرات للجزولي و مقدمة ابن أجوم و شرح المكودي على ألفية ابن مالك، و المرد المعني لابن العاشر الفاسي و جامع المعيار الونشريسي ...إلخ. أنظر: فضل كلود الدكو على العلماء الأفارقة في غرب إفريقيا، حوليات الجامعة الإسلامية، العدد 01، النيجر 1995، ص68-69

(2) خالد العلي عبد القادر: المرجع السابق، ص227.

(3) لقد تأخرت الطرق الصوفية في الدخول لإقليم الهوسا، و يعتقد أن الشيخ المغيلي هو من أدخل القادرية، و هو فرع البكائية و مؤسسها سيدي أحمد البكائي الذي عاش في نهاية القرن 15م، أما التيجانية، التي أسسها أحمد التيجاني (1738-1815) =الذي ولد بالأغواط في الجزائر، فقد انتشرت في السودان الغربي. أنظر: عمار هلال: الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، منشورات دار الثقافة، الجزائر، 1984، ص 118-127.

قد استند التقليد الفكري في أرض الهوسا على دراسة الأدب الكلاسيكي و الفقه الإسلامي بالطبع للغة العربية بحيث أن التمكن من هذا الأدب الكلاسيكي سيمنح مكانا محترما في العالم و في المجتمع⁽¹⁾.

و يركز التخطيط المنهجي التعليمي في سكوتو على الأهداف التالية :

-تزويد المتعلم بالمعارف التي تمكنه من الإيمان بالله و إتباع سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم

-تزويد المتعلم بالمعارف التي تمكنه من استغلال نعم الله التي سخرها الله له

-تزويد المتعلم بالمعارف التي تجعله مسلما صالحا⁽²⁾.

و لذلك اعتمدت التربية على مناهج تحقق التغيير المنشود، حيث تدور مفردات المنهج حول أصول الشريعة و فروعها، الحث على إتباع السنة النبوية و اجتناب البدعة، رد الأوهام التي أبنتلي بها بعض الطلاب، التصدي للبدع و العادات التقليدية و ذلك بنشر العلوم الشرعية و تحديد المشكلات التي يجب معالجتها، و قد دعا الشيخ عثمان طلابه إلى ضرورة الاطلاع و الاشتغال على مؤلفاته و كذا مؤلفات ابنه و أخيه، لما فيها من عظيم الفائدة فقال : "فاشتغلوا يا إخواني بقراءة تواليف علماء زمانكم لأنهم هم العالمون بما هو الأهم في زمانكم و لأن إليهم تفصيل ما أجمل من تواليف العلماء المتقدمين لأن تواليف كل دور تفصيل تواليف من قبله، و لذا اعتنى كل عالم بالتصنيف في زمانه.." ⁽³⁾، و في موضوع آخر يقول : " اشتغلوا بقراءة تواليف أخي عبد الله لأنه مشغل غالبا بحفظ ظاهر الشريعة و اشتغلوا بقراءة تواليف

⁽¹⁾ Kameche Mohamed : Op-cit, p178.

⁽²⁾ أحمد عمر عبید الله: الأسس التربوية لحركة التجديد عن الشيخ عثمان بن فودي، الندوة العالمية، الخرطوم، السودان 1995، ص 112.

⁽³⁾ عثمان بن فودي: نجم الإخوان، المصدر السابق، ص158.

ولدي محمد بلو، لأنه مشتغل غالباً بحفظ سياسة الأمة، بحسب الأشخاص و المقاصد و الأزمان و الأمكنة و الأحوال، و اشتغلوا أيضاً بقراءة توالييفي لأنني مشتغل بحفظ الطرفين غالباً، و توالييفنا كلها تفصيل لما أجمل في توالييف المتقدمين و توالييف العلماء المتقدمين لما أجمل في الكتاب و السنة⁽¹⁾، بالإضافة إلى توالييف الشيخ عثمان و عبد الله و محمد بلو، كانت تدعى مؤلفات عربية أخرى في المساجد و الزوايا و الخلوات، و لعل أهمها :

1-الفقه و أصوله مثل : المدونة الكبرى، مختصر خليل، جامع المعيار للونشريسي، جامع الجوامع للسبكي.

2-الحديث و علومه مثل: كتب الصحاح الستة، الموطأ للإمام مالك، ألفية العراقي

3- السيرة النبوية: ألفية العراقي في الشمائل النبوية، الشفا للقاضي عياض، السيرة لابن هشام.

4-القراءات مثل: منظومة ابن البري، القصيدة الشاطبية.

5-التوحيد، مثل: السنوسية و شرحها

6-المنطق، مثل: رجز المغيلي مقدمة التاجوري.

7-النحو مثل: الأجرومية، شذوذ الذهب.

8-اللغة و الأدب مثل: الهمزية، البدرة، العشرينات.

9-العروض و القوافي، مثل : تلخص المعان، الجوهر المكنون⁽²⁾.

و يلاحظ في مناهج التعليم ووسائله بسكوتو في هذه المرحلة أنها جد تقليدية، رغم سعي بعض العلماء إلى تقليد مناهج التعليم في بلاد المغرب أو حتى في بلاد الحجاز لكن تبقى

(1) عثمان بن فودي: نجم الاخوان، المصدر السابق، ص 159.

(2) عبد الصمد عبد الله: المرجع السابق، ص 6-7.

هذه العملية اجتهادية فقط، كما يلاحظ أيضا غياب المواد العلمية كالطب و الحساب و الجغرافيا و غيرها و هذا ما يعكس بساطة المناهج و سطحيتها.

5-مراحل التعليم:

في البداية ارتكزت العملية التعليمية على تعليم القرآن و بعض العبادات من خلال المساجد التي حرص الدعاة و الوعاظ على إقامتها، ثم أصبحت العملية أكثر تنظيما بفعل زيادة عدد المتعلمين و الدارسين و دخول الكتب الإسلامية كما صار التعليم مما أدى إلى ظهور المراكز التعليمية، و المدارس في كانو و كانشينا و تنبكتو و جاو⁽¹⁾. و تمر علمية التعليم في سكوتو عبر المراحل التالية:

أ*التعليم النظامي: ينقسم إلى مرحلتين:

***المرحلة الأولى:** تبدأ قبل سن الخامسة بتعليم الأطفال قراءة القرآن فقط دون حفظ ليتعودو على نطق الحروف و الكلمات لأن الشيخ عثمان أدرك أنها ليست اللغة الأم و يلزم تعلمها ليقرأو القرآن قراءة صحيحة.

***المرحلة الثانية:** تبدأ من سن الخامسة التي يطلعى عليها "مدرسة اللوح" و يتعلم الأطفال في هذه المرحلة قراءة القرآن و حفظه و الكتابة على الألواح، و تستمر إلى أربع سنوات يحفظ فيها الطالب القرآن و يحسن فيها الكتابة، و يتعلم فيها أمور دينه، و هنا تتشكل شخصيته⁽²⁾.

ب***المعاهد و مدارس العلم:** تعد المعاهد و مدارس العلم امتدادا لما قبلها من المدارس حيث يرتادها الطالب بعد إكمال "مدرسة اللوح" و حفظ القرآن و هي عبارة عن فصول متدرجة

(1) خالدى عبد القادر: المرجع السابق، ص 224.

(2) أحمد عمر عبيد الله: المرجع السابق، ص 108.

لكل فصل مقرراته و مناهجه و يشرف على هؤلاء الطلاب شيوخ متفنون (يدرسون جميع المواد) و شيوخ متخصصون (أي يدرسون مادة واحدة من تفسير و فقه و حديث و صرف و بلاغة و تاريخ) و نجد أن طرق و وسائل التدريس تختلف من مكان لآخر و كذلك تختلف مستويات الطلاب لأنها لا تخضع لسلطة مركزية فبعضها يدرس الكتب المبسطة و بعضها يدرس الكتب المتقدمة⁽¹⁾.

ج*تعليم الصفوة(الجماعة): قام الشيخ عثمان بتعليم و تربية الطلاب الممتازين الذين أطلق عليهم إسم "الجماعة" الذين قام بصقلهم فركيا و تهيئتهم ذهنيا و علميا و ذلك بهدف تحضيرهم للقيام بمسؤولياتهم التربوية و الدعوية في المستقبل حيث ظل قسم منهم ملازما للشيخ في حضور دائم و قسم آخر ينتشرون في السودان الأوسط و الغربي و يعلمون الناس و ينشرون دعوة بن فودي و ذلك بعد تأهيلهم⁽²⁾.

د*تعليم العوام: لم يقتصر الشيخ عثمان تعليمه على الصفوة فقط بل خرج إلى العامة ليعلمهم و يحدثهم و يكسبهم إليه بجذب قلوبهم بما كان يحدثهم به من علم قريب من أفهامهم مستعملا في ذلك أسلوب الحكمة و الموعظة الحسنة حيث كان يخاطبهم بلغة بسيطة مفهومة، فقد كان الشيخ عالما بنفسية مجتمعه و بإدراكه العميق للتركيب الاجتماعي و السياسي في بلاد الهوسا فقد كان يخرج لوعظ الناس (العوام) أيام الجمع و بعد صلاة العشاء من كل يوم كما كان طلابه الذين نشرهم على طول البلاد و عرضها ينتهجون نفس نهجه⁽³⁾.

(1) أحمد عمر عبيد الله: المرجع السابق، ص 109.

(2) المرجع نفسه: ص 110.

(3) نفسه: ص 111.

هـ*التعليم المهني: التلاميذ الذين لا يواصلون دراستهم بعد مرحلة "مدرسة اللوح" يخرجون إلى الحياة العامة، حيث يتم تدريبهم على مختلف الحرف بطرق بسيطة و كذا الزراعة و غيرها من الأنشطة⁽¹⁾.

و يلاحظ على هذا النوع من التعليم طول المدة، حيث يستغرق التلميذ مدة طويلة في أشياء قليلة و بسيطة و كذلك عدم الاهتمام بالمعلمين، و لعل هذا الذي جعل بعضهم يطالبون الآباء بالتصدق لأبنائهم بطعام أو شاة أو خروف إذا وصلوا إلى سور أو أحزاب معينة، و هذه الصدقة تذهب إلى المعلم نفسه فمعظم الآباء و أولياء الأمور لا يعطون هذا المعلم شيئاً في مقابل تعليمه لأبنائهم، لذلك استغل المعلمون هذه الطريقة، وأوهموا لأباء بأن عدم القيام بهذه الصدقة ليفتح الله لهم و يزيدهم حدة في الذكاء، أما إذا ختم الولد القرآن فلا بد أن يقيم والده احتفالاً رائعاً، يحضره الأقارب و الأصدقاء ليباركوا حفظ الولد أو البنات للقرآن و ليقدموا للمعلم العطاء و الهدايا⁽²⁾.

و يبدو أن حكومة سكوتو في مسألة تخصيص رواتب محترمة للعاملين لحفظ ماء وجوهه، رك الأمور تسير على هذه الشاكلة، و كذا جشع بعض المعلمين أدى باستغلال التلاميذ حتى في خدمة الفلاحة في أراضيهم الزراعية مقابل تعليمهم، و لقد قامت الحكومة بمحاولات كثيرة لمنع هذه الظاهرة لكن باءت أكثرها بالإخفاق.

و*أماكن التعليم:

1-المسجد الجامع: أقام الشيخ عثمان في كل قرية مسجداً تحت إشراف معلم و كان المجلس في المسجد يضم فصلين للتعليم: أحدهما للعوام و الآخر للمتقدمين في العلم، و هما ما أطلق

(1) أحمد عمر عبيد الله: المرجع السابق، ص 109.

(2) خالد حسن عبد الله: التعليم العربي الإسلامي في نيجيريا، مجلة قراءات إفريقية، العدد 15، الرياض، السعودية، ص70.

عليهما المدارس القرآنية و الدهاليز، و صارت المدن مثل كانو و زارايا و كاتسينا من أشهر مدن الدولة جذبا للطلاب و كانت الدروس تعطى في المسجد طوال اليوم⁽¹⁾.

2-المكتب و الخلوة و منازل العلماء و قواعد الصلاة: قد أدت هذه الأماكن نورا مهما، في التأسيس لتعليم القرآن الكريم و العلوم الإسلامية و اللغة العربية في الدولة و مازال بعضها يؤدي دوره في نيجيريا إلى وقتنا الحاضر⁽²⁾.

3-المدارس القرآنية : و تنقسم إلى نوعين:

*النوع الأول : يتعلم فيه الصبيان قراءة القرآن فقط من غير حفظ و هو الأكثر انتشارا في البلاد و العمر المحدد له لمن يلتحق به هو خمس سنوات، و يطلق على المدرسة (مدرسة اللوح) لأن الصبيان يتعلمون فيها على اللوح.

*النوع الثاني: يحفظون فيه القرآن كاملا⁽³⁾.

4-المعاهد: هذه المعاهد ليست تلك المباني الضخمة المقدمة إلى فصول و مكاتب كما نشاهده اليوم، و إنما هو حجرة جلوس، الشيخ في منزله قد تكون كبيرة أو صغيرة حسب إمكانيات صاحبها و قد تكون مفروشة بحصر أو فراء و قد لا يكون هناك فراش إلا في مجلس الشيخ وحده خصوصا إذا كان قاضي قضاة المدينة أو وزيرا⁽⁴⁾.

و يذكر أن عددا من معاهد العلم قد نشأت في كنف الخلافة الصكتية و انتشرت في معظم ولايات الدولة و أجزاءها المترامية، و أول هذه المعاهد "معهد صكت" أو معهد الشيخ

(1) محمد ناصر علي باري إبراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص195.

(2) محمد لواء الدين أحمد : المرجع السابق، ص 153.

(3) خالد حسن عبد الله: المرجع السابق، ص 69.

(4) موسى عبد السلام أبيكن: المرجع السابق، ص 228.

عثمان الذي كان أكبر المعاهد الدينية و الذي تفرعت منه عدة فروع لا في صكت وحدها بل في جميع أنحاء الدولة.

و كذا معهد غداد بن ليم الذي أسس في عهد الشيخ عثمان عبد الله بن فودي في غوندو و معهد الحنبليين في كاتسينا و معهد جوما في زاريا، ومعهد حسن غرف في أداما، و معهد المعلم دندو في بيدا⁽¹⁾، و كثرة المعاهد في هذه الفترة، دليل على الرقي الفكري و الازدهار الثقافي الذي بدأ يسود دولة سكوتو.

6-تعليم المرأة:

عني الشيخ دان فودو بتعليم المرأة نظريا و عمليا منذ أول حركته الإصلاحية فقام بتعليمهم حذوا بحذو الرجال، يقول: "كنت أعلم الرجال فروض الأعيان و تحضر النساء من وراء حجاب و أنهاهن من مخالطة الرجال، و أكرر في المجلس إن إختلاط الرجال بالنساء حرام حتى صار ذلك معلوما بالضرورة ثم أفردت للرجال يومهم و للنساء يومهن، لأن ذلك أفضل⁽²⁾، هنا يتجلى البعد التربوي التطبيقي عند الشيخ في موقفه من تعليم المرأة، إذا علم أن ذلك كان في فترة الركود الفكري ببلاد الهوسا، حيث كان تعليم المرأة و العناية بتربيتها و تثقيفها من أقل اهتمامات العلماء بل وجد علماء كثر عارضو بشدة تعليم الشيخ للنساء، بحجة أن ذلك يؤدي للاختلاط و قد رد عليهم الشيخ و أفرمهم في بعض مؤلفاته و سيأتي ذلك في الفصل الأخير.

و من الدور الذي لعبته المرأة في دفع الدراسات العربية الإسلامية إضافتها الكثير من الإنتاجات الأدبية المنظومة و التأليف المنشور باللغة العربية كما نجده عند السيدة رقية الفلانية

(1) سعاد المصفاوي: دور الحضارة العربية الإسلامية في تطوير الحركة العلمية في غرب إفريقيا، مجلة الدراسات التاريخية،

العدد 14، الجزائر، 2012، ص 378.

(2) عثمان بن فودي : تحفة الأحياب بأدلة كتاب نور الألباب، المصدر السابق، ص 53

و السيدة أسماء بن عثمان بن فودي التي نظمت أشعار عربية في مختلف الأغراض كالرثاء و المراسلة و المدح و الثناء على الله و كانت مريم ابنة عثمان بن فودي لرسائلها العربية التي تدل على رسمية اللغة العربية في ذلك الزمن، كالرسالة التي كتبتها إلى أمير كانو "عثمان بن دابو" لما أرسل إليها سيسألها عن أناس ينتقلون من بلاد الهوسا نحو الشرق بزعم قرب ظهور المهدي فأجابته ببطلان هذا الزعم الذي يروونه، كما أنها ترجمت و نظمت "مختصر خليل" إلى اللغة الفلانية⁽¹⁾.

الملاحظ أن اهتمام الشيخ عثمان بتعليم النساء، أدى إلى تخرج عدة عالمات على يد الشيخ حيث تولت المرأة تدريس النساء في نظام مزدهر، و هو الذي عرف في تاريخ خلافة سكوتو الإسلامية باسم "جماعة ينتارو Yantaro" و تم بذلك بتأسيس الشيخة أسماء بنت عثمان بن فودي سنة 1840م و بعدها تولت التدريس الشيخة مريم في بيت زوجها، حيث تأتيتها الدراسات من جيرانها حتى من القرى في جمع تقوده عجوز هرمة⁽²⁾، يتعلمن القرآن و التوحيد و الفقه و الحديث و اللغة العربية ثم ترجع هؤلاء النساء إلى أهلهن و بشتى ما تعلمنه و يحاربن البدع و الشعوذة.

7- الحواضر و العلماء بسكوتو:

قد اشتهرت بعض المدن بكونها مراكز للعلوم، مثل : مدنية سكوتو و غوندو و كانو و كاتسينا و كانت متون الفقه المالكي هي المقررة كالمتن الأخضرى و العشماوي و الغربية و رسالة ابن أبي زيد القيرواني و مختصر خليل و شروحه المختلفة و كذلك كتب النحو و الأدب مثل: الأجرومية و قطر الندى و شروحه و مقامات الحريري، و لا شك أن اللغة

(1) محمد الرابع أول سعاد، المرأة و التعليم الإسلامى العربى فى إفريقيا(نيجيريا نموذجاً)، مجلة قراءات إفريقية، العدد 12،

الرياض، السعودية، ص12، ص67.

(2) محمد الرابع أول سعاد: المرجع السابق، ص66.

العربية قد تطورت كثيرا في تلك الفترة و كثر التأليف فيها⁽¹⁾، و أصبحت لغة الثقافة و العلم و أصبح الشباب يتنافسون في إتقانها لتوالي المناصب العليا في الدولة⁽²⁾، لكن في الحقيقة تبقى اللغة العربية في بلاد الهوسا لغة تأليف و كتابة و ليست لغة تخاطب إلا ما يفعله العلماء من مخاطبات و مجادلات في أمور فقهية و نحوية بلاغية.

و كانت المدن التي ظهرت عبارة عن مراكز حضارية و تجارية حصينة و منيعة تحميها القوة البرية الضاربة، و تتسع الأسوار و الحدائق و المباني المزينة، و يحيط بالمدن في بعض إمارات الهوسا سور كبير مبني من و خندق متسع يجري فيه الماء للدفاع عنها إذا ما تعرضت للخطر⁽³⁾.

و كانت بلاد الهوسا تشمل على عدد لا بأس به من العلماء حتى قبل حركة الشيخ دان فوديو، فعلى سبيل المثال فإن عدد العلماء الذين جمعهم سلطان غوبير، "باو BAWA" في عيد الأضحى للمناظرة مع الشيخ عثمان في سنة 1202هـ/1788م، كان فوق الألف⁽⁴⁾، و إذا كان عدد العلماء في ولاية غوبير بهذا العدد فإنه سيكون أكثر في ولايات أخرى مثل : كانو و كاتسينا، لأهميتها العلمية و التجارية، و لأن صلتها بالعالم الإسلامي كانت أكثر من بقية الولايات الأخرى⁽⁵⁾ و من أشهر علماء سكوتو نجد :

(1) أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص35.

(2) علي يعقوب: جمهور العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الإسلامية و العربية (غرب إفريقيا نموذجاً)، المرجع السابق، ص19.

(3) الفاتح الشيخ يوسف: مظاهر الحضارة الإسلامية في الممالك الإفريقية، مجلة قراءات إفريقية، العدد 14، الرياض السعودية، ص13.

(4) يعلق الدكتور شيخو، بقوله: ليس معنى هذا طبعاً أن أولئك العلماء قد وصلو إلى درجة عالية من العلم و لكن المقصود أنهم نالو شيئاً من العلم. أنظر : آدم الألوري : موجز تاريخ إفريقيا، المرجع السابق ص 80.

(5) عبد العظيم محمد الأجلط: المرجع السابق، ص17.

1-الوزير جنيد: أنشأ الوزير جنيد بن محمد البخاري، مكتبا لصيانة آثار أبناء فودي و أعوانهم المجاهدين و المخطوطات، و قد صنفت تصنيفا علميا، حيث جمع ما للشيخ عثمان بن فودي في بند خاص و ما لأخيه الشيخ عبد الله بند خاص و لابنه محمد بلو بند خاص، و ما لغيرهم من العلماء بند خاص، و ما لآل فودي فقط يبلغ ألفين و زيادة من المخطوطات⁽¹⁾، بالإضافة إلى هذا العمل الفريد الذي قام به الوزير جنيد، فله العديد من التواليف في مختلف علوم اللغة و الشعر.

2-غداد بن ليم: أشهر علماء سكوتو، من مؤلفاته : روض الجنان في مناقب الشيخ عثمان، تناول هذا التأليف تفاصيل الأحداث و اللقاءات التي دارت بين الشيخ عثمان و أمراء غويير، كما يذكر عددا من كرامات الشيخ، و قد عمل الشيخ غداد لن ليم قائدا لجيوش عثمان بن فودي، ثم وزيرا للمصالح، أيضا له "حكم الهجرة"، تناول فيه أصحاب محمد بلو و انتماءاتهم القبلية، كما تحدث عن الأماكن التي زارها و أقام بها رفقة الشيخ عثمان، و غيرها من المواضيع في هذا التأليف⁽²⁾.

3-سعد بن عبد الرحمان: من بين علماء سكوتو، له عدة تأليف منها: "ترتيب الأصحاب و تجميع أولي الأبواب من أصحاب الشيخ عثمان بن فودي"، يتناول الخلاف الذي كان بين عثمان و عبد الله و كذلك يتحدث عن التنظيم الإداري في عهد الشيخ عثمان⁽³⁾.

4-الكنوي عبد الله ثقة (سكا): ألف منظومة بعنوان "العطية للمعطي" يبين فيها الأوجه المختلفة للعبادات⁽⁴⁾.

(1) خليل محمد عثمان بن فودو و قاسم إبراهيم : دور الشيخ عبد الله الألواري في تحقيق المخطوطات العربية في نيجيريا:

قصيدة الشيخ عبد الرحمان الثعالبي الجزائري نموذجا، مجلة رفوف، العدد 3، أدرار، الجزائر، ص 325.

(2) بهيجة الشاذلي: المرجع السابق، ص 326.

(3) المرجع نفسه : ص 327

(4)Hiskett, M: OP, cit, P15

5- الكشناوي إبن الصباغ (دان مرينا): الذي قام لأول مرة بشرح و تحليل قصيدة العشرينية للفرازي بكتاب له بعنوان: " الوسائل المتقلبة"⁽¹⁾.

6- الشيخ ابن العارف (دان مسني): و له "النفحة العنبرية في شرح العشرينية"⁽²⁾ و "بزوغ في شرح العشرينية" و "ازدهار الربا في أخبار يوروبا"⁽³⁾.

7- الشيخ هارون الزكزي: شيخ شيوخ الفلاتة، و له عدة قصائد كما يشير محمد بلو.

8- الشيخ علي جب : صاحب الشرح على الكيري و الشرح على لامية الأفعال⁽⁴⁾.

و المؤلفات التي وجدت في فهرست المخطوطات العربية، لا تقتصر على مؤلفين من التكرور أو من السودان بعامة، و إنما تشتمل على أسماء مؤلفين عديدين من علماء المسلمين من كل إفريقيا و البلاد العربية، لا سيما علماء المالكية، فهناك على سبيل المثال لا الحصر: الدمشقي و الجزائري و القيرواني و السيوطي⁽⁵⁾، و هذا ما يشير إلى الصلة الوثيقة بين العلماء المسلمين من مختلف الأقطار.

مجمل القول أن الشيخ عثمان دان فوديو استطاع في مدة وجيزة أن يؤسس كيان سياسي يشتمل جميع العناصر الحضارية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، بالإضافة إلا أنه كون صفوة عالمية مقتردة من أبناء الفولاني و كسب، قاعدة جماهيرية ليست في إمارة سكوتو فقط بل في كامل غرب إفريقيا و هذا من خلال رؤيته الفكرية الشاملة و المؤسسة على مجموعة من المبادئ و الميكانيزمات التي عمل الشيخ على تنفيذها على أرض الواقع.

(1) بوسليماني عبد الرحمان: التراث العربي الإسلامي في شرق إفريقيا و غربها (دراسة تاريخها)، مجلتها الدراسات الإفريقية، العدد 4، الجزائر 2014، ص 180.

(2) Hiskett, M: OP, cit, P15

(3) الأمين أبو منقة محمد: المرجع السابق، ص 13.

(4) بوسليماني عبد الرحمان : المرجع السابق، ص 180.

(5) عثمان سيد أحمد إسماعيل البيلي: المرجع السابق، ص 221.

الفصل الرابع

علاقات إمارة دان فوديو و آثاره الفكرية

لقد تمكن الشيخ دان فوديو خلال خمسة عشر عاما من فتح بلاد الهوسا كلها بإمارتها و أقاليمها المختلفة، و استطاع أن ينشئ غمارة إسلامية موحدة تستقي تعاليمها من الدين الإسلامي، و ظهر مجتمع جديد تحكمه طبقة تسعى لنشر هذا الدين و تطبيق الشريعة الإسلامية⁽¹⁾، و هذا يختلف عما كان سائدا في تلك المنطقة، و قد أثرت جهود الشيخ و استطاع أن يؤثر في بعض القيادات التي سعت من اجل توسيع دائرة الإسلام في أنحاء القارة الإفريقية.

صارت دعوة الجهاد الفولاني التي قادها عثمان بن فودي و حمل لواءها أخوه عبد الله بن فودي و ابنه محمد بلو النموذج و المثل الأعلى لغيرها من حركات الجهاد و الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا، بل و أصبحت أم الحركات الإصلاحية و رائدة التحرر و الجهاد الإسلامي لنشر الدين الحنيف في كثير من مجتمعات غرب إفريقيا.⁽²⁾

كان للتأثير الفكري لإمارة سكوتو على مناطق الهوسا و خارجها كبيرا، و ذلك بفضل الحيوية التي اتسم بها علماء و ارباء سكوتو في الإنتاج الفكري و الأدبي الإسلامي، و كانت سمة هذه الحيوية هي الحماس الجماعي، الذي تجسده في عقلية قيادة الخلافة رجالا و نساء، فكان عثمان مؤلف و التف حوله أصحابه و اخوانه و ابنائه و بناته و تلاميذه، و هم عاكفون على التصنيف و الوعظ و الإرشاد و تمجيد العلم، فبعدها أرسل الدعوة لمختلف المناطق، كانوا مجهزين بكتب و مصنفات علماء سكوتو التي كانت بمثابة مراجع أساسية إلى جانب القرآن و السنة⁽³⁾، مثلا: " كتاب بيان وجوب الهجرة على العباد"، يوصف بأنه نقطة تحول فكري في كتابات بن فودي، الذي أثر على حياة و مستقبل جماعته، فالكتاب هو البيان المنهجي للخروج

(1) نورة بنت معجب الحامد: المرجع السابق، ص 42.

(2) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية، المرجع السابق، ص 253.

(3) عثمان براهما باري: المرجع السابق، ص 126.

عن مجتمع الكفر إلى مجتمع جديد يقوض أركان ذلك المجتمع و يبين عن أنقاضه دولة مسلمة هي إمارة سكوتو.⁽¹⁾

نجد أن هذه الثورة الفكرية و الثقافية و الاجتماعية و الأخلاقية أدت إلى تغيرات ذهنية في مفاهيم المجتمع⁽²⁾، حيث انتشرت المساجد و المدارس التي تم بفضلها انتشار التعليم و الوعي و الثقافة و اللغة العربية.

وصف السيد دانيل Danil أحد الإداريين المستعمرين في بلاد الفولاني الشيخ بن فودي، قال: " عاش الشيخ خاتمته أعمال حياته، وجد الإسلام تحت النير فارتفع به إلى عليين، و بعد أن كان الفولاني قطيعا من البدو أصبحوا الطبقة الحاكمة في إمارات الهوسا، و كان رجلا مخلص للعقيدة ذا إيمان ديني عميق و ثقته في الدعوى الإلهية ا حد لها و شخصيته تتبعث الحياة في أنصاره في ثقته في نفسه، و عاداته البسيطة في حياته الزاهرة خلقت تضاربا عميقا مع الضخامة البربرية التي تأثر بها الحكام الوثنيون، و هو و إن لم يكن جنديا فهو يعزو نجاحه إلى الله"⁽³⁾.

و قد أكد أحد الأوروبيين في القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، قال: " أن جميع الأدلة تؤكد بوضوح أن شعب نيجيريا، "الهوسا" أمة متمدينة لها نظامها الخاص و تتمسك بتقاليدها و بقيم مدارسها و لها نظام حكم مستقر"⁽⁴⁾، و هذا يعكس جهود الشيخ عثمان في التمكين لإمارته، و التي سيكون لها علاقات داخلية (إقليم إفريقيا جنوب الصحراء أو السودان الغربي) و علاقات خارجية (خارج السودان الغربي).

(1) محمد أحمد كاني: المرجع السابق، ص 155.

(2) توماس أرنولد: المرجع السابق، ص 362.

(3) زاهر رياض: الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 297.

(4) صلاح صبري: إفريقيا وراء الصحراء، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1960، ص 163.

1 - علاقات إمارة دان فوديو**1-1 العلاقات الداخلية:**

أصبحت سكوتو قوة إقليمية و حضارية في كامل غرب إفريقيا، لذا سعت لإقامة علاقات و تحالفات مع الإمارات و بعض القادة الذين تأثر و بدعوة الشيخ عثمان بن فودي، لذا سنتناول أهم العلاقات التي ربطت سكوتو بإمارات و ممالك، غرب إفريقيا في ظل حكم دان فوديو.

1. علاقة سكوتو بكانم و برنو⁽¹⁾:

بعد أن وطّد الشيخ عثمان دان فوديو مكانة الدعوة الإسلامية الجهادية في بلاد الهوسا، بذل بعض الجهود من أجل تثبيت الوضع الداخلي و ذلك بإبعاد أي تأييد طارحي يمكن لولايات الهوسا التي لم تنضم بعد إلى حركة الشيخ عثمان، و بعد وصول معلومات مفادها أن حكام كانم و برنو يساعدون بعض ولايات الهوسا المناوئة للشيخ بن فودي، فتحرك الشيخ عن طريق قبائل الفولاني المستقرة في أقاليم كانو و برنو، و قد لخص ذلك محمد بلو في قوله: " إنه لما ضيق الجماعة (جماعة الشيخ عثمان) على أمير دورا و أمير كشنة و أمير كانو (من ولايات الهوسا) بعثوا إلى أمير برنو يستخدمونه على الجماعة فأرسل إلى وزيره أن يقبل إلى أنجادهم و نصرتهم و سار إليهم لنصرتهم... و لم أحس بذلك مجاورهم من جماعتنا (يعني الفولانيين) جعلوا ينحازون إلى جهة واحدة فبعث إليهم بالسرايا و الله تعالى يردها عنهم، ثم خرج بنفسه

(1) تقع المملكتين بالقرب من بحيرة تشاد، فمملكة كانم تقع شمال شرقي بحيرة تشاد و هي بعيدة عن مملكة مالي، أما مملكة برنو فهي تقع غرب بحيرة تشاد و تعد من دول السودان الأوسط، أنظر: محمدو شاكِر: التشاد، وزارة المعارف السعودية، السعودية، 1972م، ص 38.

فشن الغارات عليهم فزحف لهم زحفا فرده الله منهزما.."، و كان يعتبر حكام كانم و برنو أن جماعة الشيخ عثمان من الفلانيين أعداء الإسلام بالمنطقة.⁽¹⁾

مراسلات الشيخ الكانمي مع الشيخ عثمان:

نشأ محمد الأمين الكانمي في منطقة الكانم قرب بحيرة تشاد⁽²⁾، و لقد درس الكانمي في كل من المدينة المنورة و الأزهر الشريف و فاس، و كان عالما متقنا من دون شك أكسبه عددا كثيرا من الطلبة، و لقد عاصر عددا من الأئمة كالإمام الدريدي و الحافظ و المرقضي الزبيدي و عرفه الدسوقي، و لقي أهل العلم في الحجاز و الشام و مصر و المغرب.⁽³⁾

قام الشيخ الكانمي بالاتصال الكتابي بالشيخ بن فودي، معترفا له بمكانته العلمية الهائلة متسائلا عن سبب سوء الفهم الحاصل بين المنطقتين، و من ثم فقد حاول الشيخ الكانمي نقل المعركة من الساحة الحربية القتالية إلى الساحة الفكرية، و ذلك من أجل المحافظة على الحد الأدنى من السيادة السياسية و الاجتماعية، و محاولة خلق علاقات فكرية و علمية بينه و بين الشيخ دان فوديو، و هذا ما سيحصل و يصبح الشيخ الكانمي هو المدافع عن المنطقة و تتضاءل سلطة حاكم كانم و برنو.⁽⁴⁾

يبدو أن الشيخ الكانمي، لم يعتقد فكرة الجهاد، كما أنه كان على صحة وثيقة ببعض الدول الوثنية في المنطقة و لم يحاول إعلان الجهاد ضدها أو محاربتها، و هذا سبب العداء بينه و بين سكوتو، و بعد سلسلة من الحروب اتفق الطرفان على ضرورة تحديد الحدود فيما

(1) محمد صالح أيوب: أثر الشيخ عثمان دان فوديو على الهوسا و حوض تشاد، الندوة العالمية، الخرطوم، السودان، 1995، ص ص 277-278.

(2) عبد القادر زبادية: دراسات عن إفريقيا جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 102.

(3) إبراهيم عمر إلياس: دور الحجيج في نشر اللغة العربية و الثقافة الإسلامية في مملكة الكانم و البرنو، منشورات قسم

الدراسات العربية، جامعة ميدغري، نيجيريا، (د.ت) ص 7.

(4) محمد صالح أيوب: المرجع السابق، ص 282.

بينها.⁽¹⁾ وقد وضع الشيخ بن فودي سبب محاربة إمارة سكوتو لمملكتي كانم و برنو، في قوله: "أما سبب القتال الذي وقع بيننا و بين ملك برنو و أتباعه، فأعلم أنا ما قاتلناهم " غبار Gubar"، و في مكان يسمى " بكو Bako" و لعدم علمنا بذلك حقيقة، و إنما قاتلناهم لابتدائهم لنا بالقتال، و اعتدائهم علينا و موالاته للكفار و نصرة لهم، و لا جرم أن ذلك يوجب الحكم بارتدادهم، إن كان سبق لهم الإسلام الصحيح"⁽²⁾، و يكمل في موضع آخر، "أما بيان ما كفرناهم به، فأعلم أن فقد كفرناهم بما كفر به المغيلي سني علي و أعوانه في كتاب " أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي"⁽³⁾، و كتاب "مصباح الأرواح في أصول الفلاح"، و هو أنهم يعظمون بعض الأماكن، و بعض الأشجار و الأحجار، بالذبح و الصدقة عندها، و يستعينون بالكهنة و السحرة، إذ جميع ذلك كفرا قطعاً.⁽⁴⁾

بلغت المراسلات بين لشيخ محمد الأمين الكانمي و الشيخ بن فودي عشرات الرسائل بالغة العرية، و دامت ستة سنوات يدافع فيها كل واحد منهما عن مواقفه بالحجة و البرهان من الكتاب و السنة و أقوال العلماء، و أما موضوعاتها فقد شملت الجهاد و أسبابه، و بمن يجاهد و بما يثار حول ابن فودي و أتباعه من تفكير أهل القبلة و قتالهم، بسبب بعض الكبار كالتبرج و أخذ الرشوة و أكل مال اليتيم و الجور في الحكم...، و من القضايا إتهام الكانمي لابن فودي

(1) إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 46.

(2) عثمان بن فودي: نجم الإخوان، المصدر السابق، ص ص 130-131.

(3) من العبارة التي وصف بها الشيخ محمد بن عبد الكريم المعنلي التلمساني ملك صنغاي سني علي: "... إن سني علي و جميع أتباعه و أعوانه و أنصاره، لا شك أظلم الظالمين الفاسدين، الذين يقطعون ما امر الله به أن يوصل و يفسدون في الارض، فجهاد الأمير أسقيا (أسكيا) فيهم و أخذه السلطنة من أيديهم أفضل الجهاد و أهمه". أنظر: محمد بن عبد الكريم المغيلي: أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي، تحقيق: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974، ص 40.

(4) عثمان بن فودي: نجم الإخوان، المصدر السابق، ص 131.

بالخروج على الغمام، و له و لأتباعه بحب الملك و السعي وراءه باسم الدين و لبعض أتباعه بنقض العهد.⁽¹⁾

و لقد رد الشيخ ابن فودي على تلك القضايا كلها بكتابات تولاها - بأمر منه - أخوه عبد الله تارة أو محمد بلو تارة أخرى، كما تناول عثمان بن فودي في كتابه " شفاء الغليل"، بعض تلك القضايا بشيء من البيان⁽²⁾، و في هذا الصر سنحاول عرض مقتطفات من المراسلات و بين الكانمي و محمد بلو و علماء سكوتو.

لقد كانت الرسالة الاولى التي كتبها الإمام الكانمي موجهة إلى علماء الفولاني وزعمائهم، و قد رد الشيخ محمد بلو بإشارة من ابيه، أو رد عليه عمه عبد الله بن فودي، و كان هؤلاء الثلاث هم العلماء و الزعماء في العاصمة سكوتو و في هذه المراسلات وضح علماء سكوتو ما وقع في بلادهم من أحداث فنجد: " دافعنا عن أنفسنا و أهلنا عما أدونا و استفزونا، و طلبوا منا ان نعود إلى ملا يحل لنا... فأجمعوا كيدهم على نصب القتال بيننا و بينهم"⁽³⁾. و يرد الكانمي، بقوله: " إن قلت: فعلنا بكم ذلك لكفركم، فإننا براء عن الكفر، بعيون من ساحتهمن فإذا كانت إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة و معرفة الله و صوم رمضان و عمارة المساجد كفر فما الإسلام؟..."⁽⁴⁾

و يرد الشيخ محمد بلو ما نصه: " فأعلم أن المسلمين المقيمين بدار الحرب على ثلاث أقسام: قسم خالطوهم و تولوهم و رضوا بها فيه كهؤلاء كفار، مرتدون مثلهم بإجماع، و ليس في هذا نزاع، و قسم ساكتوهم اختيارا لكن راضي بفعلهم و إنما حسبهم معهم عرض دنيوي فهؤلاء

(1) هارون المهدي ميغا: المراسلات العلمية لعلماء غرب إفريقيا في العصر الحديث و آثارها العلمية و الاجتماعية، مجلة قراءات إفريقية، العدد 17، الرياض، السعودية، 2013، ص 95.

(2) أحمد محمد البدوي: أوراق عربية في صكتو، ط2، منشورات قار يونس، بنغاري، ليبيا، 1991، ص 13.

(3) محمد بلو: المصدر السابق، ص 157.

(4) المصدر نفسه: ص 158.

فساق بإجماع، فإذا غاز المسلمون دار الحرب، و عثروا عليهم و أسروا أخلى سبيلهم و ذراريهم اتفاقاً، و قسم ساكنوهم إضراراً فهؤلاء ليس بهم بأسس، هذا ما نعرف في هذه المسألة".⁽¹⁾

و يذكر الشيخ الكانمي في نص آخر: ".. و كذا أخذ الرشوة و أخذ المال اليتيم و الجور في الحكم و كل ذلك من الكبائر التي نهى الله عنها، لكن لا يكفر أحد بعد أن استقر إيمانه بذنب، فلو أمر تم بالمعروف و نهيتهم عن المنكر و اعتزلتم الناس حين لم ينتهوا لكان أحسن من هذا القتل... فيا عجباً منكم بعد أن كانت لكم التقدمة في العلم و الدين اجبتم الملك و رغبتم فيه و تسولت لكم نفوسكم و تخيلتم ما تخيلتم، و استد للتم بظواهر لا تنهض لكم دليلاً، و لاسيما و قد سمعنا من سير الشيخ عثمان بن فودي و رأينا من تأليفه ما يخالف فعلكم، فإن كان هذا الامر صدر فعله فلا حول و لا قوة إلا بالله.."⁽²⁾.

و قد ردّ عليهم الشيخ محمد بلو فيما نصه: "... اعلم ان سبب قتالنا لكم فأنكم واليتم كفار هوسا دوننا بغير تقنية منهم و يعلمون أن من والي الكفار دون المؤمنين بغير تقنية فهم مثلهم كتابا و سنة و إجماع. و لقيامكم أيضا على إذاية المجاورين لكم من الجماعة حتى ألجأتموهم إلى الهجرة و بدأتموهم إلى الهجرة بالمقاتلة تعصبا الملوك هوسا و نصرة لهم، و لا يخفى أنه ما قمتم لمظاهرتهم على المؤمنين إلا لرضاكم بدينهم، و لا جرم أن الرضا بالكفر كفر... فأعلم يا كانمي أننا براء من جميع ما رميتنا به، راجعون إلى الله تعالى و الله المستعان على ما تصفون..."⁽³⁾.

و يقول الكانمي في رسالة أخرى: "... ما من زمن إلا و فيه جميع البلدان من الفسق و المعاصي م لا ينحصر كثرة، فهذه مصر، مثل البرنو و أعظم منها و كذلك الشام، و جميع

(1) محمد بلو: المصدر السابق، ص 158.

(2) المصدر نفسه: ص 156.

(3) علي بن أيوب ناجي: المرجع السابق، ص ص 74-77.

مدن الإسلام، فيها الرشوة و الجور، وأكل مال اليتيم و الظلم و البدع من زمن معاوية إلى يومنا هذا..⁽¹⁾ و يقول أيضا: " و هذه دمباط مدينة من مدائن الإسلام و هم بين مصر و الشام، و ذلك كوضع العلم و الإسلام، و بأرضها شجرة تفعل العامة مثل فعل العجائم.. و قد سألت الشاعر طاهر أبو فاشة رحمة الله عليه، على هذه الشجرة باعتبارها تنشأ في مدينة دمياط، فذكر لي أنه رآها، و أن بعض العلماء كانوا يلتمسون منها البركة، أو يرون فيها ذلك، فالمرأة التي لا تحمل تأخذ بعض شعرها، و تدق مسمارا في هذه الشجرة لتلف عليه الشعر، توهمنا ان هذا يحل مشكلتنا، لكن هذه الشجرة قطعت و بني مكانها مساكن تسمى الآن: "سيدي مظلوم".

على أية حال فإن حديث الكانمي حول هذه الشجرة، يشكل خاص و حول مشرق العالم الإسلامي شبشکل عام، يدل على معرفته ببلدان المسلمين و الإهتمام بشؤونهم و شجونهم و ما يههمه، فقد ذهب الكانمي إلى الحج، و أقام مدة في المدينة المنورة، و في مصر و فاس و غيرها من الحواضر الإسلامية.

و من الملاحظ أن هذه المراسلات بين الشيخين أدت بالتدرج نحو الصلح، و قد أرسل الشيخ عثمان رسالة للشيخ الكانمي، و هذا مقتطف من نصها: "... فنطلبوا منكم أن تأمروا أمير برنو و قومه أن يتوبوا إلى الله و يتبرئوا من كل عادة رديئة مخالفة للشريعة ليتفق هو و مجاوره من الجماعة على طريق واحدة، فيوضع القتال و يثبت السلم أو يتاركونا و لا يتعرضوا لنا فيكون الإصلاح و السلم بينه و بين الجماعة وعهود و موثيق يتوافقون عليها و يتراضون، فيوضع القتال عما بيننا و بينهم، و إن آثروا الطريقة الأخرى و رغبوا في بقائهم على حالتهم الأولى فلا يسعك المقام معهم و معاونتهم..."⁽²⁾

(1) محمد بلو: المصدر السابق، ص 157.

(2) محمد صالح أيوب: المرجع السابق، ص 283.

و لكن الشيخ الكانمي في الوقت نفسه الذي أخذ فيه بوصية الشيخ بن فودي في نهى أمير برنو لتجاوز العادات المذمومة، فإنه تمسك بالبقاء في كانم و برنو، بل إنه لما رأى الطبقة الحاكمة لا تمسك بمقاليد الأمور كما يجب حزم أمره و تولى أمر قيادة كانم و برنو بنفسه⁽¹⁾، و كان لهذا الموقف أثره الكبير في استقرار العلاقة بين كانم و برنو و حركة الشيخ عثمان دان فوديو في بلاد الهوسا.

و الملاحظ على مراسلات الشيخ الكانمي و الشيخ دان فوديو، أن رسائل الشيخ الأمين الكانمي تمتاز باللين و الرفق و السير في القضايا سير الفقهاء، بينما يسير في هذه القضايا الشيخ عثمان سير المجتهدين أو المحدثين، فيكثر من الاستدلال بالآيات و الأحاديث و الحكم المأثورة عن رجال التصرف، و يبدو أن هذا الأسلوب لم يرضي الشيخ الكانمي، إذ حمل على الشيخ عثمان و انتقده نقد الأذى و رماه بأنه من يخالف فعله قوله و أنه ممن يميلون الآيات و الأحاديث و كما يريدون لا كما يريد الشارع.⁽²⁾

إن الحوار في هذه المراسلات كان يتسم بالحدة في كثير من جوانبه، فإذا نظرنا إلى الكانمي يبدأ رسالته الأولى بقوله: " السلام على من اتبع الهدى"⁽³⁾، و لا يقول: "السلام عليكم و رحمة الله"، كما هي العادة في مخاطبة الإخوة ف الدين، و يقول محمد بلو بعد إتهام الكانمي بالتعصب و الحمية الجاهلية: لولا قال المولى- جل و علا- " و إذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها"⁽⁴⁾، و ما قاله الرسول لمصطفى (إن للكتاب حق رد الجواب كرد السلام)، لما جاوبناه ببنت شفاء، بل نخليه بينه و بين أمثاله يتصالون، كما قال القائل:

(1) محمد صالح أيوب: المرجع السابق، ص 283.

(2) إبراهيم عمر إلياس: المرجع السابق، ص 7.

(3) محمد بلو: المصدر السابق، ص 153.

(4) سورة النساء: الآية 86.

فذلك كالعير لا تسعى تناظره دع الحمير على أمثالها تصل.⁽¹⁾

و هذا يعكس مرارة الصراع و قساوته.

كانت المراسلات كلها بالعربية و سجلت بالعربية، فهي وثائق مهمة تضاف إلى غيرها من الوثائق، و أنها لم تقتصر على النثر فقط، بل رصعت بالشعر سواء اقتباسا من الآخرين أو من شعر صاحب الرسالة نفسه.

و إن كان كل من الكامي و ابن فودي عالما و ملكا، كان لمراسلاتها أثرها في التعليم و نشر الثقافة الإسلامية و اللغة العربية و الدعوة و الإصلاح، بتصحيح المفاهيم و الرد على التهم و المناقشة بالبرهان و الاستدلال باكتتاب و السنة و أقوال العلماء⁽²⁾، فهي تمثل نموذج في العلاقات السياسية و الثقافية التي كانت بني الكامي و ابن فودي.

2. علاقة سكوتو بفوتاتورو (بلاد التكرور)⁽³⁾:

ولد الحاج عمر بن سعيد الفولاني عام 1211هـ/1797م في قرية حلو Holwa على الحدود السنغالية الموريتانية، و كان والده من كبار علماء الدعوة في حوض السنغال فنشأ عمر نشأة دينية و علمية حفظ فيها القرآن الكريم، و درس اللغة العربية و التفسير و الحديث و غيرها من العلوم.⁽⁴⁾

(1) محمد بلو: المصدر السابق، ص 157.

(2) هارون المهدي ميغا: المرجع السابق، ص 96.

(3) و تسمى أيضا في المصادر العربية بلاد التكرور، تقع منطقة فوتاتورو، و في الشمال الشرقي لنهر السنغال فيما بين صحراء موريتانيا و منحدرات منطقة سينغامبيا على بعد حوالي مئة ميل شمال المحيط الأطلسي، و يتألف سكانها من التكرور و الفلان و هم الاغلبية و سونينكي و الولوف بعض الأقليات الأخرى و أغلب سمانها من المسلمين، أنظر: عثمان بريما باري: المرجع السابق، ص 158.

(4) يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م، المرجع السابق ص 165.

و في عام 1240هـ/1820م، ذهب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مارا بـ "سكوتو" و "برنو"، ووصل الحاج عمر إلى بلاد الحجاز في بداية 1828م و التقى هناك بالشيخ محمد الغالي و تبادلوا الحديث في مختلف الجوانب العلمية و الدينية، و أعجب الشيخ محمد الغالي بعلم وفقه عمر و أخلاقه و شجاعته، و قدم له الشيخ محمد الغالي كتاب "جواهر المعاني" الذي كان من تأليف الشيخ أحمد التيجاني⁽¹⁾، و كلفه بدراسة محتواه⁽²⁾، و من ثم فقد تعمقت معارف الحاج عمر بالتيجاني و على إثرها عينه شيخه محمد الغالي خليفة للطريقة التيجاني بالسودان الغربي.⁽³⁾

و قد تأثر عمر تال بالشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية، و قابل أثناء رحلته خلفاء الشيخ، و أقام في سكوتو مدة ستة أشهر اطلع خلالها على منجزات الشيخ عثمان و أبنائه، و قد تزوج في سكوتو بابنة أمير المؤمنين محمد بلو ثم توجه إلى الحج عن طريق "قزان" و "ليبيا" و "مصر"، و مكث مدة أربع سنوات في الحجاز عاد بعدها إلى بلاده عن طريق "برنو" ثم "سكوتو" و أقام بها ثمان سنوات⁽⁴⁾.

استفاد الحاج عمر من علاقة المصاهرة التي ربطته بإمارة دان فوديو، حيث أن الشيخ محمد بلو عهد إليه قيادة بعض الحروب و كان ظافرا فيها جميعا، و كانت تلك المرحلة أخصب مراحل حياته لتأثيرها في تكوينه و إعداده القيادي، و توثيق العلاقات الاجتماعية بينة و بين سكوتو، حيث ربطته علاقة مصاهرة مع محمد بلو، و يبدو أنه أمدّه بالمال الكافي للشروع في

(1) أحمد التيجاني: هو أبو العباس أحمد بن محمد ولد سنة 1150هـ/1737م، بقرية عين ماضي بولاية الأغواط بالجزائر، مؤسس الطريقة الصوفية التيجانية، أنظر علي حرازم: جواهر المعاني بلوغ الأمانى في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، 1977، ج2، ص ص 22-23.

(2) عثمان برايما باري : المرجع السابق، ص 190.

(3) محمود شقرون: الإسلام الاسود، دار الطليعة للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 2007، ص 53.

(4) نورة بنت معجب الجامد: المرجع السابق، ص 43.

دعوته بلاد فوتاتو تورو⁽¹⁾. كما أحاطت محمد بلو بعناية خاصة، و قد أطلعته على أسرار دولته، و جعله يكتسب خبرة عالية سواء في الميدان العسكري أو السياسي، و لقد تمكن من الاطلاع على الإنتاج العلمي لإبن فودي و أخوه عبد الله في أمور الشرع و السياسة و الحكم، و يبدو أن هذا راجع إلى أن الحاج عمر، كان يحلم بدوره في تأسيس خلافة إسلامية على شاكلة خلافة سكو، تمتد من مرتفعات أداموا إلى مرتفعات فوتاجالون و فوتاتورو.⁽²⁾

شجب الشيخ عمر تال غفلة ملوك المسلمين المحليين و توأطأهم مع المستعمر الفرنسي في اضطهاد إخوانهم و التآمر على الإسلام، و كان هذا العنصر من المرتكزات التي ركز عليها الشيخ عمر تال في تنظيراته، و حثه المسلمين للخروج للهجرة⁽³⁾، حيث ذهب الشيخ عمر إلى وجوب الهجرة و قسمها إلى: بلاد الإسلام (تجنب الهجرة إليها)، بلاد الكفار (تجنب الهجرة منها)، و بلاد الإسلام يظهر فيها المنكر جهارا (تجنب الهجرة منها بشرط عجز المسلمين عن التغيير فيها).⁽⁴⁾

تجدر الإشارة إلى أن عمر تال في هذا كله لم يكن مبتدعا في موقفه و رؤيته عن الهجرة ببلاد السودان، و إنما كان متبعا للشيخ عثمان دان فوديو تنظيرا و تطبيقا.

و قد ركز الحاج جهوده على نصرة الإسلام و محاربة الوثنيين، و أسس إمبراطورية التوكولور "Tukolor" (التكرور) في السودان الغربي، وواجه تحديات كثيرة داخلية و خارجية، حيث كان الفرنسيون يعملون الفرنسية⁽⁵⁾، ووقعت بين القوتين معارك غير متكافئة، انتهت

(1) آدم بمبا: الهجرة في واقع الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، مجلة قراءات إفريقية، العدد 07، الرياض، السعودية، 2011، ص ص 27-28.

(2) بهيجة الشادلي: المرجع السابق، ص ص 308-309.

(3) TYAM : la vie d'EL Hajj Omar qacida en poular, paris institut d'Ethnologiers,P109.

(4) آدم بنما: المرجع السابق، ص 29.

(5) نورة بنت معجب الحامد: المرجع السابق، ص 44.

بانتصار القوات الفرنسية التي احتلت البلاد و قضت على الحكومة الإسلامية فيها، و شردت العلماء و الحكام، و كان ذلك عام 1294هـ/1878م.⁽¹⁾

3. علاقة سكوتو بماسينا:

ولد أحمد لوبو حوالي سنة 1776م، في منطقة ملنجل Malangel بما سينا Macina، من أسرة فقيرة متدنية، أخذت الورد القادري عن طريق الكونتيين⁽²⁾، و اشتهرت بالعلم و الصلاح، و بعد أن أخذ العلم عن والده رحل إلى جيني ليتمتع تعلمه، و يذكر فيج (جون دانيل) أنه من المحتمل أن يكون التحق بالشيخ عثمان و ساعده في المراحل الأولى لحركته⁽³⁾، و كان عضوا في جماعة الشيخ دان فوديو.

و كانت علاقة الشيخ أحمد و لوبو بسكوتو قوية، حيث أنه حكم ماسينا نيابة عن الشيخ عثمان -الذي كانت تتبع تلك الإمارة سلطانه- و نجد أن أحمد لوبو قد اشترك اشتراكا فعالا في الجهاد الذي قام به ابن فودي، و قد سلمه الراية التي ينبغي نصبها على رؤوس جيش أنصاره من المجاهدين و كان الشيخ أحمد و يرأسل عبد الله بن فودي، يستفتيه في وضع حكم علماء ما سن (ماسينا) الذين كانوا يعارضون جهاده⁽⁴⁾، و لكن بعد وفاة الشيخ عثمان انفراد أحمد و لوبو

(1) أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص116.

(2) Person (Yves) : DU Soudan nigérien à la cote atlantique, in histoire générale de l'Afrique noire, G.A.N, de 1700 à, nos jours, paris, 1971,P95.

(3) فيج جي دي: المرجع السابق، ص 297.

(4) عزيز بطران: المرجع السابق، ص 614.

بالسلطة في ما سينا معتذرا الخلفاء الشيخ عثمان بتباعد الأماكن و صعوبة التواصل⁽¹⁾، و قد اقره خلفاء الشيخ على ذلك و لم يعارضوه، في حين استمر الشيخ احمد و في حكم ماسينا متأثرا بدعوة الشيخ عثمان في إقامة دولة إسلامية.⁽²⁾

و يلاحظ أن هناك تضارب في الآراء بين المؤرخين في قشية مشاركة الشيخ أحمد و لوبو للجهاد جنبا إلى جنب مع الشيخ دان فوديو، فلو نظرنا إلى عام ابتداء جهاد الشيخ أحمد و 1818م، نجد أنه كان بعد وفاة الشيخ عثمان 1817م بسنة⁽³⁾، مما يدل على أن جهاده و مراسلته كانت في محمد بلو ابن الشيخ عثمان، و هذا الراجح حسب المصادر المطلع عليها، التي لم تذكر أحمد و لوبو أثناء سردها لحركة عثمان بن فودي⁽⁴⁾، و خاصة المصادر المحلية، كإنفاق الميسور لمحمد و مؤلفات عبد الله بن فودين لم نجد للشيخ أحمد و لوبو ذكرا، و هو ما يؤكد الفكرة القائلة، بأنه لم يشارك في الجهاد مع الشيخ عثمان و لكنه كان يتبعه روحيا.

تأسست ماسينا بيد الشيخ أحمد و لوبو و بقيت تحت أسرته (1818-1893م)، و عاشتها " حمد الله"، و من أهم مدنها "جني، ماسينا، تمبكتو، سيغو"⁽⁵⁾، و غيرها، و قد تتأثر أحمد و لوبو بنظام إلى جانبه مجلسا استشاريا من العلماء، كما أنشأ المدارس لتحفيظ القرآن⁽⁶⁾. و أعلى الجهاد على الثنبيين و منع شرب الخمر⁽⁷⁾، و من مظاهر التدعيم الأرض من سكوتو لأحمد و لوبو، تم إرسال مجموعة من الكتب في الشريعة الإسلامية و نظم الحكم و سلوك

(1) نورة بنت معجب الحامد: المرجع السابق، ص 42.

(2) أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص 114.

(3) علي يعقوب: حياة الشيخ أحمد حمدي لوبو و دولته الإسلامية في ماسينا، مجلة قراءات إفريقية، العدد 8، الرياض، السعودية، 2011، ص 6.

(4) المرجع نفسه، ص 7.

(5) محمد جوف البرني: تاريخ المدارس القرآنية بغرب إفريقيا، مكتبة محمد جوف، السنغال، 1998، ص 99.

(6) شوقي عطا الله الجمل: الأزهر و دوره السياسي و الحضاري في إفريقيا، المرجع السابق، ص 121-122.

(7) إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 46.

الأمرء، و أخرى تتضمن تعاليم تتعلق بالعدالة و تفسير القرآن، و تعهد الشيخ أحمد و بالولاء للشيخ دان فوديو⁽¹⁾.

ابتداء من عام 1827م، اتسع جولة ماسينا حتى وصلت إلى أقصى تمبكتو⁽²⁾، فانتشر الإسلام في المنطقة و انتعشت البلاد اقتصاديا و ثقافيا و اجتماعيا، و توافد التجار و الطلاب على منطقة ماسينا حتى وفاة الشيخ أحمد و لوبو عام 1259هـ/1844م.⁽³⁾

4. علاقة سكوتو بالطوارق:⁽⁴⁾

لما انتشر الإسلام في شمال إفريقيا ووصل إلى إفريقيا جنوب الصحراء، كان الطوارق اول من حمل لواء الإسلام في المنطقة و عمل على نشره إلى جانب جيرانهم في المنطقة، و تجلى ذلك بقوة إبان قيام دولة المرابطين، التي كانت لهم المكانة المرموقة في صفوف قيادتها العليا بمستوياتها المختلفة الروحية و السياسية، و عدا ذلك لم يعرف الطوارق قيان كيان سياسي موحد يرقى إلى مستوى الدولة المستقلة التي تتمتع بمقومات و الاستمرارية وسط محيط سياسي يموج بالتقلبات و التغيرات⁽⁵⁾، و يعد الطوارق هم الوحيدون - كما يصفهم الباحث ألبرتو باثكت - فيكيروا "Albert battait fikirawa" - بين كل الشعوب الإسلامية الذين مازالوا يتبعون بوفاء تعليمات محمد - صلى الله عليه و سلم - معلنين المساواة بين الجنسين، و نساؤهم ليس

(1) بهيجة الشاذلي: المرجع السابق، ص 311.

(2) فيج جي دي: المرجع السابق، ص 298.

(3) يحيي بوعزيز: تاريخ افريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م، المرجع السابق، ص 154.

(4) الطوارق: جمع الكلمة (التارقي) المفردة، ذلك لأن العرب أطلقوا عليهم اسم " التوارق" نسبة لقبيلة "تارغا" إحدى قبائل البربر القاطنة في الصحراء الممتدة من المحيط الأطلسي إلى غدامس، و قد حرف العرب الاسم (التوارك) ليسهل عليهم النطق به إلى اسم الطوارق، أنظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر

الناصري و محمد الناهري، دار المتاب و التوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ج2، ص 4.

(5) أكناتة ولد النقرة: الطوارق من الهوية إلى القضية، طوب بريش للنشر و التوزيع، الرباط، المغرب، 2014، ص 55.

فقط لا يحجبين وجوههن-بحجاب خلاف الرجال إنما يتمتعن أيضا بحرية مطلقة لحظة الزواج.⁽¹⁾

ظهرت بعض الحواضر الطارقية و الكيانات القبلية المسماة بالسلطنات بحكم ذاتي مستقل مثل: سلطنة تمزقدا و تقرقرت و آبير و الهقار و تنبكتو و تادمكة و غيرها، تخللته علاقات مع سكوتو من أيام جهتد الشيخ دان فوديو الذي أبرم إتفاقية السلام و الأمان مع الطوارق و هذا ما وضعه في كتابه: " الوصية الرضية من الراعي إلى الرعية (نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان)" بقوله: " وكان جيشنا إذا سار أخذ أموال أهل غوبير مع أموال الطوارق، قمنا لرد لذلك بأن كل ما أخذ من أموالهم قبل القاطوا لا يرد لهم، لكونهم في بلد الحرب حينئذ، و مال بلد الحرب له وجه في الشرع، و لو كان لمن حقق أنه معلم، كما أفقي به الأجهوري، و ابن رشد و أصبغ و للمتأخرين خلاف في استباحة أموالهم، على أن حكمها حكم الدار، و احترامها بحرية الإسلام، و الأول هو الصحيح".⁽²⁾

لكن بعد وفاة الشيخ المؤسس دان فوديو، كانت العلاقات مع الطوارق غامضة بقدر ما كان الموقف السياسي مائعان فتحكم طبقة من النبلاء من عشائر الطوارق أفضى إلى عدم قيام نظام موحد، و لم ينجح خلفاء سكوتو في تكوين بطانة من الطوارق يضمنون بها خضوع المنطقة.

بيد أن العلاقات مع شيوخ كونتا في تمكتو Tumbokto كانت ودية، و لما كان علماء سكوتو مركز الثقل الإسلامي الرئيسي في غرب إفريقيا، كان لديهم ميل إلى التطلع في اتجاه بورنو borno و كانوا يتبادلون القصائد و المدائح من الكونتا، كما كان الكونتا في تمبكتو معقلا و

(1) ألبرتو باتكث - فيكيروا: طوارق، ترجمة عبدو زغبور، ورد للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سوريا، 2004، ص 6.

(2) عثمان بن فودي: نجم الإخوان، المصدر السابق، ص 125.

ملاذا للمتشردين من أتباع الطريقة القادرية في أثناء النزاع و الخلاف الذي نشأ بسبب التيجانية.⁽¹⁾

5. علاقة سكوتو باقرمي BAGURMI:⁽²⁾

انطلاقاً من موقعها الجغرافي الذي يمثل نقطة التقاء ثقافي، فقد سعى الشيخ عثمان إلى أن تكون له صلة و علاقة قوية و تأثير ملحوظ فيها، فعمل على استمالة جماعة الفولاني في باقرمي، و في هذه الاستراتيجية استفاد الشيخ من السيرة الحسنة لبعض علماء الفولاني الذين عاشوا في باقرمي، كالشيخ "وليد الباقرمي" و الذي كان له تأثير روحي عظيم على جماعته و كان متأثراً بالشيخ بن فودي كثيراً، و بذلك أصبح الشيخ موضع قدم و نفوذ و أتباع كثيرين في المنطقة.⁽³⁾

و أهم تأثير لدان فوديو على باقرمي، يتمثل في توجيه علمائها لتقنية العلوم الإسلامية من علم النجوم و الحروف، فقد تواتر لدى الشيخ عثمان، أن قراء و علماء منطقة باقرمي معتنون بعلم النجوم و الحروف و مستغرقون في طلبها، حريصون على ذلك حتى هجروا علم الكتاب و السنة و الشريعة أصلاً و رغبة في الدنيا، فأصدر الشيخ عثمان توجيهاته إليهم في أبيات شريعة، قال فيها:

من عسيري من أناس نجموا أفسدوا الدين و ابدو كل ضر

(1) عزيز بطران: المرجع السابق، ص 642.

(2) تقع مملكة باقرمي في الجنوب الشرقي من بحيرة تشاد و عاصمتها مدينة ماسينا التي أسسها السلطان برني سيس حوالي عام 1513م و هو أول سلطان لهذه المملكة و كان وثيقاً، بينما أول سلطان معلم كا السلطان عبد الله بن مالو (1561-1602م) و قد وُعد أركان الإسلام في المملكة، أنظر: إبراهيم صالح الحسيني القوي: تاريخ الإسلام و حياة العرب في إمبراطورية كانم و برنو، مطبعة مصطفى الباب الحلبي و أولاده، القاهرة، مصر، 1876م، ص 55.

(3) محمد صالح أيوب: المرجع السابق، ص 284.

تركوا علم الكتاب المنزل
و حديثا جاء به هادي البشر
و علوم الشرع و الفقه التي
تنفع المرء و تحميه الخطر
صرفوا الهم على مكسبهم
لحطام زابل لا يستقر.⁽¹⁾

و في الواقع هذه الدعوة في الابتعاد عن التخميم التي وجهها الشيخ إلى أهالي و علماء باقرمي، تمثل إحدى الركائز الأساسية لدعوة التجديد التي قادها الشيخ، وقد تأثرت على علماء منطقة غرب إفريقيا عموما و منطقة حوض تشاد بشكل خاص، حيث اتجه العلماء نحو علوم الشرع و السنة الصحيحة بعيدا بهذا الاتجاه و دعموه، أهمهم: الشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي و الشيخ وليد.⁽²⁾

6. علاقة سكوتو بوادي WADAI:⁽³⁾

تعتبر مملكة وادي من أبعد السلطنات على نفوذ سكوتو، إلا أن التأثير الروحي و الفكري للشيخ دان فوديو قد سبق إليها، حيث كان ذلك جليا في طريقة التعليم و التعلم التي سار عليها معظم علماء سلطنة وادي، و ذلك بعد التوجيهات التي صدرت في شكل كتب و رسائل عن الشيخ دان فوديون ووصلت إلى علماء هذه المنطقة و تأثروا بها في كتابهم و حواراتهم الفكرية، و قد أورد الشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي في مخطوط واحد أكثر من ثلاث كتب للشيخ عثمان و أخيه عبد الله بن فودي.⁽⁴⁾

(1) محمد صالح أيوب: المرجع السابق، ص 285.

(2) المرجع نفسه: ص 286.

(3) تعد وادي إحدى المناطق المكونة للأقاليم الشرقية لتشاد الحالية، سيطرة أسرة النتجر على الحكم حتى أوائل القرن 17م، حيث تمكن الداعية عبد الكريم بن جامع من انتزاع الحكم من الأسرة التجراوية و إقامة مملكة إسلامية بمعاونة القبائل العربية، و كانت عاصمتها وعرة(وارا). أنظر: إبراهيم صالح الحسيني النوي، المرجع السابق، ص 51.

(4) محمد صالح أيوب: المرجع السابق، ص 287.

وصلت افكار الشيخ عثمان و أخيه عبد الله و ابنه محمد بلو إلى منطقة وادي مشبعة بالصراع الفكري و السياسي و مختلف الآراء الفقهية، فتبنى علماء وادي هذه الأفكار و أنلواها إلى أرض الواقع، باعتبارها خلاصة الفكر الإسلامي في الموضوعات التي تطرقت إليها⁽¹⁾، و هذا ما جعلها مقبولة لدى العامة و مرجعية أساسية لدى الخاصة.

1-2: العلاقات الخارجية

لقد كان الدعوة دان فوديو و إمارته الحديثة أثرا عظيما ليس في السودان الغربي فقط بل تعداه إلى أقاليم أخرى و تأثر بفكره و دعوته العديد من الزعماء و العلماء، و لعل أهم نموذجيين يمكن الرجوع إليها في هذه الدراسة، هو تأثير سلطان المغرب المولى سليمان بحركة دان فوديو الإصلاحية و د تواصل معه و أرسل إليه الرسائل و الهدايا، و النموذج الثاني هو في الحقيقة ذلك الامتداد الفكري و الروحي لعجوة دان فودي و التي سيتبناها أتباعه بعد وفاته لسنوات و يقومون بتنفيذ وصاياه و أفكاره، و يتمثل ذلك في الهجرة إلى السودان واد لنيل و نصره محمد المهدي.

1. علاقة سكوتو بالمغرب الأقصى:

يعتبر تاريخ المغرب في العهد العلوي من اهم الفترات و أصعبها، حيث كرس سلاطين البيت العلوي جهودهم في وضع أسس و دعائم و توحيد البلاد و حمايتها و الدفاع عنها و تقويتها و ضمان استمرارية المملكة المغربية، و من أبرز العلويين الذي حكم المغرب في نهاية

(1) محمد صالح أيوب: المرجع السابق، ص 287.

القرن 18م و بداية القرن 19م، السلطان المصلح سليمان محمد بن عبد الله⁽¹⁾ بن إسماعيل⁽²⁾ المولود سنة 1180هـ/1767م بسجلماسة⁽³⁾، لقبه جده السلطان عبد الله بأبو الربيع، أمه حرة و هي علا الحلانية، كان متوسط القامة أبيض البشرة⁽⁴⁾، نشأ حريصاً على إرضاء الله و رسوله، محباً للعلم و عرف عليه تعظيمه لشأن العلماء سواء في المغرب أو في الأقطار الإسلامية الأخرى، كما أشتهر بسيابته الإصلاحية و محاربه البدع، و قد إنتهت أخبار حروة الشيخ عثمان بن فودي و جهاده إليه، فسارع بالكتابة إلى الشيخ عثمان معرباً عن إعجابه بدعوته و مفصلاً عن محبته له.

أما فيما يخص علاقة المغرب بخلافة سكوتو، فكانت ودية محمد بلو في إنفاق الميسور رسالتان للمولى سليمان، الأولى مؤرخة بأواسط جمادى، الثاية عام 1225هـ/1810-1811م، ينوه فيها المولى سليمان. بما حققه ابن فودي من نصرة للدين الإسلامي، حيث يقول: ".. فلتعلم أنه أتى حضرتنا العلية باليد صحبة هديتك الدالة على حسن طوبيتك، كتاب منكم كريم، فتلقيناه بالتجيب و التكريم، و فتحناه فإذا هو مخبرنا عن حسن حالكم، و ما فتح الله به عليكم من بلوغ

(1) السلطان عبد الله (1121هـ/1171-1757م): هو عبد الله بن اسماعيل بن الشريف محمد علي الحسني العلوي السجلماسي من ملوك دولة الأشراف العلويين بمراكش ولد بتافيلات، وبيع له بعد وفاة أخيه أحمد سنة 1141هـ، خلع أربع مرات و عاد و انتهى أمره قرب فاس الجديدة سنة 1159هـ إلى أن مات و دفن بها. أنظر: ديقودي طوريس: تاريخ الشرفاء، ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر، مطبعة سلا للطباعة و النشر، الدار البيضاء، المغرب، (د.ت)، ص ص 235-253.

(2) السلطان اسماعيل : هو اسماعيل علي بن الشريف بن علي بن محمد، ولد سنة 1056هـ، ببيع و هو ابن 26 سنة حكم مدة 57 سنة، جعل مكناس عاصمة الدولة العلوية، تميز عهده بالقوة و الإزدهار، توفي في 1139هـ، أظر: محمد الصغير: روضية التعريف بمخافر مولانا اسماعيل بن الشريف، ط2، تحقيق: عبد الوهاب منصور، مطبعة اليفراني للنشر و التوزيع، الرباط، المغرب، 1995، ص ص 39، 46.

(3) أبو القائم بن أحمد بن علي بن ابراهيم الزباني: جمهرة التيجان و فهرسة الياقوت و اللؤلؤ و المرجان في ذكر ملوك و أشياخ السلطان المولى سليمان، تقديم و تحقيق: "عبد المجيد خيالي، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 2006، ص 245.

(4) محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي: تاريخ الدولة السعدية، تحقيق و تعليق: أحمد العماري، دار المؤثرات لطباعة و النشر، الرباط، المغرب، 1986، ص 245.

آمالكم، و مخبر عن حال الفقيه النبيه الصالح السعيد عثمان بن فودي، الذي أقام ببلادكم منار الإسلام، و أحيا سنة النبي صلى الله عليه و سلم، و أخدم البدعة و الضلالة، و هدم أهل الطغيان و الفساد و علا به الإيمان و ساد...»⁽¹⁾

أما الرسالة الثانية فهي تؤدي مؤرخة ب 18 جمادى الثانية عام 1225هـ/1810-1811م، موجهة من المولى سليمان للشيخ عثمان، يعبر فيها عن شوقه لملاقاته، و يطلب فيها من الله أن يديم دولته محفوظة محفوظة⁽²⁾، "...أخرنا بما قمت به من الأمر الواجب بالمعروف و النهي عن المنكر، الذي له نصب الرسول و الأمير و الوزير و الحاجب، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، و تزدفت عليك وفود الإسلام أمواجا، و صرت يلف شمائلك إنسان العين، من عين الإنسان.

و الناس أكيس من أن يمدحوا رجلا ما لم يروا عنده آثار إحسان.

و هذا من أعظم منح الله و أتم النعم- كما يشهد الحديث: (لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خيرا لك من حمر النعم) فالله تعالى يجازيك عم الإسلام خيرا، و يقيمكم ضميرا، و يديم دولتكم محفوظة و محفوظة، و بعين العناية ملحوظة، و في حصن الله الحرير آمنة..»⁽³⁾

تعبير الرسالتين بمثابة وثائق بالغة الأهمية، اعتبارا للمعلومات الواردة بها، و التي تدل على وحدة الرؤيا بين قادة هذه الأقطار، المغرب و بلاد الهوسا، و التي تتمثل في الرغبة في الإصلاح، و هذا يدل على أن الصحراء لم تكن حاجزا⁽⁴⁾، بل كانت تجمع بين هذه الأقطار وحدة الدين الإسلامي و وحدة الثقافة، بالإضافة طبعا للعلاقات التجارية التي كانت تربط

(1) محمد بلو: المصدر السابق، ص 197.

(2) بهيجة الشاذلي: المرجع السابق، ص ص 312-313.

(3) محمد بلو: المصدر السابق، ص 199.

(4) بهيجة الشاذلي: المرجع السابق، ص ص 314-315.

بينهما، كما أن ذكر الرسائل و تبادل الهدايا بين الطرفين، له دلالات سياسية و دبلوماسية تتم عن حسن العلاقة بين البلدين.

2. علاقة سكوتو بسودان وادي النيل:

تعد حركة الشيخ عثمان بن فودي من أهم الحركات الإصلاحية في القارة الإفريقية، لأن تأثيرها لم ينحصر على إقليم سكوتو خاصة و غرب إفريقيا عامة، بل تعداه إلى الجهة الشرقية للقارة، إذ نجد إسهامات الفولانيين بارزة في ثورة محمد أحمد المهدي (1884-1899)، من خلال مشاركتهم في جيشه و تقلدهم رتب عسكرية مهمة، و اعتماده عليهم في الإدارة و القضاء، ووصل الأمر إلى حد مصارحته لهم، و كللت جهودهم المبذولة في هذه الثورة بتقلد أحدهم-عبد الله التعايشي- منصب الخلافة المهديية بعد وفاة زعيمها، و قبل التطرق إل إسهامات أفكار بن فودي في الثورة المهديية لابد من الإشارة إلى هذه الثورة و منجزاتها:

أ. الثورة المهديية:

و في ظل الهيمنة للحكم التركي- المصري الممتد من سنة 1821م و لغاية 1885م على السودان، اعتمدت الدولة التركية- المصرية نظاما وحشيا من الضرائب الاستغلالية، قاد إلى بروز مقاومة واسعة في شمال السودان و غربه، فكانت ثورة المهدي محمد أحمد لن عبد الله في عام 1881م⁽¹⁾. والتي باتت تعرف في الأدبيات السياسية الحديثة بالثورة المهديية، فمن قام بها؟ و ماهي أهم أسبابها و أهدافها؟ و هل نجحت في تحقيق أهدافها؟

(1) توفيق المدني: تاريخ الصراعات السياسية في السودان و الصومال، منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق، سوريا، 2012، ص 22.

ولد محمد أحمد بن عبد الله في جزيرة ألبب بدنقلا في الأسبوع الثاني من شهر أغسطس عام 1814م الموافق في رجب عام 1260هـ⁽¹⁾، و تتكون الأسرة من أربعة أبناء هم : محمد، محمد أحمد، حامد، عبد الله، و بنت اسمها زينب، و تنتمي الأسرة إلى قبيلة الدناقلة و يعرفون بالأشراف إذ ينتمي نسبهم إلى الرسول صلى الله عليه و سلم⁽²⁾، كما اشتهرت هذه الأسرة بشناعة المراكب.⁽³⁾

كان محمد أحمد يشارك اخوته صناعة المراكب، و قد عرف بينهم بحدة ذكائه وسعة فهمه و صلابة رأيه، ثم بدا يتلقى مبادا علوم الدين في الخلاوي التي توفرت في الخرطوم، كما درس على التجويد و علوم الفقه و درس النحو على يد الشيخ حسين المجذوب⁽⁴⁾، و أظهر الفتى ميلا حادا للعلم، كما برزت صفاته الشخصية في ذكاء و حماسة أفردته بين أقرانه، و قد أخذ الزهد و التصوف من عند الشيخ محمد الشريف نور الدائم و قد حظي محمد أحمد بمكانة مرموقة عند مشايخه، و شيد محمد أحمد في أبا خلوة للتدريس مسجدا، فاجتمع عليه سكان الجزية و القبائل المجاورة و أخذ الناس يتناقلون أخباره في الزهد و الورع و التعبد، فلم يكن للرجل أي كرامات خارقة و إنما مسلك شخصي قويم لفت إليه الأنظار و شدها نحوه، بل و تعدت سمعته المنطقة المحيطة به.⁽⁵⁾

(1) عبد الجليل الشاطر بصيلي: معالم تاريخ وادي النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر، القاهرة، مصر، 1956، ص 196.

(2) محمد سعيد القدال : الإمام المهدي محمد أحمد بن عبد الله (1844-1885م)، دار الجيل للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1992، ص 37.

(3) المرجع نفسه: ص 37.

(4) عبد الله الطيب: الاتجاهات الحديثة في النثر العربي في السودان، القاهرة، مصر، 1956، ص 11.

(5) محمد سعيد القدال: المرجع السابق، ص 57.

و بعد عودة المهدي من الخلاوي أخذ يدعو الناس للمهدية سرا و بايعه على الطاعة خلق كثير من قبائل الأعراب النازلين حول جزيرة أبا⁽¹⁾. و قد ساعدت تلك السرية في إخفاء أمر المهدي و دعوته و هي لم تنزل في مهدها و من أجل الحفاظ على السرية و أصل محمد أحمد نشاطه الصوفي العلني، فطان يدور في المدينة بعد منتصف الليل كسابق عادته، و معه أتباعه في لباسهم الصوفي المتميز حيث كانوا يعرفون بالدرأويش⁽²⁾، فالتف الناس حوله عند سماعهم خبر وصوله، (فكان يلقي على الجموع النصائح و الإرشادات بترك الدنيا الفانية و الإقبال على الآخرة و يبكي بعين واحدة، فأحبه الخلق محبة عظيمة و لما تمكن من محبتهم أظهر أمر المهدي⁽³⁾).

أصبح الآن خلف محمد أحمد نفر من المؤمنين به من الشخصيات ذات النفوذ الديني و التجاري و الاجتماعي، فبدأ فوره نشاطا مكثفا لإعلان الدعوة المهدية، إذا قام بإرسال العديد من المنشورات لمختلف الجهات، (و إلى أحبائه في الله المؤمنين بالله و بكتابه)، الذين خاطبهم قائلا: (من العبد المغتفر إلى الله محمد المهدي...)، و كان يؤكد أن المهدي واجبة طاعته على كل مسلم، من أحبه و من كرهه⁽⁴⁾، فأرسل إلى جميع الذين عاهدوه بالطاعة منشورا ختمه بخاتم نقش عليه محمد أحمد عبد الله، قال في مطلعته بعد البسملة و الحمدلة، (... جاءني النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة و معه الخلفاء الراشدون و الأقطاب و الخضر عليه السلام وأمسك بيدي صلى الله عليه وسلم و أجلسني على كرسيه و قال لي أنت المهدي المنتظر و من

(1) إبراهيم فوزي باشا: السودان بين يدي غردون و كنشتر، (د-م-ن)، 1319هـ، ج1، ص 76.

(2) محمد سعيد القشاط: المرجع السابق، ص167.

(3) محمد سعيد القدال: المرجع السابق، ص 79.

(4) المرجع نفسه: ص ص 81-82.

شك في مهديتك فقد كفر و إن الترك كفار و هم أشد الناس كفرا لأنهم ساعون في إطفاء نور الله....(1).

فكان لابد أن تقع بعض تلك المنشورات في يد الحكومة و أعوانها، فبعث الحكمдар رؤوف باشا بمنشور إلى المهدي يستوضح فيه الأمر، فرد عليه محمد أحمد بأنه المهدي المنتظر، و عندما وصل رد المهدي أخذ الحكمдар يتحرك في حدود رؤية قاصرة في أمر الدعوة الجديدة، فقام بجمع العلماء يستوضحهم الأمر، فأشاروا بأن ما صدر عن الشيخ محمد أحمد كان في حالة غيبوبة و جذب رحماني من كثرة إمعانه في الزهد و العبادة.(2)-وأغلب الظن أن هذا الموقف أي موقف العلماء هو الذي ترك الحكمдар رؤوف باشا يتراخي في ردع دعوة محمد أحمد من البداية- فقد اكتفى بإرسال وفد من العلماء على رأسهم أبا السعود لإقناع محمد أحمد العدول عن دعوته، فأراد أبا السعود تخويف المهدي ببطش الحكومة في حالة عدم عدولة عن أمر دعوة الناس، فأجابه المهدي مخاطبا أصحابه: ' هل أنتم راضون بالموت في سبيل الله ؟' فأجابوه بعم، و ألتفت إلى أبي السعود قائلاً: (قد سمعت ما أجابوا)(3)

عندما أدرك أبو السعود أن مهمته قد فشلت، فعاد أدراجه إلى الخرطوم و لم يبق إلا المواجهة المسلحة بين الحكومة و المهدي.

نلاحظ في الحقيق أنه تضافرت مجموعة من الأساليب في قيام المهدي بثورته، فاستبداد وجود الحكام(فرض الضرائب، أخذ الممتلكات...) خلق من الاحتقان الداخلي و غليان الجبهة الاجتماعية، و كذا حب الاستقلال، فلق كانت هناك قبائل و بلاد ممتعة بالاستقلال فحرمها

(1) إبراهيم فوزي باشا: المصدر السابق، ص 77.

(2) محمد سعيد القشاط: المرجع السابق، ص 83.

(3) المرجع نفسه: ص 87.

الحكم المصري منه، كما حدث في سلطنة دارفور و مملكة على عهد الملك نمر و مملكة أمتسيه⁽¹⁾، و إذعان هؤلاء الملوك و ممالكهم كان رضوخا للقوة العسكرية المنظمة.

لم يكن يجمع قبائل السودان المتنازعة إلا جامعة الدين الإسلامي، و كان المظلومون يعتقدون أن الله - سبحانه و تعالى - لا يرضى عن الظالمين و أنه لابد مرسل إلى الاليمين رجلا تقيا مهيبا لينقذهم من ظلم الظالمين، و قد توارت الأخبار المنقولة من بعض الكتب الدينية و المتداولة من أحاديث العامة أن هناك رجلا عظيما يدعى " المهدي المنتظر " يرسله الله - سبحانه و تعالى - في لآخر الزمان لإنقاذ الأمة المحمدية و البشر كافة من الظلم، و يرشد الناس للطريق السوي و يقودهم للقضاء على الظلم و يخلصهم من الأتراك القساة.⁽²⁾ و لذلك كان زعماء الثورات السودانية قبل محمد المهدي أو بعده في حاجة إلى أدعاء المهدي⁽³⁾، حتى يتفق مع المتواتر و المعتقد و المنتظر من ظهور المهدي في أذهان العامة من الناس.

و قد نادى المهدي بالثورة على الأتراك الذين أدخلوا البدع و الضلالات على الدين الإسلامي، و كانوا يحكون بغير الشريعة الإسلامية استبدلوا بالأمر في مصر و السودان على السواء⁽⁴⁾، و قد ساعدت الظروف السياسية و الاقتصادية، وما آلت إليه الإدارة و الوسائل التي أتبع لإلغاء الرق بحد السيف إلى انتشار الحركة⁽⁵⁾، و انضمام كثيرين من المتبرعين من

(1) عبد الله حسين: السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، مصر، 2012، ج1، ص ص 216-217.

(2) شوقي عطا الله الجمل: الأزهر و دوره السياسي و الحضاري في إفريقيا، المرجع السابق، ص 113.

(3) عبد الله حسين: المرجع السابق، ص 217.

(4) HOLT.P.M : The Mahdiste state in the sudan (1881-1898), oxford university, britain,1958,p3.

(5) كان الإتجار بالرقيق في يد الأقوياء، وكان الملوك و الحكام و الأعيان و أرباب الأمر و العمد و رؤساء العشائر يستخدمون الأرقاء في منازلهم و كجنودهم، فحرمان التجار من مكاسبهم و الكبراء من شيء يعدونه من ضروريات حياتهم أدى

الأوضاع السائدة يومئذ، كما أن استخفاف الحكومة بشأن محمد أحمد المهدي في بادئ الأمر، و تخطيط الإدارة في سياستها اتجاه الحركة، و الظروف التي كانت تمر بها مصر - ساعدت كلها على أن تتطور الحركة و تنجح في تثبيت أقدامها في السودان، و تصديها للقوات النظامية و هزيمتها لهذه القوات المزودة بالأسلحة الحديثة⁽¹⁾، كما أن المهدي استطاع أن يجذب بذكائه و دهائه و خطابته و فصاحته و فراسته أعداد غفيرة من السودانيين المتحمسين و الذين كانوا مستعدين للموت تحت رايته و الفوز بالاستشهاد أو النصر.⁽²⁾

كانت المهديّة حركة دينية ثورية خالصة⁽³⁾، فقد انتقلت من مرتبة الدعوة غلى مرتبة العمل و دخلت في معرك حربية مع الحكومة، فلم يعد المهدي محتاجا للدعاية الدينية إلا في إطار الرد على رسائل العلماء⁽⁴⁾، و كان يهدف أساسا من خلال ثورته إلى تخليص البلاد من جور الحكام الأجانب و لإعادة الدين إلى ما كان عيه أيام الرسول صلى الله عليه وسلم و أيام الخلفاء الراشدين⁽⁵⁾، - وقد كانت فترة المهديّة قصيرة- و لكن بلا شك وضعت الجذور الأولى للقومية.

= إلى الغضب و الانتفاض على الذين منعوا بيع الرقيق، و عد هذا المنع ظلما، لأنهم فقدوا ركنا أساسيا في بناء حياتهم. أنظر: عبد الله حسين: المرجع السابق، ص 216.

⁽¹⁾ شوقي عطا الله الجمل: تاريخ السودان وادي النيل، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، 2000، ص 597.

⁽²⁾ R- Slatin pacha : Fer et Feu au soudan, Traduction de G. Bettex, Marnes, Editeur 26 Rue Paris, 1898, P416.

⁽³⁾ محمد عدر بشير: تاريخ الحركة الوطنية في السودان (1900-1969م)، الدراسات السودانية للكتب، السودان، 1980، ص 200.

⁽⁴⁾ محمد محبوب مالك: المقاومة الداخلية لحركة المهديّة (1881-1898م)، دار الجيل للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1987، ص 29.

⁽⁵⁾ إسماعيل أحمد ياغي: تاريخ العلم الإسلامي الحديث و المعاصر، دار المريخ للنشر و التوزيع، الرياض، السعودية، 1993، ج2، ص 52.

لقد حقق محمد أحمد المهدي مجموعة من الانتصارات الميدانية ففي 29 أيار 1882م فتك بحملة مصرية حاولت إلقاء القبض عليه، و استفحل أمره في كردفان و استلمت له عاصمتها الأبيض في 19 كانون الأول ديسمبر 1883م، ووقع بأسره ستة آلاف جندي، و استولى المهدي على دارفور، و أباد حملة (هيكس باشا) في 06-11-1883، و حملة (بيكر) في 23-12-1883 من وساعده على انتصاراته أن قوات أعدائه كانت بقيادة مرتزقة أوروبيين، و أن مصر نفسها كانت خاضعة للاحتلال البريطاني⁽¹⁾، بالإضافة إلى حماسة أتباعه الذين طانوا يهرعون إلى القتال و كل منهم طامع في الغنيمة التي تنتظر انتصارات المؤمنين، و كانت نتيجة إعلان المهدي الجهاد أن هاجر الناس جملة و كانت هجرتهم لا مثيل لها في تاريخ السودان.

نلاحظ أن المهدي محمد أحمد أراد أن يستميل الشيخ السنوسي ليزيد قوة إلى دعوته، فدعاه ليقبل وظيفة الخليفة، لكن السنوسي احتقر دعوته و ذلك لما صاحبها من عنف و سفك للدماء، فلم يستجب له و لو بالرد عليه⁽²⁾، و كان السنوسي يرى في المهدي رجلا نكيا لبقا في حديثه يريد أن يمد سلطته إلى أبعد ما يستطيع⁽³⁾، و هذا ما يناقض تماما الدعوة السنوسية في بناء مجمع على أساس مقاومة الانحرافات و تنمية موارد الدولة بالعمل، فالشيخ السنوسي يعيب و ينكر على المهدي خروجه على الحكام و سفكه لدماء المسلمين.

اعتبر المهدي نفسه في المركز الاوّل خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم و أصدر التشريعات الأحكام بصفته هذه، و المركز الثاني هو مركز كبار أعوانه: الخليفة عبد الله التعايشي الذي هو خليفة أبي بكر الصديق و الخليفة علي الحلو هو خليفة الفاروق عمر و

(1) سلاطين باشا : السيف و النار في السودان، عالم الكتب للنشر و التوزيع، أمر درمان، السودان، 1978، ص 164.

(2) شوقي عطا الله الجمل: تاريخ السودان وادي النيل، المرجع السابق، ص 111.

(3) Wingate, Major. F. R : Mahdisme and Egyptian Soudan, Macmillan and co and New york, London, Britain, 1981, P72.

ال خليفة محمد شريف و الذي هو خليفة علي الكرار، أي الخلفاء الراشدين، و كان هؤلاء في الواقع يساعدون المهدي في الشؤون العليا للدولة و الدعوة معا⁽¹⁾، و بعد فتح الخرطوم عين المهدي سبعة أمناء بمثابة وزراء على رأسهم عبد الله التعايشي، و عين في الأقاليم عمالا أمراء من بينهم عثمان دقنة في شرق السودان، و محمد الخير في بربر و حسين بك في العباددة و محمود عبد القادر في كردفان، و كان من مهام الأمير العامل جمع الزكاة و الغنائم ووضعها في بيت المال في أم درمان.⁽²⁾

لقد حققت ثورة المهدي في حياته نجاحات عديدة و على جميع الأصعدة، و ذلك يرجع أساسا لشخصية و كاريزما زعيمها محمد أحمد المهدي فقد كان فقيها تقيا نزيها و صاحب عقيدة، كسب بذلك أنصار كثيرين، بالإضافة إلى كون السودانيون ينتظرون من القديم ظهور المهدي المنقذ⁽³⁾، بمعنى وجود القابلية لفكرة المهدي المنتظرين و كذا ضعف التغطية الامنية المصرية و ذلك لشساعة مساحة السودان، أسباب أخرى كلها ساهمت في نجاح الثورة و توسع نطاقها الجغرافي في فترة زعامة الإمام محمد أحمد المهدي، الذي توفي بالجدي عام 1302هـ - 1885م⁽⁴⁾، بعد أن أرسى دعائم الطريقة المهدية التي لا تزال في السودان حتى يوم الناس هذا. خلف عبد الله التعايشي الإمام المهدي و قد التف حوله قادة المهدية⁽⁵⁾، و زكوه في البداية، و لكن ما وقع هو انخفاض الحماس الديني لدى السودانييين بعد وفاة المهدي المبكرة،

(1) محمد إبراهيم أبو سليم: بحوث و تاريخ السودان، دار الجيل للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1992، ص 46.

(2) جوزف صقر: قصة و تاريخ الحضارات العربية، اللجنة العالمية للنشر، بيروت، لبنان، 1998، ج 19، ص 96.

(3) عبد الله حسين: المرجع السابق، ص 218.

(4) محمد سعيد القشاط: المرجع السابق، ص 168.

(5) محمود شاكر: السودان، ط2، المكتب الإسلامي للنشر و التوزيع، دمشق، سوريا، 1981، ص 38.

كما أن القبائل التي كانت تسعى للحصول على مكاسبها و التي من أجلها ناصرته الدعوة، وجدت أن أمالها ذهبت أدراج الرياح فعملت على مقاومة المهديّة و الوقوف ضدها.⁽¹⁾

مما سبق يتضح جليا انه اجتمعت عدة أسباب أدت بفشل ذريع للثورة المهديّة بعد وفاة زعيمها الروحي محمد أحمد المهدي عام 1885م، فسرعان ما نشبت خلافات حادة بين الخليفة محمد شريف و ابن الحلو و الخليفة عبد الله التعايشي- و هذا الأخير أظهر ضعفا فادحا في التسيير- كذلك لا نهمل عدم رضا العالم الإسلامي و استنكاره لهذه الدعوة⁽²⁾، كما كان لإعادة هيكلة و تنظيم و تسليح الجيش المصري دورا كبيرا في القضاء على الثورة المهدي، و مهما يكن من أمر فإن الخليفة عبد الله التعايشي اظهر شجاعة نادرة، إذ أنه قاوم جيوش الاحتلال البريطاني إلى أن استشهد في معركة أم دبيكرات عام 1899م⁽³⁾، و الذي شهد عودت الاحتلال البريطاني بعد حكم وطني دام لأكثر من أربعة عشر عاما.

ب. إسهامات الفولانيين في الثورة المهديّة من خلال توجيهات الشيخ عثمان بن

فودي:

منذ القرن الرابع عشر الميلادي خرج بعض الفولاني من موطنهم الأصلي (منطقة فوتو تورو) في هجرات دورية بحثا عن الماء و المرعى لأبقارهم ذات القرون الطويلة، كان أسلاف الشيخ عثمان بن فودب ممن استقروا من قبائل الفولاني في شمال نيجيريا في منتصف

(1) محمد محجوب مالك: المرجع السابق، ص 31.

(2) عبد الله حسين: المرجع السابق، ص 219.

(3) عصمت زلفو: كرري- تحليل عسكري لمعركة أم درمان- المطبعة العسكرية، أم درمان، السودان، 1973، ص ص

القرن الخامس عشر، بينما تابعت المجموعات الأخرى هجرتها شرقا عبر بونو و وادي و دارفور، حتى بلغوا السودان وادي النيل.⁽¹⁾

لقد تواترت الروايات التاريخية مع الاستفاضة، بأن عقبة بن نافع قد اوغل في بلاد السودان و فتح بلاد التكرور وغانا، و يؤكد ذلك ما ذكره أبو عبد الله البكري من أن بني أمية قد أنفذوا جيشا في صدر الإسلام لفتح غانا⁽²⁾، و ما ذكره ابن خلدون أن سكان غانا أسلموا أول الفتح⁽³⁾. فالفلاتة بعدما اعتنقوا الإسلام قد تغيرت أنظمتهم و حياتهم الاجتماعية و تقاليدهم القومية، و كان من آثار ذلك أن زالت الفوارق العرقية و اللونية و الطبقة بينهم و بين قبائل المنطقة ممن اعتنقوا الإسلام و ممن بقوا على وثنتهم، فخالطوا جميع القبائل.⁽⁴⁾

إذا لا غرابة في اعتزاز المهدي محمد أحمد بالفولانيين و الزواج من قبيلتهم و إعطاء زوجته منهم من سائر زوجاته لقب: أم المؤمنين، و قوله صراحة في الفلاتة: (...الفلاتة رداي و إزاري شعاري و دثاري شمسي في النهار و قمري في الليالي..)، ثم جاء قول ابنه الإمام عبد الرحمان المهدي في الإشادة و الاعتزاز بالفلاتة: (... الفلاتة جنس يعتز بهم هم لنا عصب لهم بالمهدي نسب و مع الأنصار حسب..)⁽⁵⁾.

(1) Youssef Adel Hassan: som aspects of the relation shop between central- and Weston bilard AL- Sudan- Volex-doc- 1993, p183.

(2) أبو عبيد الله البكري: الصدر السابق، ص 179.

(3) أبي العباس القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص 284.

(4) عبد الله عبد الماجد إبراهيم: الغرابة- الجماعات من غرب إفريقيا و استوطنت السودان وادي النيل و دورهم في تكوين الهوية السودانية- دار الحاوي للنشر و التوزيع (د-م-ن)، 1998، ص 233.

(5) يعتقد الشيخ محمد باي بالعالم، بأن ما جاء على لسان المهدي محمد أحمد و ابنه عبد الرحمان و السيد حسين المرغني، من اعتراف بفضل و مكانة الفولانيين حيث يقول رحمه الله: "... و قوفي على الدور الذي قامت به تبليغ الفلاتة في نشر الإسلام و إقامة دولته و بعد قراءة عدة كتب...، أيقنت بأن ما أرسلوه من عبارات و تلفظوا به من كلمات في شأن الفلاتة و أوصافهم و أنهم أهل صدق و وفاء و إخلاص الدين الله إنما هو حق شهادة صدق و تقرير للواقع بعيدا عن المناورات و المزايدات السياسية

و قد كان لحركة الجهاد و الإصلاح التي تبناها الشيخ عثمان بن فودي في منطقة الهوسا (شمال نيجيريا) مع مطلع القرن التاسع عشر ميلادي أثر فكري و ترويجي لدعوة محمد أحمد المهدي في السودان وادي النيل، فقد بشرت تلك الحركة بقرب ظهور المهدي المنتظر و شجعت أتباعه⁽¹⁾، و كتب الشيخ عثمان و أخوه عبد الله و ابنه محمد بلو بضعة مؤلفات حول هذا الموضوع.

استقر إسلاف الشيخ عثمان بن فودي من الفولانيين في شمال نيجيريا خلال منتصف القرن الخامس عشر، و في عام 1804م أعلن الشيخ عثمان الجهاد على حاكم إمارة جوبير، المقاطعة التي يعيش فيها الشيخ عثمان، و كان هدفه و اخوانه محاربة الحكم الجائر الذي تقشفي المنطقة و اجنتاث الطغيان و نشر العدالة، و تطهير العقيدة الإسلامية مما لحق بها من شوائب، و نشر الإسلام بين الوثنيين، و انتظم الجهاد في باقي إمارات الهوسا السبع، و امتد إلى المناطق المجاورة، و توج هذا الجهد بتأسيس خلافة سكوتو عام 1810م.⁽²⁾

حث الشيخ الناس على ظهور المهدي، و عن ضرورة إتباعه و نصرته، و ألف في ذلك تأليف عديدة، فمنها مثلا كتاب "تنبية الأمة على قرب أشرار الساعة"، و أورد فيه أن بعض تلك الأشرار قد ظهر كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، و يقول (...مقصدا في تنبيههم على قرب هجوم تلك الأشرار حثهم على الاحتياط على أنفسهم بالتوبة قبل أن يحال بينهم و بين تدارك ما فرط منهم...)، و ذكر الشيخ عثمان عشر شروط رابعها ما ورد في خروج

= و التدابير الخزينة و عن تحريك العواطف كسبا لتأييد القبيلة، و أيقنت أيضا سعة اطلاعهم على تاريخ الشعو المجاورة للسودان و مدى أثرهم في المنطقة و استعدادهم الفطري لتقبل الأفكار و المبادئ و الدفاع عنها.. أنظر: محمد باي بالعالم: المرجع السابق، ص ص 457-458.

(1) S-Bio Baku and M-A-AL Hajj : The Soudan, Mahdia and the Niger- Chadi Region, In Islam in Tropical, I-M. Lewis, ed -OUP, london,1996, P427.

(2) يوسف فضل حسين: اثر حركة عثمان دان فوديو على دعوة المهدي في السودان وادي النيل، ندوة الجامعة الإفريقية، الخرطوم، السودان، 1995، ص 291.

المهدي⁽¹⁾ بالإضافة إلى العديد من المصنفات الأخرى، ككتاب " الخبر الهادي إلى أمور المهدي" ينحصر في بيان عشرة أمور من أموره، و كتاب ' المحذورات من علامات خروج المهدي" و يخبر فيه بعشر شروط في أمر خروجه، و كتاب "تحذير الإخوان من أدعاء المهديّة" و فيه إنكار على الذين يزعمون أن الشيخ عثمان هو المهدي و رده على الذين ادعوا المهديّة⁽²⁾، و رغم نفي ابن فودي لأتباعه ادعاهم له بأنه (المهدي المنتظر) و أنه غير مؤهل لتلك الرسالة، فإنه لم ينكر الاعتقاد السائد آنذاك من أن ظهور المهدي وشيك الحدوث، و دعا الناس إلى تأييد دعوة المهدي⁽³⁾، و ما ذكره الشيخ في كتابه " نصيحة أهل الزمان" دليل آخر على إيمانه بالإمام المهدي: (.و اعلموا أنه لا بد من خروج المهدي و لكن لا يخرج حتى تملأ الأرض جورا و ظلما فيملأها قسطا و عدلا...) ⁽⁴⁾، و قد كتب كثير من علماء الفلانة عن ظهور المهدي و على رأسهم الشيخ محمد بلو ابن الشيخ عثمان بن فودي⁽⁵⁾، فقد كان هذا

(1) يوسف فيضل حسين: المرجع السابق، ص 292.

(2) عثمان بن فودي: سوق الأمة إلى إتباع السنة، المصدر السابق، ص 15.

(3) قام الأستاذ فتحي المصري و الأستاذ محمد أحمد الحاج ببحث حول: سبب التفاوت في حماسة الشيخ بن فودي في ذكر المهدي و في ذكر الجهاد، فقالا: "... أنه في فترة ما بين 1795 و 1818م، كان الشيخ اقل تحمسا للجهاد الذي خاضعه لعدم تأكده من إحراز النصر، مما دفعه إلى الاستفادة بكل الوسائل المتاحة لضمان تحقيق النصر، و عندما شعر بعدم توفر ضمانات الأمان لمستقبل الجهاد يرسخ الاعتقاد في حتمية قرب قيام الساعة و انتهاء العالم.."، و من ناحية أخرى يصرح الاستاذ محمد أحمد الحاج بأن مصنفات الشيخ عثمان في فترة ما قبل سقوط مدينة (الكالو) التي كانت معقل أعدائه، كانت تؤكد على تمسكه بالأحاديث الدالة على التعجيل بظهور المهدي و اقتراب قيام الساعة، بينما نجد أن مؤلفاته لفترة ما بعد سقوط تلك المدينة، قد أشارت إلى الابتعاد عن محاولات تحديد وقت قيام الساعة، و ذلك نظرا لاعتزاله الحياة الترفية و اللجوء إلى التصرف و الارتقاء، عبر الاهتمام بالتنقيف الذي تثبت به الشيخ و ربطه بالنجاحات التي أحرزتها حركته الجهادية، أنظر: عثمان برايم بارى: المرجع السابق، ص ص 307-308.

(4) طاهر يوسف الوثلي و إلهام محمود الجادر: الإمبراطورية الفولانية الإسلامية و تصديدها للاحتلال البريطاني في غرب

إفريقيا، منشورات جامعة الكوفة، العراق، (د-ت-ن)، ص 25.

(5) الطيب عبد الرحيم محمد الفلاني: المرجع السابق، ص 32.

الأخير يؤمن بضرورة الجهاد مع لمهدي مؤكداً لأتباعه في الوقت نفسه بأن الجهاد لن ينتهي إلى أن يشرع المهدي في مهمته.

رسّخ الشيخ بن فودي فكرة المهدي في أذهان الناس مغرب إفريقيا، و قد كان الفكر السائد عندهم هو الاعتقاد بظهور المهدي في مكة المكرمة⁽¹⁾ أو في جهة بحر النيل (السودان الشرقي)، و تروي هذه الأخبار أن ظهوره ستسبقه فترة من الجفاف و الحروب التي ستحتاج بلاد المغرب و الجزء الغربي و الأوسط من بلاد السودان، و بناء على ذلك سيهجر سكان تلك البلاد أوطانهم و يهاجرون لمقابلة المهدي و مبايعته⁽²⁾. فانتشرت هذه النبوءات و الأخبار انتشاراً واسعاً حتى صارت عقيدة، فأفضت إلى هجرات جماعية من خلافة سكتو إلى الحجاز و وادي النيل.

لما خرجت فلول المهاجرين من خلافة سكتو متجهة نحو الشرق، كانوا يقصدون بلاداً تربطهم بها صلات اجتماعية و اقتصادية و ثقافية، فإلى تلك البلاد خرج رواد الهجرات الفولانية الأولى منذ القرن الخامس عشر الميلادي، و تعززت أكثر من مطلع التاسع عشر، و هذا ما أزعج حكام سكتو لأن ذلك يؤدي إلى نقصان في السكان و الأراضي، و كان أول الحكام تصدياً لذلك ابو بكر العتيق بن الشيخ عثمان الذي أصدر مرسوماً يعلن فيه أن وقت الهجرة لم يحن بعد، إذ أن البلاد و العباد لا يزالون ينعمون بالخير، و من جملة ما قاله⁽³⁾: (...فباعث بالرسم، إعلامكم بأن كثير من هذه الجماعة عاصروا شيخنا الوالد لكن شغلتهم الدنيا عن سؤاله عن بعض الأسرار و الأمور المستقبلية التي يحلوا لهم أن يسألوا عنها و منهم من عاصر أخانا محمد بل (بلو) فغفل أيضاً عن سؤاله... و لكن نعلمكم بشيء واحد مما أخبرنا الشيخ و هو أن جماعة الرباط الذين نصبوه هم الذين ينتقلون إلى بحر النيل و إلى بلاد الحجاز، هم

(1) عثمان بريما باري: المرجع السابق، ص 311.

(2) يوسف فضل حسين: المرجع السابق، ص 294.

(3) المرجع نفسه: ص 295.

بعينهم و ذريتهم، و هم بقية أمراء الشيخ، و فيهم نوره و بركاته، و هم يجتمعون بالغمام المهدي و يبائعونه و معهم رايات الشيخ... و مقامهم عند الله عظيم، و أما من خرج من الرباط و رجه القهقري إلى محله الأول فلا يعد فيهم لأنه نكص على عقبيه، و كذلك من بقى من أهل القرى... فلا يصل معهم إلى بحر النيل و إلى بلاد الحجاز و إلى مبايعة المهدي بل أكثرهم يتوجهون إلى بلاد المغرب فيمكنون هناك في بلاد الكفار...)

و على نفس الوتيرة نجد رسالة الأم مريم بنت الشيخ عثمان إلى أمير كانو، (...فالقصد إعلامكم بأن الذين ينتقلون من أرض الهوسا هذه يزعمون أن الهجرة منها قد آن و يزعمون أنهم على صواب... فإنهم قوم ضالون، و لا دليل لهم و لا مستند... و قد ذكر الشيخ الوالد أن نهاجر من أرض الهوسا و لم يعين ذلك الوقت... حتى أنه... بين لنا طريق الهجرة و ذكر أربعة عشر موضعا آخر النيل...)⁽¹⁾

و مع أن هذه التوجيهات لم تؤدي إلى إيقاف الهجرات المتتالية إلى الشرق، و قد استمرت طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، و لعل ما زاد تدفقها هو تنامي الفتن و الاضطرابات في خلافة سكوتو و توغل قوى الاستعمار⁽²⁾، و هذا ما اعتبره المترقبون لظهور المهدي علامات قرب موعد ظهور المهدي.

شارك الفلاتة الإمام المهدي مشاركة فعالة و يظهر ذلك في الأدوار الرئيسية و المهام الأساسية التي قام بها زعمائهم من أجل تثبيت دعائم الإمام المهدي الإسلامية، لذلك سنتعرض بإيجاز لأهم المساهمات الفولانية في الثورة المهدية.

يرجع الفضل للفولانيين أنهم أول من وقف مع المهدي و ساندته، و ذلك على ضوء اللقاء الذي تم بينه و بين أحد أبناء الفلاتة و الذي نشأ و ترعرع في أحضان أخواله من التعايشة و هو

(1) الطيب عبد الرحيم الفلاتي: المرجع السابق، ص ص 39-40.

(2) يوسف فضل حسن: المرجع السابق، ص 296.

ال خليفة عبد الله بن محمد آدم تور الشيل الذي سيكون خليفة للإمام المهدي بعد وفاته، و يعرف فيما بعد بالخليفة عبد الله التعايشي.(1)

مصاهرة الإمام المهدي للفلاتة و منحهم العديد من الامتياز افتأ عطاهم المهمة العسكرية، و ذلك بإسناد أمانة الجبخانه لأمين الفوتاوي، و إدارة بيت المال في المهديّة التي تولّاها كل من آدم الأعيسر و حامد الفيض كما هو مسجل أمام ايمهما في متحف الخليفة(2)، و سلطة القضاء التي كانت في يد علماء الفلاتة كالقاضي أحمد عمر أبو حواء و الشيخ أحمد السنوسي مداني و الشيخ أحمد قرح الدم... (3) وغيرهم من المشايخ و العلماء.

و من حملة رايات المهديّة و أمرائها، هؤلاء الرجال من قبيلة فلاتة علما أن أسماؤهم مسجلة بمتحف الخليفة عبد الله التعايشي- الموجود بمدينة أم درمان في السودان و هو تحفة أثرية تشمل على آثار و صور لحقبة من تاريخ المهديّة- و كذلك في غار الإمام المهدي غرب جزية أبا و من بينهم: المير الطيب سالم عمر، الأمير أبو الستر أبو سم، الأمير سالم الكوكاب و الشيخ ود الحاج إمام و الأمير أحمد شطة... (4)

تأمين الإمدادات من دولة سكوتو و غرب إفريقيا و التي تولّاها الشيخ حياتو بن سعيد و هو أحد أحفاد الشيخ بن فودي، فقد أشرف على نقل جميع الإمدادات العينية و البشرية إلى السودان وادي النيل(5)، رغم الظروف الصعبة و الحصار الذي فضه البريطانيون محاولة منهم للتضييق على الثورة المهديّة.

(1) مصطفى محمد سعيد: الإسلام و حركة الفلان الإصلاحية في غرب إفريقيا، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، (د - ع)،

السودان، 1986، ص ص 145-146.

(2) محمد باي بالعالم: المرجع السابق، ص ص 463-464.

(3) الطيب عبد الرحيم محمد الفلاحي: المرجع السابق، ص ص 46 - 47.

(4) عبد الله عبد الماجد إبراهيم: المرجع السابق، ص 247.

(5) الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي: المرجع السابق، ص 47.

قدم الفولانيين تضحيت جسام في سبيل نجاح الثورة المهديّة، و استشهد الكثير منهم في المعارك فمن أهم هذه المعارك نجد: واقعة شيكان التي استشهد فيها جمع غفير من أبناء الفلاتة، و موقعة كرري التي سقط فيها الكثير من الفلاتة في ساحات الوغى و نذكر من الأسماء المعروفة و التي لها ثقل في الساحة السياسية أنذاك في مدينة أم درمان: الإمام أبارو الذي عثر على جثمانه و هو قابض على سيفه المحفوظ به حتى الآن لدى أحفاده بالعباسية، و كذلك الغمام أحمد قدح العشا الملقب بقدح الدم مؤسس أول مسجد في مدينة أم درمان في حي العباسية⁽¹⁾، و في موقعة الغار الشهيرة بجزيرة أبا ليلة السابع من شهر رمضان 1301هـ الموافق ل 12-08-1881م، التي استشهد فيها اثنا عشر مجاهدا كانوا مع الإمام المهدي سبعة منهم من الفلاتة.⁽²⁾

لقد عظم دور الفلاتة الوطني عندما توجوا حماسهم للثورة المهديّة و الذي عرفوا به من السودان حتى غرب إفريقيا بحسبهم للخلاف الذي كان سيعصف بوحدة السودان و يفرق شملهم بعد موت الإمام المهدي، عندما اشتد الصراع حول لمن تؤول الخلفة من الخلفاء الأربعة، و حينها برز الشيخ عبد الله الدااري الفلاتي وواجه الأطراف المتصارعة بقوله: (من كان يعبد الغمام المهدي فإن الإمام المهدي قد مات، و من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) و أمسك بيد الخليفة عبد الله اليميني و أجلسه على كرسي الخلافة و ألبسه جبة و طاقيّة الخلافة و تمت مبايعته خليفة للمهدي.⁽³⁾

(1) محمد باي بالعالم: المرجع السابق، ص ص 467 - 468.

(2) المرجع نفسه: ص ص 465-466.

(3) الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي: المرجع السابق، ص 248.

و في الفترة ما بين 1900 إلى 1948م لعب الفلاتة أجوارا بارزة في دفع حركة المقاومة الوطنية و تصعيدها و تنظيمها ضد المستعمر البريطاني، و من شواهدنا على سبيل المثال و ليس الحصر:

✓ انتفاضة عطبرة سنة 1914م بقيادة العالم أبو بكر الفلاتي قاتل فيها الكولونيل بيل كوربييه.

✓ معركة قدير بقيادة العال أحمد دمي الفلاتي عام 1915م.

✓ حركة الفكي محمد نور عيسى الفلاتي في أم درمان، و قد تم القبض عليه بعد مقاومة عنيفة و نفي إلى واد حلفاء سنة 1916م.⁽¹⁾

و لم تقتصر إسهامات الفلاتة في الجوانب السياسية و الإدارية و العسكرية و المالية فقط، بل امتدت حتى إلى الجوانب الفكرية و الدينية فقد ظهر ثلة من العلماء الربانيون سعوا إلى إرساء قواعد الوعي اديني و التمكين للعقيدة الإسلامية و تصحيح الكثير ممن المفاهيم المنحرفة في أذهان العامة، و من أبرز هؤلاء العلماء: الشيخ و- محمد أبو زمام و الشيخ علي البليل و الشيخ محمد الثاني.⁽²⁾

و مما تقدم، فيلخص الدراس إلى الاستنتاجات التالية:

وأن الحركة الإمام المهدي و حركة الشيخ عثمان بن فودي يشتركان في كونهما استقتا الكثير من تعاليمهما من الكتاب و السنة بالإضافة إلى التصرف و أدبيته، لذا سهل التواصل الفكري بين الفلاتة أتباع الشيخ عثمان بن فودي و الإمام المهدي و أنصاره.

(1) الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي: المرجع السابق، ص 249.

(2) المرجع نفسه: ص 252.

كان دور الشيخ عثمان بن فودي حاسما في الهجرات الكبرى التي قام بها الفلاتة، إذ جعلوا من وصاياه و آرائه في موضوع المهديّة مرجعية دينية و قانونية في تنقلهم نحو الشرق لنصرة المهدي، و هذا ما يفسر لنا تلك الهالة من التقديس التي يكنها الفولانيين لشيخهم حتى وضعوه في مرتبة المهدي المنتظر رغم استنكار شيخهم لذلك.

إسهامات الفلاتة في كل مجالات الدولة المهديّة كانت واضحة و ملموسة سواء في المجال العسكري أو الإداري أو السياسي أو المالي و حتى الديني و الثقافي، و خير دليل على ذلك تلك الآثار و الصور و الكتابات التي مازالت إلى يومنا هذا في متحف الخليفة عبد الله التعايشي بمدينة أم درمان، و التي توضح الكثير من أسماء الفلاتة الذين شاركوا في الثورة المهديّة.

حقّق المهدي سلسلة انتصارات كبيرة على الأرض، لكن لم تستمر الوتيرة على نفس هذا الرتم من الانتصارات فبوفاته عام 1885م بدأ الضعف يظهر جليا في الدولة التي أسسها بسواعد الكثير من الفلاتة الصادقين، حيث أن الخلاف الذي كان بين الخلفاء و انسحاب الكثير من القبائل السودانية و التدخل الامبريالي البريطاني في السودان كلها أدت إلى إنهاك الدولة و القضاء عليها سنة 1899م.

2- وفاة الشيخ بن فودي و آثاره الفكرية:

ساعدت دعوة الجهاد التي قام بها الشيخ عثمان بن فودي على إحياء مجد الدولة الإسلامية في ذلك الجزء من القارة الإفريقية، حيث أنشأ الشيخ في دولته مناصب لها بعد عربي

مثل: الوزير و القاضي و المحتسب و الوالي و غيرها من الألقاب التي شاعت في صدر الدولة الإسلامية أيام الخلفاء الراشدين و الأمويين و العباسيين، فأحدث ذلك إحياء الخلافة الإسلامية في غرب إفريقيا.

و لعل هذه الدراسة ركزت على إمارة دان فوديو في ظل حياته باعتباره المؤسس و لم تتجاوزها كثيرا احتراما للإطار الزمني لموضوع الدراسة (1804-1817م) و قد وقفنا على هذا الزخم الحضاري الكبير لدان فوديو و أسرتهن لذا سنتناول وفاة الشيخ المؤسس عثمان بن فودي و أهم ما تركه لنا من مؤلفات و تصانيف لازالت تترخر بها مكاتب نيجيريا، و كذا سنقف عند أهم أرائه في قضايا عصره.

2-1 وفاة الشيخ عثمان بن فودي:

بعد أن أسس الشيخ عثمان دولته، و وضع لها نظاما إداريا دقيقا، خاضعا للنظم الإسلامية السليمة، و جعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة، ثم رأى أن الأليق به حلقات العلم و الدرس التي اشتاقت نفسه لها، فخرج من معترك السياسة في 1809م⁽¹⁾، وسلم زمام القيادة لوزيريه: ابنه محمد بلو الذي ولاه على البلاد الشرقية، و أخوه عبد الله الذي ولاه على البلاد الغربية، و بذلك كان عبد الله أول أمير فولاني على غواند Guwandai⁽²⁾، و أمرها بإقامة العدل بين الناس و إخلاص النية و صدق العزم، و فزع نفسه للتدريس و الوعظ و التأليف، و استمر الأمر كذلك علم و عمل و إخلاص و عدل⁽³⁾، فكان الشيخ عثمان رجل دين لهم يهتم بوجه عام بالسياسة العملية، فاضطره ذلك و بطريقة مباشرة إلى ترك الجهاد⁽⁴⁾.

(1) عبد الوهاب الكيالي: الموسوعة السياسية، مؤسسة الدراسات العربية، مصر، (د-ت)، ج4، ص 15.

(2) عبد العظيم الأيطل: المرجع السابق، ص15.

(3) عبد العظيم محمد الأجلط: المرجع السابق، ص 15.

(4) فيج-جي-دي: المرجع السابق، ص 290.

وصف السيد دانيل Danil أحد الإداريين المستعمرين في بلاد الفولاني الشيخ بن فودي قال: " عاش الشيخ خاتمة أعمال حياته، وجد الإسلام تحت النير فارتفع به إلى عليين، و بعد أن كان الفولاني قطيعا من البدو أصبحوا الطبقة الحاكمة في إمارات الهوسا، و كان رجلا مخلصا للعقيدة ذا إيمان ديني عميق و ثقته في الدعوة الإلاهية لا حد لها و شخصيته تبعث الحياة في أنصاره في ثقته في نفسه، و عاداته البسيطة في حياته الزاهرة، خلفت تضاربا عميقا مع الضخامة البربرية التي تأثر بها الحكام الوثنيون، و هو و أن لم يكن جنديا فهو يغزو نجاحه إلى الله.(1)

ما كان الشيخ عثمان بن فودي يهيب نفسه لملك أو سلطان، و لكنه نذر نفسه و بوضوح من أول أيامه للعلم و التعليم(2)، و نقل عن محمد بلو، قوله: " و لم يكن في مبدأ أمره إلا داعية من دعاة الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلا، غير أن عدم صبر أعدائه من الحكام و السلاطين الطغاة الذين كرهوا أمره، بل عرفوا أن ارتفاع أمره يعني إضلال أمرهم تماما، كما صنعت قريش مع النبي صلى الله عليه وسلم، بل كما صنع الملأ من المشركين مع سائر الدعاة و المصلحين في كل وقت و حين.(3)

توفي الشيخ عثمان ليلة الاثنين، الثلاث مضت من شهر جمادى الأخيرة سنة 1232هـ/20 أبريل 1817م، عن عمر يناهز ثلاثا و ستين سنة و خمسة أشهر، و مدة خلافته ثلاث عشر سنة و سبعة أشهر(4)، دفن في سكوتو و ما يزال قبره حتى اليوم كزارا و محجا للكثير من الأفارقة المسلمين الذين يكونون له التقدير و الإكبار(5). و رغم حزن الجماعة، لكن

(1) زاهر رياض: الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 297.

(2) عبد الرحمان أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 186.

(3) محمد بلو: المصدر السابق، ص 36.

(4) نورة بنت معجب الحامد: المرجع السابق، ص 35.

(5) يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 إلى مطلع القرن 20م، المرجع السابق، ص 124.

هذا لم يمنع من متابعة مسيرة الحركة نحو تحقيق أهدافها، و لو أن في الواقع أن الجزء الأكبر من هذه الأهداف قد تحقق في حياة الشيخ دان فوديو.⁽¹⁾

و قد حكم أبناء عثمان من بعده قرن من الزمان، و لعبوا دورا كبيرا و بطوليا ضد الاستعمار الإنجليزي الذي تكالب على مناطق الدولة الإسلامية، ابتداء من الربع الأخير للقرن التاسع عشر.⁽²⁾

2-2 أهم مؤلفاته:

أ. مراحل التأليف:

قام الشيخ بن فودي بالتأليف عبر عدة مراحل، حسب الظروف و المعطيات:

المرحلة الأولى (1774-1804م): تختص هذه المرحلة بإعداد الجماعة، حيث كانت الجهود تبذل في إعداد و تكوين الجماعة، بغرس مبادئ الدين و العقيدة الصحيحة في قلوبهم⁽³⁾، و عالجت مؤلفاته قضايا: الإيمان و الكفر في الغالب و إحياء السنة النبوية الشريفة، و محاربة البدع الداخلة على معتقدات المسلمين، بواسطة عاداتهم و تقاليدهم، و حقوق المسلمة و ضرورة تربيتها دينيا و ثقافيا⁽⁴⁾.

المرحلة الثانية (1804-1810م): تختص هذه المرحلة بمحاولة إقناع الجماعة، بأن ملوك بلاد الهوسا على الباطل لعدم تحكيمهم الشريعة، و تمسكهم بالعادات و التقاليد الباطلة، و أن طريق الخلاص من كيدهم و سطوتهم لا يكون إلا بالهجرة عن ديارهم، و إعلان الجهاد ضدهم

(1) kamech Mohammad : OP- cit,P178.

(2) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المسلمون و الاستعمار الأوروبي لإفريقيا، المرجع السابق، ص37.

(3) مصباح الدين جنيد: المرجع السابق، ص 38.

(4) عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص 120.

دفاعا عن العقيدة و تثبيتا للإسلام⁽¹⁾، لذا فقد عالجت مؤلفاته في هذه الفترة موضوعات ومسائل فكرية، مثل: دواعي الجهاد و الهجرة، ظهور المهدي المنتظر، مبادئ العدالة الاجتماعية.⁽²⁾

المرحلة الثالثة (1810-1817م): تتناول هذه المرحلة محاولة إفهام الولاة واجباتهم نحو الإسلام و المسلمين، وذلك بعدما أنعم الله عليهم بالقضاء على الكفر و الانتصار على ممالك الهوسا، و أصبحت البلاد ديار الإسلام⁽³⁾، و من ثم فعالجت مؤلفاته في هذه المرحلة الأصول الفكرية للمؤسسات الإسلامية التي تقوم عليها الدولة المبنية على قواعد الشريعة في ضوء القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة و ممارسات الصحابة رضوان الله عليهم، بررت هذه المؤلفات قيام الجهاد في تلك المنطقة و الأهداف التي يرمي إليها و منجزاته الملموسة.⁽⁴⁾

و خلال عمله الإصلاحية، اهتم الشيخ بنظم الشعر الذي يدعو إلى مكارم الأخلاق و الوحدة في الله، حتى بلغ ما ألفه من الكتب أكثر من مائة مخطوط، ما يزال أغلبها مخطوطا على ما يبدو و لدي الأسر العلمية و المثقفين في السودان الغربي.⁽⁵⁾

ب. أهداف التأليف:

لقد دفعته فضائح و الثروات و التحديات التي واجهها، إلى الكتابة بشكل مكثف ليس فقط لحل المشاكل الفورية و الرد على الانتقادات، و لكن أيضا لتطوير رؤية واضحة لأمر التفاضلي الإسلامي، خلال ربع قرن من هذه الثورة الفكرية الحقيقية⁽⁶⁾، حيث كان يهدف الشيخ من هذه المؤلفات إلى إصلاح أحوال العلم و العلماء و تطبيق أحكام الله، و تصحيح الإيمان

(1) مصباح الدين جنيد: المرجع السابق، ص 38.

(2) عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص 120.

(3) مصباح الدين جنيد: المرجع السابق، ص 39.

(4) عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص 121.

(5) يحيى بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م، المرجع السابق، ص 119.

(6) Kameche Mohammad: OP-cit, P177.

بشكل يؤدي إلى إقامة الشريعة فيما أمر الرسول و نهى عنه، و التبصر في الدين⁽¹⁾، و يهدف أيضا التراث العلمي لدان فوديو إلى الكثير من الأمور، نذكر منها:

✓ إصلاح المجتمع بتربية طلائع الحركة حتى تصبح مؤهلة لحمل مسؤولية الدفاع عن الدين و اقتلاع جذور البدعة.

✓ بيان أمور العقيدة بأركانها الثلاث: الإلهيات و الشيوعيات، السمعيات، و إقامة الدليل عليها.

✓ الدعوة إلى ولاية المسلمين و نبذ ولاية الكفار مع بيان العلاقة بين المسلمين و غيرهم في إطار الفقه الإسلامي.

✓ الرد على منتقديه في بعض أساليبه و آرائه.

✓ الرد و الإجابة على مسائل وجهت إليه.⁽²⁾

ت. أهم التأليف و التصانيف:

و قد اشتملت مؤلفاته على فوائد و غرائب و عجائب، من إيضاح المشكلات و تقريب العضلات و تسهيل العويصات، و غير ذلك من منافعها الظاهرة و فوائدها الباهرة⁽³⁾، فقد كان الشيخ منهما في التأليف على الرغم من اشتراكه في المعارك العسكرية، و انشغاله في التدريس و الوعظ، فقد كان يؤلف و ينظم الشعر الكثير باللغة العربية و الفولانية، وكتب، نذكر منها:

1. بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية: تناول البدع

التي أحدثها الناس في دين الإسلام، و أهم ما ورد في هذا المخطوط: التعصب

(1) عبد الله عبد الرزاق و شوقي الجمل: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث و المعاصر، المرجع السابق، ص 144.

(2) مصباح الدين جنيد: المرجع السابق، ص 27.

(3) محمد بلو: المصدر السابق، ص 68.

- في الدين بدعة محرمة إجماعاً، و قد بين و فصل ذلك، مرد ذلك إفساد عقائد المسلمين، كثرة صب الماء عند الغسل بدعة محرمة إجماعاً.⁽¹⁾
2. إحياء السنة و إخماد البدعة: يعد أشهر و أكبر كتب الشيخ عثمان، و قد قامت لجنة من جامعة الأزهر بالإشراف على إخراجها و طبعه سنة 1381هـ⁽²⁾، و تضمن ثلاثاً و ثلاثين باباً، دارت كلها حول أمور العقيدة و أصول الدين⁽³⁾، و يشير في كل باب إلى الإسلام و مبادئه و الفرائض و الأحكام الشرعية كما وردت في القرآن و السنة⁽⁴⁾، و قد تبين هذا الكتاب أيضاً مسلك الشيخ عثمان بن فودي في الإصلاح و الدعوة، و الرجوع إلى القرآن و السنة الصحيحة فيما شجر بين المسلمين من خلاف، و فيما تنازعوا فيه من أفهام، و فيما اختلط عليهم من أمر دينهم بما طرأ على جماعتهم من عادات الأمم الأخرى و تقاليدها و طقوسها و اعتقاداتها على ممر الأزمنة التي خالطوا فيها غيرهم، و التي ضعفوا و استكانوا، و تلقوا ما لغيرهم بالقبول و حاكوه عن تأثر به.⁽⁵⁾
3. مسائل مهمة: هو مخطوط وضح فيه الشيخ، خمس مسائل، أولها: أن أساس الدين الإسلامي هو إقامة الشريعة و تطبيقها، ثانيهما: أن الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام واجبة، ثالثهما: أن الذين يقفون مع الكفار ضد المسلمين لا بد أن يعتبروا

(1) زين العابدين عبد الحميد الشراج: أبرز مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي و القضايا التي تناولتها، ندوة الجامعة العالمية، الخرطوم، السودان، 1995، ص 380.

(2) مصباح الدين جنيد: المرجع السابق، ص 29.

(3) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم و شوقي الجمل: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث و المعاصر، المرجع السابق، ص 144.

(4) ماهر شعبان: المرجع السابق، ص 16.

(5) عثمان بن فودي: إحياء السنة و إخماد البدعة، ط2، مراجعة و تعليق محمد البهي، مكتبة الأزهر للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، 1962، ص ص 166، 218.

كفاراً بالموالاة، رابعها: أن على المسلمين أن يتبعوا إماماً أو خليفة، و أخيراً: أن الجهاد ضد الكفار و المرتدين واجب. و يوجد هذا المخطوط بالمدرسة الوطنية النظامية بسكوتو.⁽¹⁾

4. إرشاد الأمة إلى تسيير الملة: موضوعه تسيير الدين و طبيعته، عدد نسخه ثلاث.⁽²⁾

5. إرشاد أهل التفريط و الإفراط: مخطوط، عبارة عن تعليمات وجهها الشيخ إلى أتباعه بعدم الإسراع في تكفير العوام من الناس، لأن أحكام الشرع مبنية على الظاهر و الله وحده هو الذي يتولى الحكم على البواطن.⁽³⁾

6. أجوبة محررة عن أسئلة مقررة: و هو عبارة عن أربعة عشر سؤالاً، سألتها الشيخ شيس ماص للشيخ دان فوديو⁽⁴⁾، تناول فيه الشيخ تصنيف البلدان الواقع وسط السودان و بيان الممارسات الدينية فيها، و في المخطوط إشارة إلى كتابات علماء الأندلس و كتاب الكشف و البيان لأصناف مجلوب السودان.⁽⁵⁾

7. أسانيد الفقير: موضوعه علم السند، و ضرورة لكل مسلم في الماضي و الحاضر، عدد نسخه ثلاث.⁽⁶⁾

(1) مصباح الدين جنيد: المرجع السابق، ص ص 31-32.

(2) بويكي سكينية: الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن 19م، رسالة ماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية، جامعة خميس مليانة، الجزائر، 2010/2009، ص ص 98-99.

(3) مصباح الدين جنيد: المرجع السابق، ص ص 32-33.

(4) بويكي سكينية: المرجع السابق، ص 99.

(5) عثمان بن فودي: فتح البصائر، المصدر السابق، ص 51.

(6) بويكي سكينية: المرجع السابق، ص 99.

8. أصول العدل لولاية الأمور و أهل الفضل: موضوعه سياسة الولاية في ولايتها، عدد نسخه اثنان.(1)

9. سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان: يحتوي عشرة فصول(2)، يتناول فيها:

الفرق بين المسلمين و الكافرين و بين علماء الدين أنصار الرحمان و بين علماء السوء أنصار الشيطان، كما أورد فيه أحكام الجهاد و ما يجب على علماء و أمراء المسلمين من إقامة شعائر الإسلام و تغيير المنكرات، مع شرح حقيقة الحلال و الحرام، و قد اعتمد الشيخ على أجوبة الإمام المغلي للأمير أسكيا محمد في معظم ما يقرره في هذا الكتاب، و قد طبع هذا الكتاب على نفقة الشيخ عمر الفلاتي.(3)

10. فتح البصائر لتحقيق و صنع علوم البواطن و الظواهر: تناول الشيخ في هذا التأليف، تعريف صفات العالم ووظيفته في مجتمعه، و قسم الشيخ الناس إلى قسمين، باعتبار مراتبهم في البصائر، قسم في تحقيق الإيمان الظاهر و قسم في تحقيق الإيمان الباطن، و يخلق هذا الكتاب مساحة عقلية إسلامية، تتميز بتقريب و غيرها، و يجب عليهم أن يخضعوا لقواعد معينة في الاجتهاد و اكتساب العلوم الإسلامية و خاصة فيما يتعلق بالشرعية.(4)

(1) بويكي سكيته: المرجع السابق، ص 99.

(2) ماهر شعبان: المرجع السابق، ص 21.

(3) مصباح الدين جنيد: المرجع السابق، ص ص 33-34.

(4) عثمان بن فودي: فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن و الظواهر، المصدر السابق، ص 8.

11. إعداد الداعي إلى دين الله: موضوعه الدعوة و أسلوب الداعية، عدد نسخه واحدة.⁽¹⁾

12. الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر: تناول فيه بعض الآيات القرآنية التي تدعو إلى وحدة الأمة الإسلامية و في المخطوط، إشارة إلى الإمام السيوطي و صحيح البخاري.⁽²⁾

13. الأمر بموالة المؤمنين و النهي عن موالة الكافرين: تناول فيه أهم القضايا التي تعالج العلاقة بين العلماء و العوام.⁽³⁾

14. تنبيه الأمة إلى قرب هجوم أشرار الساعة: يعتبر هذا المخطوط بمثابة دعوة موجهة إلى أفراد جماعة الشيخ بالاستقامة و الانضباط، مع أخذ الاحتياط لأنفسهم بالتوبة و العمل الصالح، قبل أن يحال بينهم و بين تدارك ما فرط منهم، قم عقد فصلا لبيان ما ورد في ذكر أشرار الساعة الكبرى منهما و الصغرى، و ما قد وقع منها و ما لم يقع بعد، و كان كثيرا ما ينقل عن الإمام القرطبي في كتابه "التذكرة".⁽⁴⁾

15. الخبر الهادي إلى أمور الإمام المهدي: مخطوط و هو عبارة عن رسالة صغيرة، حررت لتحديد موقف الشيخ عثمان في قضية المهدي التي شغلت أذهان الناس في ذلك العصر، و قد ذكر فيه أن خروج المهدي أمر مقطوع به لثبوت الأدلة الواردة فيها، كما يرد فيه كل من يدعي أو يزعم أن المهدي في تلك المنطقة كإبن تومرت

(1) يوبكي سكينه: المرجع السابق، ص 99.

(2) عثمان بن فودي: فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن و الظواهر، المصدر السابق، ص 51.

(3) المصدر نفسه: ص 51.

(4) مصباح الدين جنيد: المرجع السابق، ص 34.

و غيره، ثم يقرر أن وقت خروج المهدي لا يعرفه إلا الله لعدم و رود الأدلة على تحديد مواعده. (1)

16. تنبيه الطالب على أن الله معروف بالفطرة: مخطوط فيه شرد للآيات القرآنية و الأحاديث النبوية و أقوال العلماء في إثبات وجود الله بالفطرة الغريزية الموجودة في كل إنسان، و توجد نسخة منه في كادونا و كانو. (2)

17. تحذير أهل الإيمان من التشبه بأهل الكفر و العصيان: تصدي الشيخ عثمان في هذا الكتاب لقضايا شابت لفهم الصحيح للدين الإسلامي الحنيف في مجتمعه، و كان يتحتم العمل على توضيحها حتى يكون الناس على بينة من أمر دينهم خلاله و حرامه، فيتلخص منها بالإحاطة الصحيحة و النصح و الإرشاد المبني على قيم الدين الإسلامي. (3)

18. إفحام المنكرين: موضوعه الرد على منتقدي منهجه في الدعوة، عدد نسخه اثتان. (4)

19. الوصية الرضية من الراعي إلى الرعية (نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان): من القضايا التي تناولها المؤلف في هذا التصنيف:

﴿تسمية الحكام المسلمين بألقاب معينة كالملك و السلطان و الوالي.

﴿حكم استعمال آلات اللهو كالطبل و الدف و غيرها.

(1) مصباح الدين جنيد: المرجع السابق، ص 35.

(2) المرجع نفسه: ص 35.

(3) زين العابدين بن عبد الحميد السراج: المرجع السابق، ص 373.

(4) بوبكي سكيئة: المرجع السابق، ص 99.

﴿حكم لبس ما أخذه المسلمون من الكفار من لباس الذهب و الحرير إظهاراً للنعمة من غير استدامة.

﴿اهتمام الولاة و القضاة و الحكام باللباس و المظهر.

﴿حكم تعقب الأموال التي نهبها الكفار و الجائرون من المسلمين.⁽¹⁾

20. تحفة الحبيب: موضوعه نصائح، عدد نسخه واحدة.⁽²⁾

21. معارج العوام إلى سماع علم الكلام: مخطوط و هو عبارة عن رسالة قصيرة في موضوع علم الكلام، تعرض فيها البيان أقسام التوحيد الثلاثة: الإلهيات و النبوءات و السمعيات، مستند على ما جاء في كل قسم بأدلة القرآن الكريم و السنة و أقوال العلماء.⁽³⁾

22. عمدة البيان في العلوم التي وجبت على الأعيان: مخطوط ينقسم إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول في علم التوحيد و الثاني في علم الفقه و الثالث في علم التصوف.⁽⁴⁾

23. وثيقة أهل السودان: جمع هذه الوثيقة "السير بالمر Palmer"، و علق عليها و ذكر أنها سميت بهذا الاسم، لأنها رسالة موجهة إلى كل سكان السودان الغربي، حيث أعلن الشيخ عثمان الجهاد ضد الكفار، و تضم 27 بندا، و من أبرز ما جاء فيها: الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و أن الهجرة من بلاد الكفار واجبة

(1) عثمان بن فودي: نجم الإخوان، المصدر السابق، ص ص 12-13.

(2) بوكي سكينه: المرجع السابق، ص 99.

(3) مصباح الدين حنيد: المرجع السابق، ص 32.

(4) المرجع نفسه: ص 33.

إجماعاً، و أن موالاتة المؤمنين واجبة إجماعاً، وأن الجهاد واجب إجماعاً، و أن قتال البغاة واجب إجماعاً...⁽¹⁾

هذه الوثنية هي خلاصة فكر الشيخ عثمان الذي أرسى دعائم الدولة الإسلامية في غرب إفريقيا، اتخذت من الجهاد وسيلة لنشر الدين الإسلامي في غرب إفريقيا.

24. نصائح الأمة المحمدية: و هو مخطوط يقع في ثلاثين ورقة، و يتضمن بيان الحالة الدينية و الفرق المنتشرة في بلاد الهوسا في عصره، و حكمه على مل فرقة منها.⁽²⁾

25. هداية الطالبين: مخطوط، يحتوي على ثلاثة أبواب، الأول في علم أصول الدين، الثاني في علم التصوف، حيث تعرض لذكر شعب الإيمان مع بيان أدلتها من الكتاب و السنة، الباب الثالث في الأحاديث المختارة من الصحيحين أو أحدهما التي لا ينبغي أن يغفل عنها العاقل.⁽³⁾

26. تنبيه الإخوان في أحوال أرض السودان: وضح فيه الشيخ، سبب القتال الذي وقع بين الفولانيين و ملوك هابي، و سبب تحيز سلاطين برنو الملوك هابي (ملوك الهوسا)، و يرجع الشيخ أن ملوك هذه البلاد و جنودهم كفار قطعاً.⁽⁴⁾

27. حصن الإفهام من جيوش الأوهام: يبحث هذا المصدر في مجال العقائد و التصورات في الإسلام و الكشف عن أصل الشنة، و عما طرأ عليها من البدعة

⁽¹⁾ ماهر شعبان: المرجع السابق، ص 21-22.

⁽²⁾ مصباح الدين حنيد: المرجع السابق، ص 29.

⁽³⁾ المرجع نفسه: ص 30.

⁽⁴⁾ ماهر شعبان: المرجع السابق، ص 23.

بالدليل من الكتاب و السنة، ففي مقدمة الكتاب حذر من أسلوب علماء الكلام و أبطل مذهبهم، و يحث المسلمين على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.⁽¹⁾

28. بيان وجوب الهجرة على العباد: قد خصصه ابن فودي لبيان حكم الهجرة في بلاد الكفار، و حكم نصب الإمام و أحكامه، ثم أتبعه بحكم الجهاد و آدابه، و ما يتعلق بالفيء و الغنائم، و قد نقله إلى الإنجليزية الدكتور فتحي حسن المصري عام 1963.⁽²⁾

29. سوق الأمة إلى إتباع السنة: اعتقد بعض العلماء أنه صنفه بعد سنة 1208هـ/1794م، و قد ألف الشيخ هذا الكتاب، نظرا لما كان منتشرًا حينذاك من مظاهر الجهل بأمر الدين و يحيي بذلك السنة المحمدية، و ليسوق الناس و يرجعهم إلى مدار التوحيد و أصل الفقه و أساس الحقيقة و هو سنة النبي صلى الله عليه وسلم.⁽³⁾

30. أمر الساعة و أشراتها: يتناول هذا المخطوط، بيان ظهور المهدي المنتظر.⁽⁴⁾

بالإضافة إلى هذه المؤلفات المذكورة، توجد العشرات من الكتب و الرسائل الأخرى التي لم يكفي المجال لذكرها مثل: كتاب شفاء الغليل في كل ما أشكل من كلام شيخنا جبريل، الجهاد، التصوف، علوم المعاملة⁽⁵⁾، نور الأبواب، ترغيب العباد،

(1) ماهر شعبان: المرجع السابق، ص ص 18-19.

(2) مصباح الدين جنيد: المرجع السابق، ص ص 31-32.

(3) عثمان بن فودي: سوق الأمة إلى إتباع السنة، مراجعة و تعليق: الشيخ أبو ألفا عمر محمد شريف بن فريد بروك، معهد الدراسات الإسلامية، السودان، 2002، ص 26.

(4) عثمان بن فودي: فتح البصائر، المصدر السابق، ص 58.

(5) إبراهيم أبو بكر إنجود: مؤلفات علماء نيجيريا، منشورات جامعة ميدغري، نيجيريا، 2016، ص 5.

أصول الولاية⁽¹⁾، سوق الصادقين إلى حضرة القدس، ضياء الأنام في الحلال و الحرام، طريق الجنة، تحقيق العصمة لجميع طبقات الأمة، السلاسل الذهبية للسادات الصوفية، توفيق المسلمين على حكم مذاهب المجتهدين الذين كانوا من أهل السنة الموفقين⁽²⁾، أنواع مال الله التي يجوز للأمرء قبضها و صرفها، و أسانيد أحمد الشريف، حقيقة الإيمان و الإسلام، إرشاد السالك الرباني إلى أحوال الشيخ عبد القادر الجيلاني، كشف ما عليه العمل من الأقوال⁽³⁾، بستان الدعاء، نور الأولياء، اسم الله الأعظم، المحذورات من علامات خروج المهدي، قواعد الصلاة⁽⁴⁾، و غيرها من التأليف التي لا يمكن حصرها.

ث. خصائص و مميزات مؤلفات الشيخ بن فودي:

إن مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي كثيرة و متنوعة، وأهم خصائص و السمات التي ميزها نجد:

- 1) الثقافة الواسعة، و هذا إنتاج لقراءته الواسعة للعلماء العظماء في الصدر الأول للإسلام.
- 2) احتوت مؤلفاته على الكثير من الآراء في الفقه و لتفسير و أصول الدين.
- 3) كان دور الشيخ هو دور الباحث الذي يورد آراء العلماء السابقين و المتقدمين.

(1) يحيى بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م، المرجع السابق، ص ص 170-171.

(2) محمد باي بالعالم: المرجع السابق، ص ص 190-191.

(3) عثمان بن فودي: فتح البصائر، المصدر السابق، ص ص 58-59.

(4) عثمان بن فودي: سوق الأمة إلى إتباع السنة، المصدر السابق، ص ص 14-15.

- (4) لقد خدمت كتبه و مؤلفاته أغراض حركته و نشر دعوته وشرح مبادئه التي جاءت من أجلها و إيضاح نظريته في الجهاد و النشر الدعوة.⁽¹⁾
- (5) أنها على كثرتها و تنوعها تكاد تتسم بالتكامل الموضوعي بالنسبة للأهداف والمراحل التي تمثلها تلك المؤلفات فهو لم يوجه كتاباته إلى اتجاه فكري واحد، و إنما يعالج فيها قضايا متعددة كالعقيدة و العبادات و المعاملات.
- (6) أنه يكثر التكرار و ترديد المعنى الواحد أو الفكرة في أكثر من مؤلف و ذلك بأسلوب متقارب جدا، و هذا يرجع إلى ما كان يصادفه من الأحوال المتشابهة في العديد من البلدان التي كان يزورها حين قيامه بالدعوة فكان يكرر الكتابة حسب مقتضيات الظروف.
- (7) أنه كان يكثر النقل من كتب الأئمة المتقدمين، مما يدل على أنه قد اطلع على هذه الكتب و اقتنع بما فيها.⁽²⁾
- (8) أنه يهتم بإيراد الأدلة الشرعيتين من الكتاب و السنة على كل مسألة يقررها كما يهتم بتخريج الأحاديث في أغلب الأحيان، و قد كانت دراسته الواسعة في علوم الحديث خير معين له على ذلك، و كان لاستخدامه اللغة العربية في معظم تأليفه اثر كبير في نشر الثقافة العربية في تلك البقاع.
- (9) و نظرا لأن الشيخ عثمان كان صوفيا يتبع الطريقة القارية، فقد نالت هذه الطريقة قسطا كبيرا من مؤلفاته و عالجها في الكثير من المناسبات حتى يزيل اللبس حول كافة القضايا الصوفية، فأعلن مع بداية جهاده أنه شاهد

(1) ماهر شعبان: المرجع السابق، ص 23.

(2) مصباح الدين جنيد : المرجع السابق، ص ص 39-40.

رؤيا و هو في سن الأربعين و أنه جالس في اجتماع يضم سيد البشر، و معه الصحابة و الشيخ عبد القادر الجيلاني، الذي قاده سيف الحق، و طلب الصحابة منه إعلان الجهاد أعداء الله، و قد شرح الشيخ عثمان الطريقة القادرية في كتاب "السلاسل القارية للأمة المحمدية"، رسالة بعنوان: تطبيب القلوب الأئمة المحمدية بذكر بعض القوائد القارية، و رسالة: السلاسل الذهبية للسادة الصوفية⁽¹⁾، وبالطبع ساعدت هذه المؤلفات على جعل الطريقة القادرية أكثر الطرق شيوعا في غرب إفريقيا.

ج. أهمية تأليف الشيخ بن فودي في الحياة العلمية بغرب إفريقيا:

إن المتأمل الكتابات دان فوديو، يحس كأنه يقرأ لأحد أئمة الفقه الإسلاميين لما في كتبه من العمق و الفقه و الأدلة الشرعية⁽²⁾، و أكثر من ذلك أن النتائج التي اشتملت عليها تأليفه كانت جلية، حيث نجد:

- ✓ أنها ساهمت في نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا.
- ✓ أنها أسست القيام كيان إسلامي أحيا بها أمل الشعوب الإسلامية.
- ✓ أنها أعادت الاعتبار لتعليم المرأة لأنها عماد الأسرة فالمرأة المثقفة صمام الأمان لحركة الدعوة و المجتمع و الدولة.
- ✓ أنها شكلت المرجعية الفكرية و الدعوية لعلماء غرب إفريقيا.

(1) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية، المرجع السابق، ص250.

(2) حسن مكي محمد أحمد : مكانة الشيخ عثمان بن فودي بين رجال الفكر و الدعوة و الدولة في الإسلام، الندوة العالمية، الخرطوم، السودان، 1995، ص 200.

✓ أنها شملت العديد من الأفكار الإصلاحية، حيث يتناول في أهم كتبه السياسية نظريته في الجهاد، و يوضح الأساليب التي من أجلها خاض الحرب من أجل نشر الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا، و أكد أن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس مستندا إلى ذلك بما جاء في القرآن الكريم و السنة النبوية و إجماع الصحابة.⁽¹⁾

✓ أنها تعتبر كتبه وثائق رسمية لجميع الباحثين، كما أنها تساهم في كشف صفحة من صفحات الجهاد في سبيل نشر الإسلام و الدعوة الإسلامية في منطقة غرب إفريقيا في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلادي.

2-3 آراء الشيخ بن فودي في بعض قضايا عصره:

تعددت القضايا التي تطرق لها الشيخ بن فودي في مختلف تصانيفه و رسائله، و هذا ما يعكس سعة إطلاع الشيخ و عمق تحليله للكثير من المسائل و القضايا، التي كانت محل خلاف بين علماء غرب إفريقيا، و نجد أن الشيخ قد فصل فيه اعتمادا على الكتاب و السنة، و من نماذج ذلك:

1. الجهاد: لقد اختلفت الرءاء حول الجهاد الشيخ عثمان بن فودي، فمنهم من رآه صراعا سياسيا بين الهوسا و الفلانين، استخدم الفلاني عامل الدين كهدف أو مناورة عسكرية من أجل تحقيق أهدافهم للسيطرة الفولانية على بلاد الهوسا أو مناورة عسكرية من أجل تحقيق أهدافهم للسيطرة الفولانية على بلاد الهوسا، أما العالم النيجيري "عبد الله سميث" فيرى في الحركة أكثر من محاولة مجموعة من الرجال المحروزي من أجل السيطرة السياسية لصالحهم، بل هي حركة فكرية

(1) ماهر شعبان: المرجع السابق، ص24.

تهدف إلى إنشاء مجتمع مثالي تسوده الغراء، كما حاول أعداء الشيخ تفسير هذه الإصلاحات بأنها كانت وراءها أطمع سياسية في ثوب الإصلاح الديني، بل رأي البعض أن هذه الثورة قد دبرت من أجل مساعدة الفولانيين على السيطرة على أمور البلاد و تحقيق أهداف كانوا قد منعوا منها من قبل⁽¹⁾، لكن مهما اختلفت الآراء حول أسس الجهاد، فإن الجميع يتفق على أن الحركة شمولية ارتكزت أساسا على الناحية الدينية و أن الشيخ عثمان نفسه حدد الغرض من الجهاد في وثيقة أهل السودان و هو الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و الهجرة من بلاد الكفار و تنفيذ أحكام الشرع.

كان الشيخ يرى أن كل جهاد ما هو إلا ثورة يقوم بها نفر من الناس، بهدف إحداث تغيير لواقع اجتماعي معين، و من ثم يجب أن تكون بكل ثورة مناهجها لتحقيق الأهداف التي تصبو إليها، لذا حدد هو و جماعته النقاط الخمس التالية لتكون أهداف جهادهم المعلن في الغرب الإفريقي:

➤ السعي لتصحيح المعتقدات و المفاهيم الخاطئة عن الإسلام و التي يتمسك بها بعض الطبقة المتعلمة.

➤ تطبيق الشريعة على كافة مجتمعات المسلمين في ذلك الجزء من العالم على ضوء كتاب الله و سنة رسوله الكريم.

➤ تشجيع الناس على إتباع السنة المحمدية و الامتثال لها قولا و فعلا و الحرص على انتشار مفاهيمها الصحيحة بين غاية المسلمين.

(1) محمد فضل علي باري و سعيد إبراهيم كريدية: المرجع السابق، ص ص 198-199.

- السعي من أجل القضاء على البدع الشيطانية الداخلية على عقيدة المسلمين و العمل للتخلص من العادات و التقاليد المناهضة للإسلام.
- السعي من أجل نشر الوعي الإسلامي بين عامة الناس، وذلك عن طريق الاعتماد على المؤلفات و آراء العلماء.⁽¹⁾

2. الهجرة:

قال الشيخ عثمان في بيان وجوب الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام واجبة كتابا و إجماعا، أما الكتاب فقولته تعالى⁽²⁾: " إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم و ساءت مصيرا".

أما الإجماع فقد قال الونشريسي في المعيار و الإجماع منعقد على وجوب الهجرة، و في بيان وجوب الهجرة أيضا: فإن قلت: هل يصيح الإسلام من أسلم في بلد كفر و لم يهاجر؟ قلت: جوابه كما قال النضراوي: و لو أسلم قوم كفار، فإن كانوا حيث تتألم أحكام الكفار و جب عليهم الارتحال منهم، فإن لم يرتحلوا يكونوا عاصمين الله و رسوله، و إسلامهم صحيح.⁽³⁾

3. المهدي المنتظر:

لقد غلب على ظن الناس في بلاد الهوسا أن الشيخ عثمان هو عينه المهدي المنتظر، لما بدا عليه من علامات الصلاح و الوقام و الغيرة على الإسلام، لكن ابن فودي تصدى لهذا الاعتقاد بكل شجاعة و رفض هذا الادعاء رفضا قاطعا، مؤكدا أن علامات المهدي لا تنطبق

(1) عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص ص 116-117.

(2) سورة النساء: الآية 97.

(3) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية، المرجع السابق، ص ص 350-351.

على شخصه و أنه ليس المهدي المنتظر⁽¹⁾، و أوضح في كتابه "النبأ الهادي إلى أحوال المهدي"، و يقول الشيخ عثمان في ذلك⁽²⁾: " و أعلموا أيضا إخواني أنني لست بالإمام المهدي و لا ادعيت المهديّة قط، و إنما يسمع ذلك من أفواه الناس، و قد: بالغت في تحذيرهم من ذلك، و قد صرحت برد ذلك في توليفي العربية و العجمية".

و رغم ذلك كله فقد ساعدت مؤلفات ابن فودي في تحريك المشاعر و الأحاسيس التي طالما ألهبت نفوس الأفارقة فأحيت بينهم تقبل فكرة المهديّة و من تم الاستعداد لها⁽³⁾، و تركيز الشيخ على فكرة المهدي المنتظر و إعطائها أهمية أكثر جعل الناس يزدادون شوقا و تعلقا بها.

4. تعليم المرأة:

و توصل الشيخ عثمان بن فودي بأنه لن يتمكن من إنجاز مشروعة الاصطلاح إذا لم يصلح المرأة، فأخذ يدرس و يعظ النساء و الرجال، فالتف حوله كثير من الجال و بناتهم و أزواجهم و ذويهم و جيرانهم، و قد هاجمه بعض العلماء و أنكرو عليه الجمع بين النساء و الرجال في مجالس العلم و هذا ما يخلف الشرع، فرد عليهم الشيخ عثمان في كتاب " نور الألباب"، حيث قال: " من الأمور التي عمت بها البلوى في هذه البلاد من ترك أزواجهم و بناتهم مهملات كالأنعام من غير أن يعلموهن ما فرض الله عليهم من عقائد و أحكام و غير ذلك، مما أوجب الله عليهم تعلمه..."، "ثم أنني أخط بينهم كما خلطتهم الصلاة و ذلك بجلوس الرجال في الصفوف الأمامية و النساء في الصفوف الخلفية".⁽⁴⁾

(1) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 160.

(2) أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص 101.

(3) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 161.

(4) علي بن أيوب ناجي: المرجع السابق، ص ص 127-128.

استنكر عليه بعض العلماء جمع النساء و الرجال في مجلس واحد⁽¹⁾، و اعتبروا ذلك مخالفا للشرع، و أرسل إليه الشيخ مصطفى القوتي أبياتا شعرية في الموضوع من البحر البسيط، فكلف الشيخ عثمان أخاه الشيخ عبد الله بأن يجيبه شعرا كذلك فأجابه بأبيات شعرية من نفس الوزن و البحر، و لم اشتد النقاش في هذا الموضوع فألف الشيخ عثمان كتابا في الموضوع سماه: " تنبيه الإخوان على جواز اتخاذ مجلس لأجل تعليم النسوان، برر فيه عمله، و أعطى مثلا حيا بتعليم زوجاته و بناته" خديجة، مريم، أسماء و تفقيهن لدرجة عالية⁽²⁾.

اعتبر الشيخ عثمان أن تعليم النساء واجبا إسلاميا و أن حضورهم مجالس الدرس تقتضيه السنة و لا يخالف مبادئ الإسلام الصحيحة في شيء، و كتب في هذا الموضوع رسالة سماها: " تنبيه الإخوان على جواز اتخاذ مجلس لأجل تعليم النسوان"، و أعطى بنفسه المثال العلمي على تثقيف و تعليم أسرته.

و قد استطاعت أسماء بثقافتها أن تكون لها عدة تأليف فيما بعد ذلك بلغت العربية و الفولانية و الهوساوية، و قد راسلها الكثيرون في المنطقة يستفتونها و يأخذون برأيها⁽³⁾.

5. القرآن و السنة:

يؤكد الشيخ دان فوديو أن القرآن الكريم هو أصل المعارف و العقائد، " .. و يجب أن يأخذ مل مؤمن عقيدته من القرآن العظيم، إذ الله أثبت جميع قواعد الإيمان في القرآن"، وإذا تقرر وجوب الأخذ بالكتاب، فإن الشيخ يؤكد أن الله قد أوضح أصول جميع العلوم و العقائد في القرآن الكريم⁽⁴⁾، أما موقفه من الشنة النبوية، فهذا هو محور دعوته، و عليه مدار جميع كتبه،

(1) د-لايا: دول الهوسا، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، لبنان، 1992، المجلد5، ص 543.

(2) يحيي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى القرن 20م، المرجع السابق، ص 169.

(3) عبد القادر زبادية: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر و مؤلفات العرب و المسلمين، المرجع السابق، ص 79.

(4) آدم بمبا: الفكر التربوي عند الشيخ عثمان دان فوديو، منشورات جامعة ملايا، كوالالمبور، ماليزيا، 2016م ص 33.

حيث دعا إحياء السنة و إخماد البدعة⁽¹⁾، لذلك ينسب الشيخ هذا المذهب العظيم لسلف الأمة الصالحين⁽²⁾.

6. العلوم الشرعية:

يرى الشيخ دان فوديو أن العلوم الشرعية تأتي لعد الكتاب و السنة، و هي مقدمة ضرورية لجميع العلوم و المعارف، و من هذا المنطلق فهو يقيس سائر العلوم، فما وافق منها أصول العلوم الشرعية أخذ به، و إلا طرح و أكر أن علم الشريعة مقدم على علم الحقيقة، و وصف من يقدم على القصوف دون علم الفقه في الدين و الشريعة بأنه زنديق، قال⁽³⁾: و النظر ليكتب أهل الكشف لا يجوز إلا للعالم الذي يعلم كتاب الله، و سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يأخذ منها ما بان رشده و يدع ما لم يتضح له..."

7. الجن:

يرى الشيخ عثمان أن الجن ظهر له في مرحلة مبكرة من صباه ثم في مرحلة البلوغ و الشباب، غير أنه رفض الإخبار المتداولة بين العامة و تتكر لها و التي مفادها أنه طوع الجن و تحكّم فيه لخدمته و لتحقيق أغراضه⁽⁴⁾.

(1) عثمان بن فودي: إحياء السنة و إخماد البدعة، المصدر السابق، ص 6.

(2) ابو رملة محمد: استواء الله على العرش، دار الإسلام للنشر و التوزيع، السعودية، 2010ن ص 44.

(3) عثمان بن فودي: فتح البصائر لتحقيق علوم البواطن و الظواهر، المصدر السابق، ص 32، 35.

(4) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 162.

8. العبيد و النساء:

حث الشيخ عثمان في الكثير من كتبه خاصة: "نور الألباب" على التعليم للنساء و العبيد، و معاملة العبيد بالحسنى تماشياً مع تعاليم القرآن الكريم و سنة النبوية الشريفة كما ترجم القرآن الكريم إلى لغة الفولاني ليتمكن السكان من فهمه⁽¹⁾.

9. قضية تعدد المذاهب:

يتّضح موقف في قوله: " إنه إذا تواجدت هذه المذاهب فيجوز الإفتاء بأي منها حتى لا يشق على الأمة"⁽²⁾.

و يبدو من هذا الموقف تأثره بتقي الدين ابن تيمية و الإمام محمد بن عبد الوهاب و رغم رأي الشيخ هذا، فإنه ظل طول حياته مالكياً، و يفتي الناس بمذهب مالك بن أنس.⁽³⁾

10. مفهوم الحاكمية عند ابن فودي:

كان موقفه من مفهوم الحاكمية واضحاً و صارماً، فكل مجتمع لا تحكم فيه شرائح الإسلام هو مجتمع كافر، و دار حاكم لم يحكم بما أنزله الله كافر، و يجب الخروج عنه شرعاً و سنة و إجماعاً⁽⁴⁾، و يعتبر هذا المفهوم لقاعدة الأساسية التي بنى عليها ابن فودي تفكيره السياسي، كما يعتبر الخطوة العملية الأولى و الهامة التي بدأ فيها بتكوين مجتمع مسلم وفق المنهج الإسلامي.

(1) يحيى بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م، المرجع السابق، ص 147.

(2) أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص 97.

(3) عبد الرحمان عمر الماحي: المرجع السابق، ص 141.

(4) بهيجة الشاذلي: المرجع السابق، ص 304.

11. العلم للتطبيق و العمل:

حرص الشيخ دان فوديو في ربط العلم النظري ربطا مباشرا بالتطبيق، أي أن يكون العلم ذا ارتباطا وثيق بالحياة المعيش، سواء أكان ذلك في الاعتقادات، أم العبادات، أم المعاملات... فالعلم ما يكون استجابة لظروف المجتمع، و حلا لإشكالات الحياة الراهنة. بهذا الصدد، نبه الشيخ الطلبة على أن بلاد السودان لا تعدم علماء، و أن جميع فنون العلم متوفرة لديهم، و لكن المعدوم هو العالم الأقدر على تحويل ما تعلمه إلى أداة فاعلة. يقول: "إعلامكم أن جميع فنون العلم موجودة عند العلماء، لكن المفقود في هذه الأزمنة، علم السنن و البدع، إلا عند القليل منهم، و إذا اطلعتم على واحد منهم (أو) في، فشدوا أيديكم عليه، فإنه كالكبريت الأحمر" هذا، و قد جاء تطبيق هذه الرؤية عند الشيخ في مؤلفاته التي جاءت على شكل رسائل عملية مختصرة للطلبة في مسائل الدعوة، و الطرق العملية في العبادات و المعاملات⁽¹⁾.

12. الغناء و الطرب و حكمه:

يتلخص موقفه في قوله: (وما أكثرنا لكم النقول الدالة على إباحة آلات اللهو في هذا الكتاب لتشغلوا بها، إذ لا يختلف أثنان أنها ليست من الدين في شيء، و إنما غرضنا في ذلك أما تنكروا إنكار الحرام على من يستعملها مقلدا بأقوال من أباحها، و ألا تعترضوا على الأولياء الذين تضرب عليهم تلك الآلات، و قد غيبهم الله، عن صورتها الباطلة، و أشهدهم سرها الباطن فيها فتستوجبوا المقنت من الله تعال)⁽²⁾.

(1) آدم بمبا: المرجع السابق، ص 34.

(2) عثمان بن فودي: نجم الإخوان، المصدر السابق، ص ص 48-49.

13. التصوف:

كان الشيخ عثمان على الطريقة القادرية التي أسسها الشيخ عبد الرحمان الجيلاني حيث كان هذا الأخير يتمتع بسمعة كبيرة و كان لمذهبه صدى عميقا حتى في الأوساط المسيحية. و كان يدعو للناس جميعان و لعل هذا ما جعل الطريقة تنتشر بسرعة و في كل مكان من آسيا و إفريقيا.⁽¹⁾

و قد ذكر الشيخ بن فودي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد كاشفه بقوله " قف هنا فوقفت فبشرني بقوله⁽²⁾: أنا دليلك على طريق الدين فلا تضلون، فكان تلك التبشير خير لي من الدنيا و ما فيها"، كما تطرق في حديثه عن مقامه في درجات الصوفية و مراتبها و أنه بلغ مقام أرباب الأحوال.⁽³⁾

و نلخص من خلال هذا الفصل إلى أن الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ بن فودي تركت أثرا عظيما في غرب إفريقيا و حتى في العالم الإسلامي، و أصبحت العاصمة سكوتو منارة للعلم و العلماء فأستطاع الشيخ أن يعيد للإسلام في بلاد الهوسا تعاليمه القديمة المستمدة من الكتاب و السنة، و يعمل من أجل القضاء على البدع و الخرافات التي كانت سائدة في المنطقة.⁽⁴⁾

(1) عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931-1945),

المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1966، ص ص 177-178.

(2) أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص 103.

(3) أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 162.

(4) نورة بنت معجب الحامد: المرجع السابق، ص 45.

و لعل العلاقات الداخلية و الخارجية التي كونتها إمارة دان فوديو، الدليل على الأهمية الجيوستراتيجية للإمارة في المنطقة، و ما تلك الرسائل و الهدايا التي بعثت للشيخ بن فودي، إلا إوعان و إتباع لسلطة سكوتو في غرب إفريقيا.

شكل الإنتاج الفكري للشيخ عثمان بن فودي و لمعاصريه من ذوي الفضل، موروثا ثقافيا ضخما، يعطي نموذجا خاصا لتطور الفكر و الثقافة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء، و إعطاء نمطا خاصا جاء نتيجة لتفاعل عدة معطيات معبرا عن واقع المجتمع في فترة معينة، و حملت حركة بن فودي و دولته ثورة فكرية و ثقافية و تجديدية قل نظيرها في بلاد الهوسا.

الخاتمة

نستخلص ممّا تقدم مجموعة من النتائج، التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

ولقد تفاعلت العديد من الأسباب و انصهرت في بوتقة واحدة، فأدّت بظهور زعامات محلية أخذت على عاتقها مسؤولية الإصلاح و الدعوة في غرب إفريقيا عموماً و بلاد الهوسا خصوصاً، فانسأقت خلفها الجماهير الشعبية التي طالما عانت من دكتاتورية و بطش الملوك الوثنيين ووجدت في حركات الإصلاح و الدعوة أملها، و بذلك ظهرت لنا مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين حركة واسعة و نهضة شاملة في إطار الإصلاح الديني و الاجتماعي و الثقافي، و التي قادها الشيخ عثمان بن فودي في إقليم الهوسا، و التي أدت في نهاية المطاف إلى قيام دولة إسلامية، و مازال التاريخ يشهد على عظمة شموخها و ما بلغته من قوة و تنظيم و حضارة.

وأن الشيخ عثمان دان فودي نشأ في بيت عرف بالعلم، و بدأ حياته العلمية منذ الصغر، و تعلم على يد عدد كبير من العلماء في المنطقة، و كان أكثر تأثراً بشيخه جبريل بن عمر، فحياته كانت حافلة بالنضال و الكفاح لأنه وهب نفسه لخدمة الدين الإسلامي كما اتبع منهاجاً علمياً دقيقاً تتمثل في: العناية التامة بتعليم العامة أمور الدين، التحذير من البدع و العادات المخالفة للشرع الإسلامي، محاربة فساد السلاطين، و بفضل ثقافته الواسعة و تعليمه و رغبته الكبيرة في إصلاح أوضاع منطقتهم، تمكّن من إعادة سكان المنطقة إلى تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة، و قد التفّ حوله الكثير، و لقيت دعوته القبول.

﴿أن فساد الأحوال السياسية و الاجتماعية و الدينية في بلاد الهوسا، كان حافزا لقيام عثمان بن فودي بحركته الإصلاحية، التي تهدف بالرجوع الصحيح للكتاب و السنة، لذا فقد أدرك في زمن مبكر من حياته ضرورة الإصلاح، و قد بدأ بالدعوة إلى الإسلام و محاولة تصحيح فهم سكان المنطقة له، و اعتمد على الموعظة الحسنة و تعليم الناس القراءة و الكتابة، و أمور دينهم الصحيحة البعيدة عن البدع و الخرافات كما دعا إلى ضرورة تعليم النساء، حيث جعل لهم مكانا في مجالسه، و دافع عن ذلك في مؤلفاته، و قد شهدت دعوته إقبالا كبيرا و خاصة من قبائل الفولاني، حيث رأت في دعوة الشيخ نجاة و خلاصا مما هم فيه من انحطاط نتيجة فساد الأخلاق و انتشار الرذائل، و هنا يتضح مدى إخلاص الشيخ في دعوته، و قوة تأثيره و انجذاب الناس نحو حركته الإصلاحية.﴾

﴿قرّر ابن فودي العمل على إعادة بناء الدولة الإسلامية من جديد، و توسيع رقعة الإسلام بالجهاد ضد الوثنيين، التي اجتمعت على حرب الإسلام و دعوته الجديدة، اتبع ابن فودي استراتيجية الجهاد على عدة محاور، و ضم الشعوب الإسلامية تحت رايته، فضم إليه عدة شعوب و قبائل مسلمة، كانت متناثرة و مختلفة فيما بينها، و بدأ بالتوسع في ناحيتي الغرب و الجنوب الغربي، حيث قبائل اليوروبا الكبيرة و التي هي أصل الشعوب الساكنة في النيجر و نيجيريا، فدانت له هذه القبائل و دخلت في دعوته.﴾

﴿إن دعوة الشيخ عثمان بن فودي قد حققت أهدافها إلى حد بعيد، فقد أصلح من أمور المسلمين الدينية و الدنيوية و نشر التعليم و أصبح حق مشروع لكلا الجنسين الذكر و الأنثى على حد سواء، و صحح الكثير من المفاهيم الخاطئة في أذهان العامة من الناس في الكثير من المسائل الدينية، ثم أنه قد كللت جهوده

الدعوة الإصلاحية بتأسيس إمارة إسلامية عاصمتها سكوتو و حصنا من حصون الإسلام.

استعان الشيخ بصفوة من تلاميذه سماهم " الجماعة " و الذين أصبحوا فيها بعد وزراء و قادة للجيش و حملة للألوية، و هذه الاستراتيجية التي طبقها الشيخ، جعلت عملية تسيير الإمارة وفق تعليماته تسير بدقة و تنظيما محكمين في مختلف المجالات، سياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و القضائية، و قد نجح في توفير الاستقرار و الأمان لدى السكان.

اهتم الشيخ بالجانب الاقتصادي باعتبار عصب الدولة، و أنشئ على غرار الدول الإسلامية في شمال إفريقيا أو في المشرق العربي، مؤسسات اقتصادية كجهاز الحسبة و نظام الدواوين و بيت المال و اهتم بالأسواق و التجارة و بالنشاط الزراعي و الصناعي، و قام بإعطاء تسهيلات للتجار من مختلف أقاليم الهوسا.

عمل الشيخ على تهذيب الحياة الاجتماعية و تقيتها من مختلف مظاهر الوثنية و الشرك و أحل محلها العادات و التقاليد الإسلامية و أعاد المناسبات الدينية مكانتها، و اهتم بالفئات الهشة في المجتمع كالعبيد و النساء و الأطفال، و حث على تعليمهم ووجوب الإنفاق عليهم و حفظ كرامتهم.

سارت إمارة دان فوديو على نمط الخلافة الإسلامية في صدر الإسلام، فأصبح يسمى بن فودي أمير المؤمنين أو الخليفة و لديه بلاط يتكون من الوزراء و الأمراء و قادة الجيش، و أنشأ مجالس إدارية (استشارية و تنفيذية) و مكتب المظالم و الكتاب و الديوان و جهاز الشرطة، و قد استحدث دان فوديو كل هذه المناصب و المؤسسات و ذلك سهرا على خدمة الرعية و ضمان أمانهم و استقرارهم.

اهتم الشيخ بتطوير الجيش في دولته، حيث أنشأ الرباطات، ووزع حملة الأولوية في مختلف الجهات، و قسمه إلى مشاة و فرسان و بيّن لباس الجنود وأفتى فيما يجب أن يلبس في الجهاد، و قد حقق انتصارات كبيرة تحت قيادات أكفاء مثل: محمد بلو و عبد الله بن فودي و عمر الدلاج و مالم موسى و غيرهم، و بذلك دانت له معظم اقاليم الهوسا.

شجع الشيخ عثمان النشاط الزراعي، فقد قسم الأراضي التي تم الاستلاء عليها في معارك الجهاد على الناس و حفر الآبار، كما استغلّ الأسرى في خدمة الأرض وزراعتها ، و كانت تربية الماشية من بين أنشطة قبائل الفولاني لأغراض التجارة لاشتهارها بالجلود الحمراء و البنية نسبة إلى الماعز المشهور عند هذه القبائل في سكوتو، أما الصناعة فكانت لا تزال يدوية بسيطة تعتمد على الصناعات الحرفية و صناعة الملابس التي اشتهرت بها سكوتو.

ازدهر التعليم في إمارة دان فوديو، حيث ظهرت المساجد و مدارس التعليم، و بدأ الأطفال يزاولون دراسته في سن مبكرة، فظهر الأدباء و الشعراء و العلماء و الوعاظ، و بذلك أصبحت سكوتو احد أهم الحواضر العلمية في غرب إفريقيا خلال القرن 19م.

كان للمراسلات العلمية بين الشيخ عثمان و غيره من العلماء و الزعماء في غرب إفريقيا، دور في ازدهار الحياة العلمية، حيث ساهمت في نشر الإسلام و اللغة العربية و نشر الوعي و حل المشكلات بالمناقشة و الحوار العلمي و الرجوع إلى مصادر الأمة و مرجعياتها (الكتاب و السنة) و آراء العلماء الأعلام، بعيدا عن التنافر و النعرات القبلية.

تمتعت المرأة بمنزلة محترمة في دولة دان فوديو، فاهتمام الشيخ عثمان بتعليم النساء، أدى إلى تخرج عدة عالمات، و تولّت المرأة التدريس في نظام مزدهر، و هو الذي عرف في تاريخ خلافة سكوتو الإسلامية باسم "جماعة ينتارو Yantaru" و تم ذلك بتأسيس الشبيخة أسماء بنت عثمان بن فودي سنة 1840م، و الشبيخة مريم و غيرها من العالمات.

واكب ازدهار حركة التعليم بسكوتو حركة التدوين، فخلف لنا أفراد أسرة عثمان بن فودي وحدهم ما جملته حوالي 723 عمل بالغة العربية، تتراوح من منظومة طويلة إلى مجلد ضخيم غير ما ألفوه باللغات المحلية.

ربطت سكوتو بأقاليم الهوسا علاقات ودية، حيث عمل دان فوديو بعد إخضاع المنطقة إلى تطوير العلاقات مع هذه الممالك و كانت له معهم مراسلات على غرار محمد الأمين الكانمي و الحاج عمر تال و غيرهم، و تجاوزت علاقات سكوتو منطقة إفريقيا جنوب الصحراء، حيث كان لدان فوديو مراسلات و هدايا مع ملك المغرب المولى سليمان.

ولقد وصل تأثير فكر و دعوة دان فوديو إلى السودان وادي النيل، حيث كان دور الشيخ عثمان حاسما في الهجرات الكبرى التي قام بها الفولاني، إذ جعلوا من وصاياه و آرائه في موضوع المهديّة مرجعية دينية في تنقلهم نحو الشرق لنصرة المهدي، و هذا ما يفسر لنا تلك الهالة من التقديس التي يكتنّها الفولانيين لشيخهم، حتى وضعوه في مرتبة المهدي المنتظر رغم استنكار شيخهم لذلك، و قد ساهم الفلاتة في كل مجالات الدولة المهديّة سواء في المجال العسكري أو الإداري أو السياسي، و خير دليل على ذلك هي تلك الآثار و الصور و الكتابات التي مازالت

إلى يومنا هذا في متحف الخليفة عبد الله التعايشي بمدينة أم درمان، و التي توضح الكثير من أسماء الفلانة الذين شاركوا في الثورة المهدية.

جمع الشيخ دان فوديو ما بين السيف و القلم، إذ شارك في معارك الجهاد ضد الوثنيين و حقق انتصارات تاريخية و بذلك أخضع بلاد الهوسا و أسس على أنقاذ ممالكها إمارته الإسلامية، ثم تفرع للتأليف و دروس الوعظ و الإرشاد، حتى وفاته-رحمه الله- عام 1817م، مخلفا أكثر من 130 مؤلفا ما بين رسالة و كتاب، و التي مازال معظمها غير منشور إلى يومنا هذا، و يبقى هذا تحديا أمام الباحثين لكشف النقاب عن هذه المخطوطات و تحقيقها، إحياء لموروث فكري منسي في رفوف الخزائن و في الزوايا و عند بعض الأسر في نيجيريا.

يعد الإنتاج الفكري لدان فوديو و أسرته و معاصريه من ذوي الفضل موروثا ثقافيا ضخما، يعطي نموذجا خاصا لتطور الفكر و الثقافية العربية في إفريقيا جنوب الصحراء، فقد حملت دعوة دان فوديو ثورة فكرية و إصلاحية قلّ نظيرها في تاريخ غرب إفريقيا.

إن هذه الدراسة مساهمة في تاريخ دولة دان فوديو الطويل و الحافل بالأحداث، تسلط الضوء على الفترة الأولى من عمر الدولة، و هي مرحلة حكم الشيخ المؤسس عثمان بن فودي، و في نفس الوقت خطوة تحتاج إلى خطوات في سبيل دراسة تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء خلال الفترة الحديثة و المعاصرة.

الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة بلاد الهوسا

الملحق رقم 02: خريطة إمارات الهوسا

الملحق رقم 03: خريطة أهم معارك الجهاد التي قادها دان فوديو

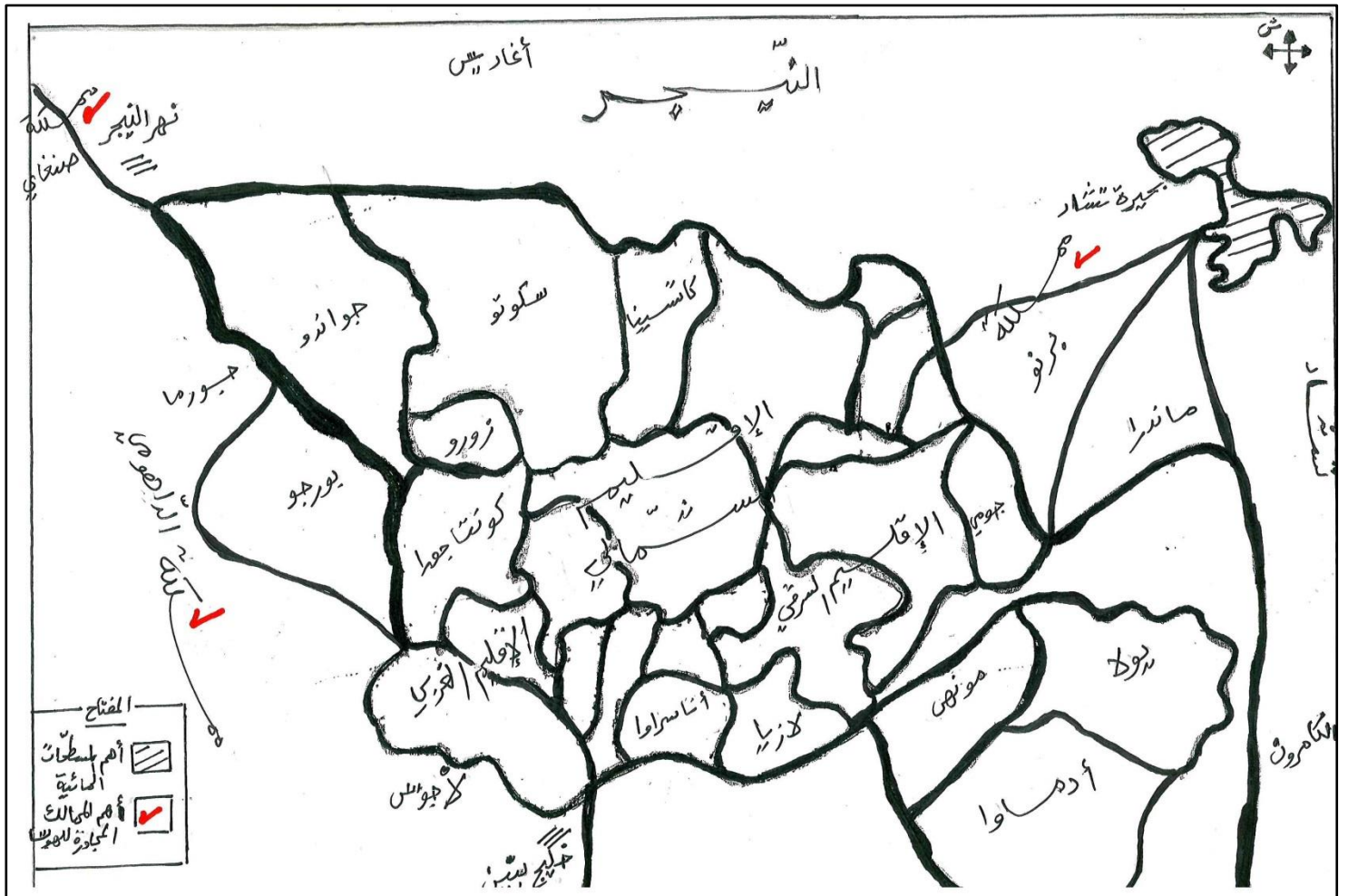
الملحق رقم 04: خريطة إمارة دان فوديو

الملحق رقم 05: خريطة تقسيم الإمارة بين محمد بلو و عبد الله بن فوديو

الملحق رقم 06: أهم الأسلحة المستعملة في جيش سكوتو

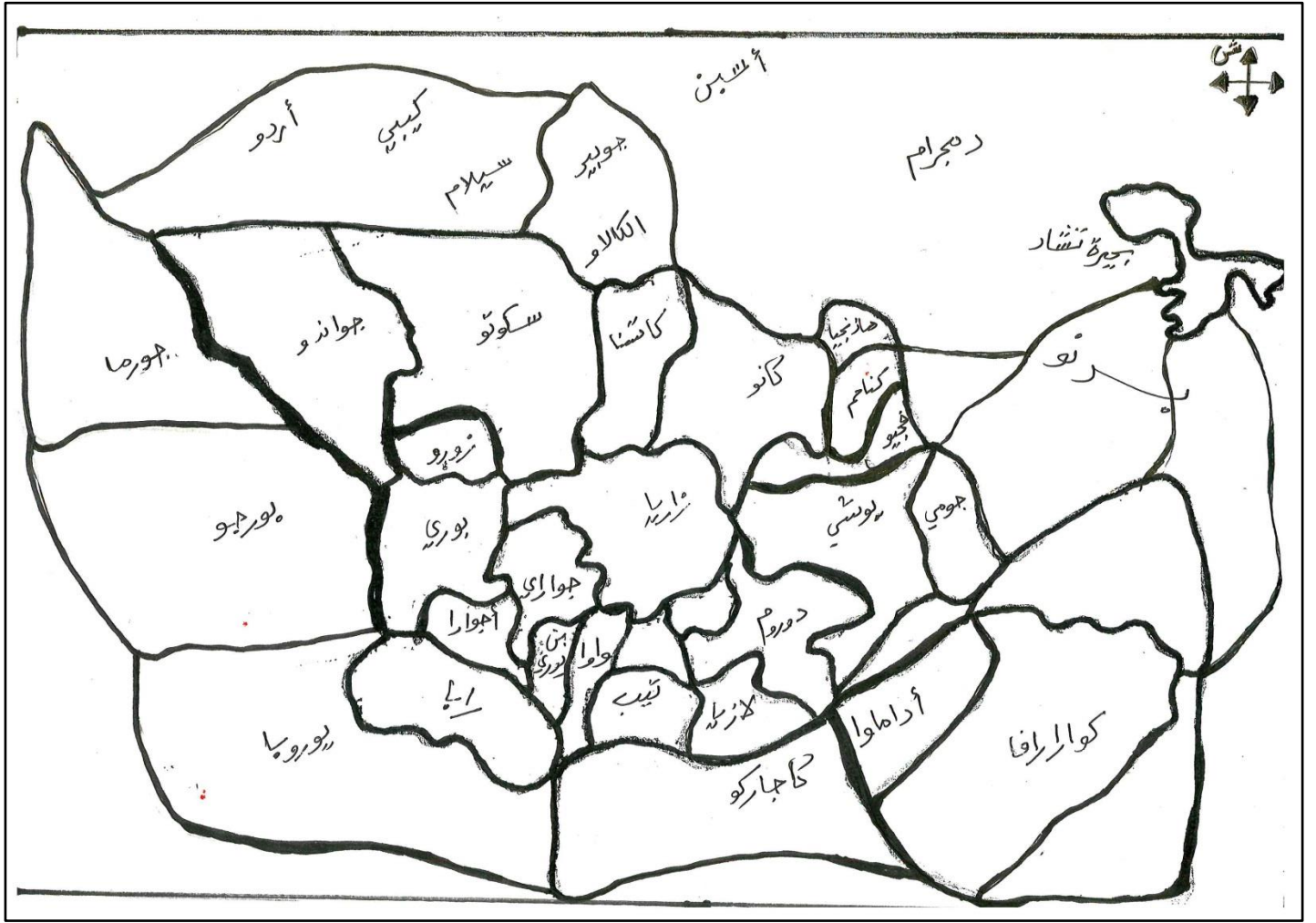
الملحق رقم 07 : خريطة أهم المدن الصناعية في دولة دان فوديو

الملحق رقم 01 : خريطة بلاد الهوسا



المرجع: خالد علي عبد القادر: المرجع السابق، ص 241-بتصرف-

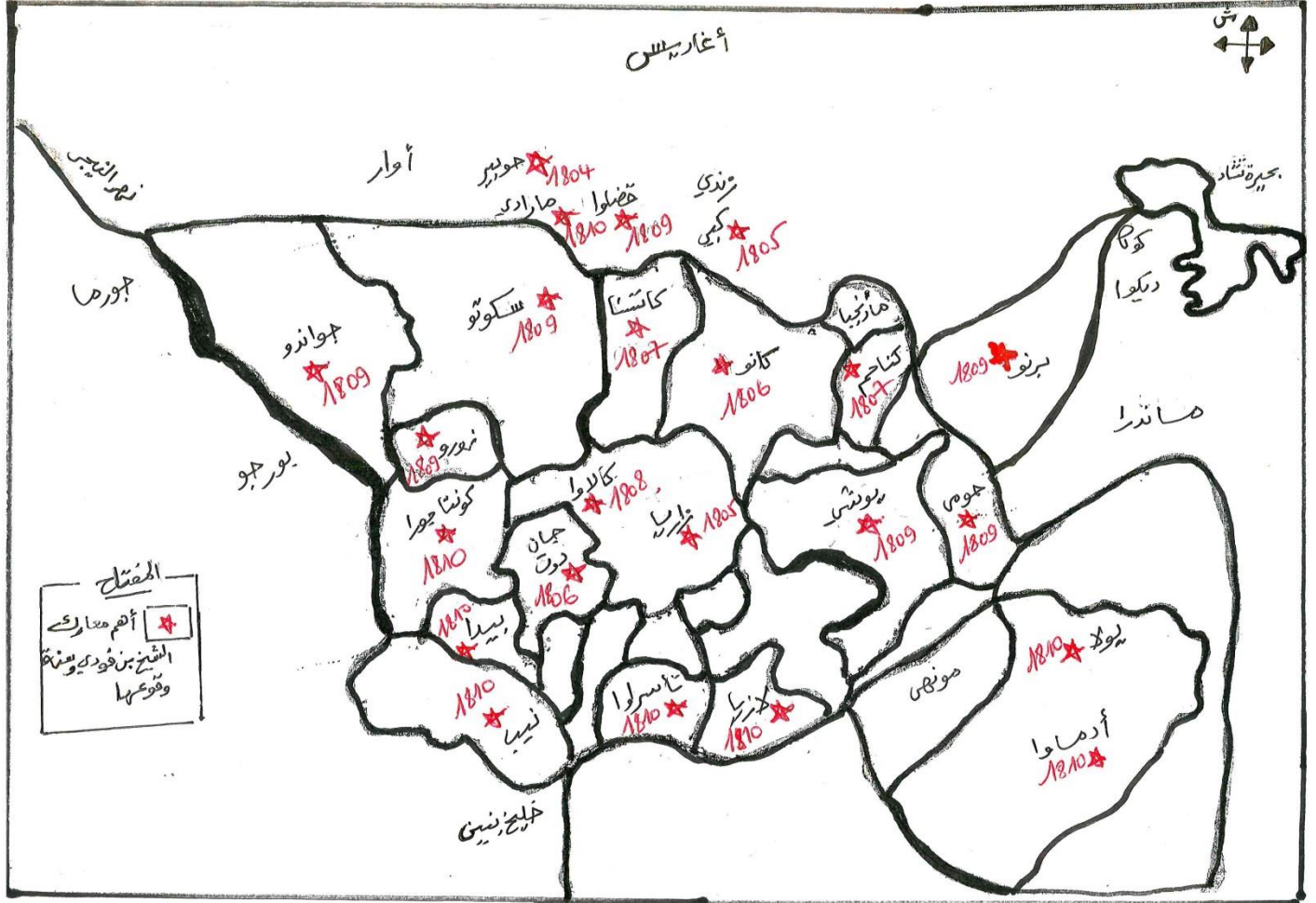
الملحق رقم 02 : خريطة إمارات الهوسا



المرجع : الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي : المرجع السابق، ص 317 -

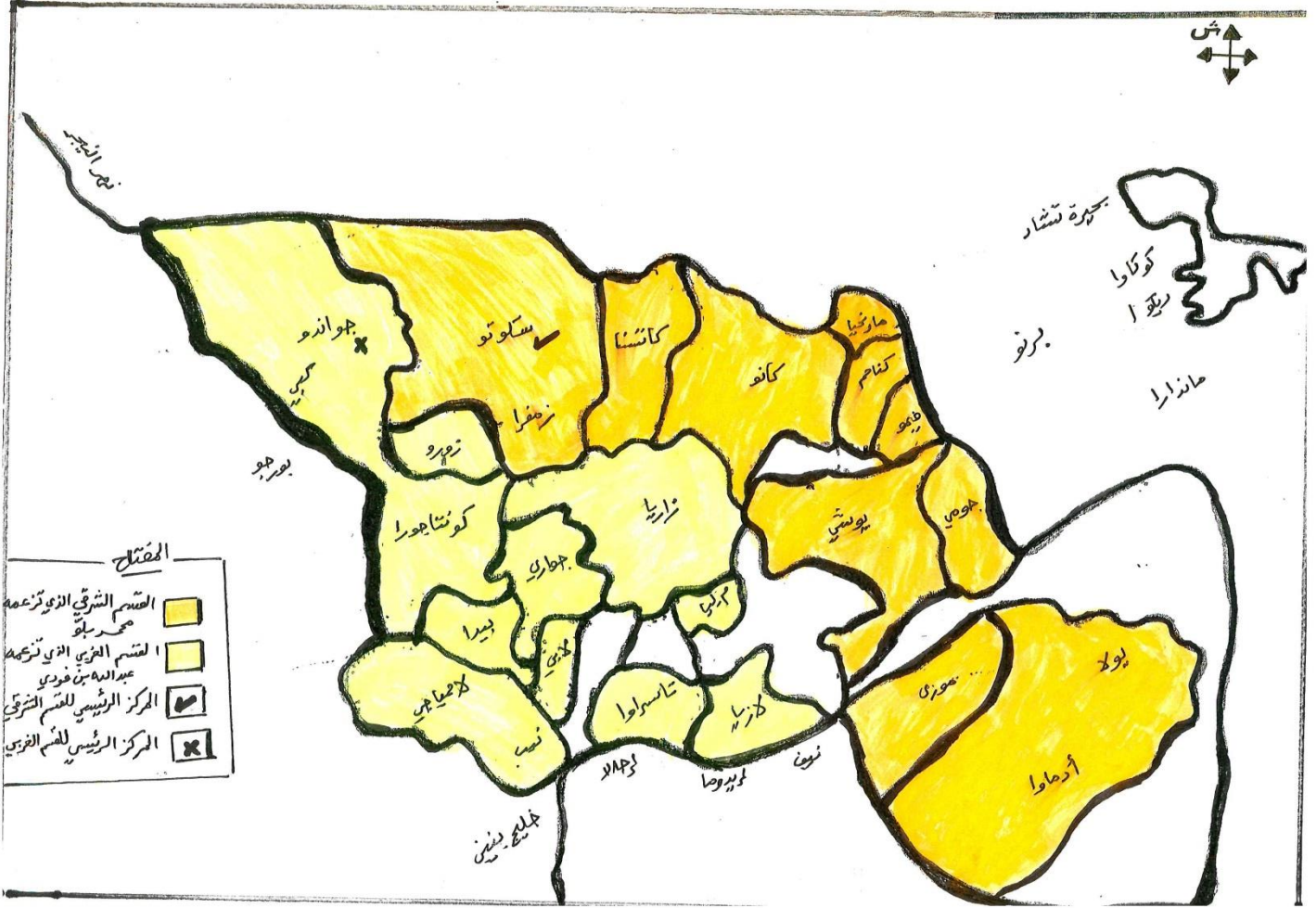
بتصرف -

الملحق رقم 03 : خريطة أهم معارك الجهاد التي قادها دان فوديو



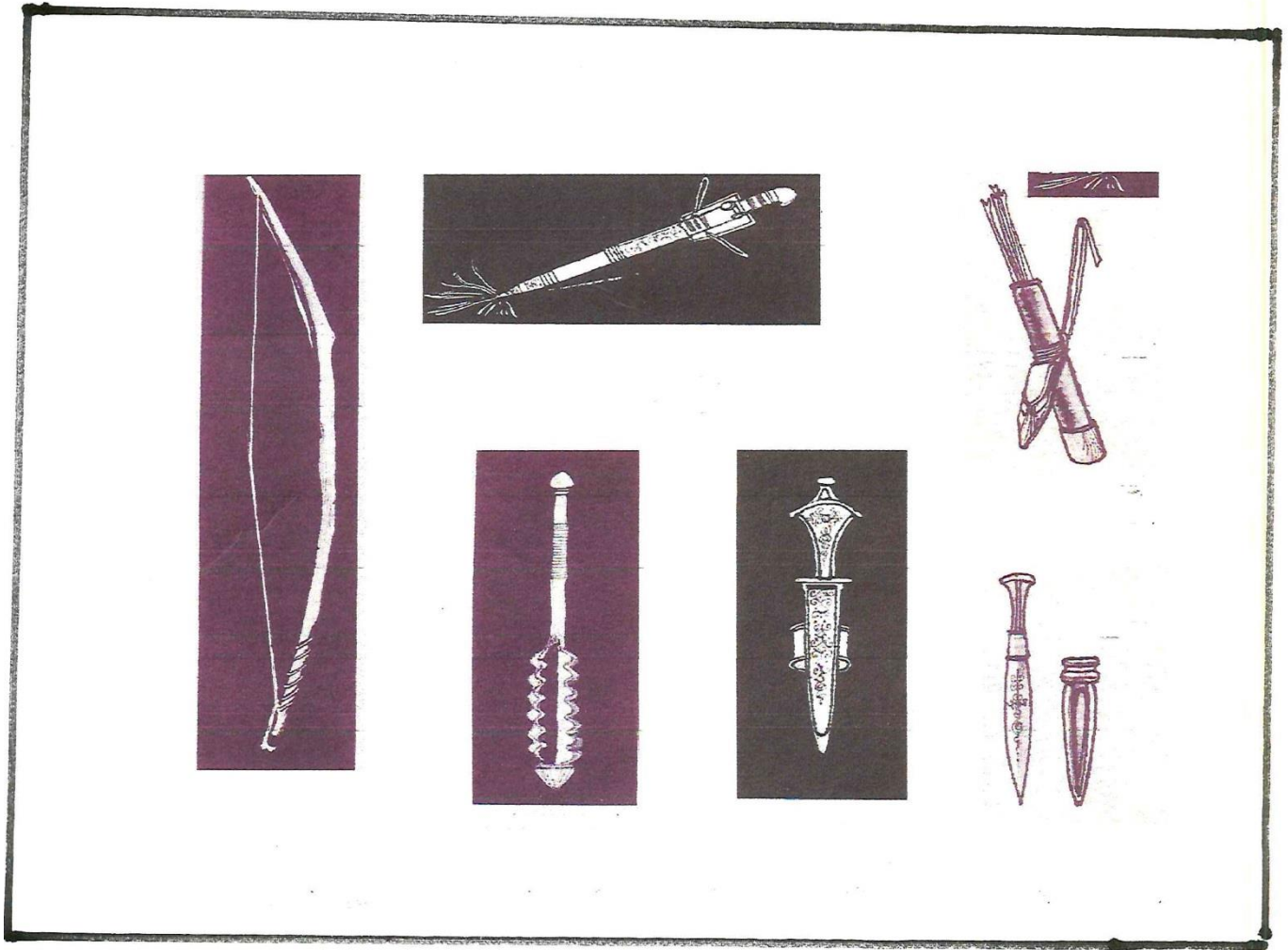
المرجع: نورة بنت معجب الحامد: المرجع السابق 54-بتصرف-

الملحق رقم 05 : خريطة تقسيم الإمارة بين محمد بلو و عبد الله بن فودي



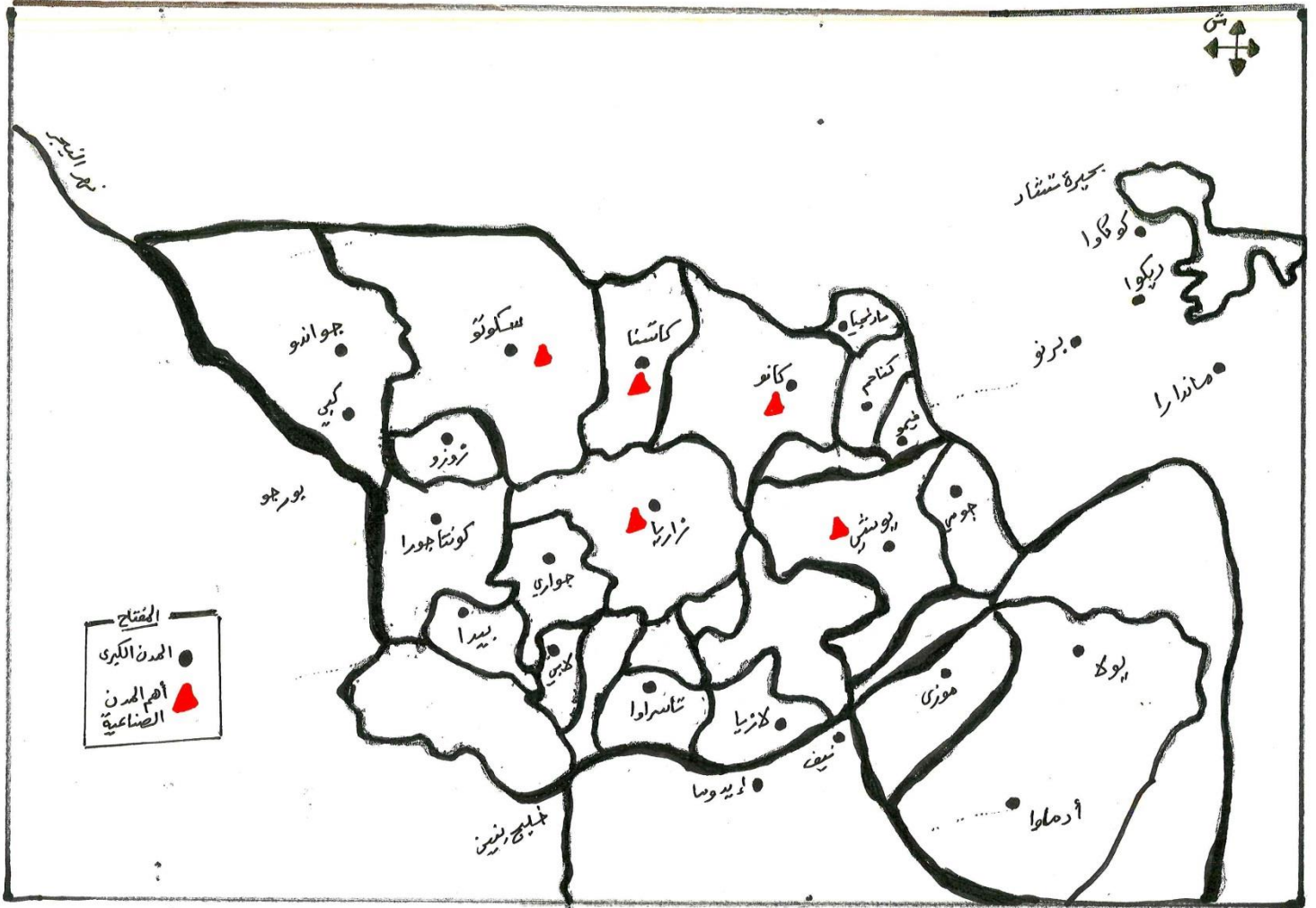
المرجع: إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 230 -بتصرف-

الملحق رقم 06: أهم الأسلحة المستعملة في جيش سكوتو



المرجع : OP-cit P 107 : Kammeche Mohmed

الملحق رقم 07: خريطة أهم المدن الصناعية في دولة دان فوديو



المرجع : الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي: المرجع السابق، ص 326 -بتصرف-

قائمة المصادر و المراجع

- . القرآن الكريم (رواية ورش بالخط المغربي).
1. الأندلسي محمد بن علي حزم : الفصل في الملل و الأهواء ، مكتبة المتن للنشر و التوزيع، بغداد العراق (د ت) ج4..
 2. الباشا إبراهيم فوزي: السودان بين يدي غردون و كنشور، (د-م-ن)، 1319هـ، ج1.
 3. الباشا سلاطين: السيف و النار في السودان، عالم الكتب للنشر و التوزيع، أمر درمان، السودان، 1978.
 4. البكري أبو عبيد الله: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، (د.ت).
 5. البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1978.
 6. بلو محمد: تاريخ الإسلام في شمال نيجيريا (إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور)، دراسة وتعليق عبد النعيم ضيفي عثمان عبد النعيم، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، 2011.
 7. التمبكتي أحمد بابا: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989.
 8. ابن تيمية أحمد: السياسة الشرعية لإصلاح الراعي و الرعية، ط4، دار الكتاب العربي، مصر 1969.
 9. ابن حجر أحمد بن علي : فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد القادر شبابة الحمد، على نفقة السلطان بن عبد العزيز آل سعود، الرياض، السعودية، 2001، ج13.

10. ابن حرازم علي: جواهر المعاني بلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، 1977، ج2.
11. الحفناوي أبو القاسم: تعريف الخلف برجال السلف، ط2، مؤسسة- الرسالة، تونس، 1985.
12. ابن فودي عبد الله: ضياء السياسات وفتاوى النوازل من هو من فروع الدين من المسائل، تحقيق وتقديم أحمد محمد كاني، الزهراء للإعلام العربي، مصر، 1988.
13. ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر 2003.
14.: العبر وديوان المبتدأ والخبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000، ج6.
15.: العبر ديوان المبتدأ والخبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للنشر و لتوزيع، بيروت، لبنان، 2000، ج1.
16. الرباطي محمد بن عبد السلام الضعيف: تاريخ الدولة السعودية، تحقيق و تعليق: أحمد العماري، دار المؤثرات لطباعة و النشر، الرباط، المغرب، 1986.
17. الرصاع محمد الأنصاري أبو عبد الله: فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1976.
18. الفشتالي عبد العزيز: مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، المغرب، 1972.
19. الزياني أبو القائم بن أحمد بن علي بن ابراهيم: جمهرة التيجان و فهرسة الياقوت و اللؤلؤ و المرجان في ذكر ملوك و أشياخ السلطان المولى سليمان، تقديم و تحقيق: " عبد المجيد خيالي، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 2006.
20. السعدي عبد الرحمان: تاريخ السودان، تحقيق حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2012.

21. السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناهري، دار الكتاب و التوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ج2.
22. السيوطي جلال الدين عبد الرحمان: لبّ اللّباب في تحرير الأنساب، تحقيق وإشراف محمّد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1991، ج2.
23. الطبري أبو جعفر محمد: تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1979، ج 6.
24. العمري شهاب الدين أحمد بن فضل الله: مسالك الأنصار في ممالك الأمصار، تحقيق حمزة أحمد عباس، أبوظبي، الإمارات، 2002، ج4.
25. الفاسي أبو القاسم إبراهيم بن محمد (الإصطخري): المسالك والممالك، تحقيق محمد صبار، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، مصر، 1961.
26. ابن فودي عثمان : بيان وجوب هجرة العباد و بيان وجوب نص الإمام و إقامة الجهاد، تحقيق فتحي المصري، دار جامعة الخرطوم، السودان، 1977.
27.: إحياء الشنة و إخماد البدعة، ط2، مراجعة و تعليق محمد البهي، مكتبة الازهر للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، 1962.
28.: الوصية الرضية من الراعي إلى الرعية (نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان)، تقديم و تعليق: أحمد مصطفى أبو الخير، مراكز أبحاث الوثائق و المخطوطات، دمياط، مصر، 1995.
29.: تحفة الأحياب بأدلة كتاب نور الألباب ، مراجعة وتحقيق: محمّد المنصور إبراهيم ومحمّد مودي شوني ،مركز الصحابة للنشر والتوزيع، سكتو، نيجيريا، 2012.

30.: سوق الأمة إلى إتباع السنة ، مراجعة وتعليق: الشيخ أبو ألفا محمد شريف بن فريد بروكس، جامعة الخرطوم ، السودان، 2002.
31.: فتح البصائر، تحقيق سيني موموني، سالو الحسن، ليون، فرنسا، 2011.
32. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس لمحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998.
33. القزويني زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد و أخبار العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1969 .
34. القلقشندي أبي العباس أحمد: صبح الأعشا في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، 1915، ج5.
35. كعت محمد: تاريخ الفتاش: بردين للنشر والتوزيع، فرنسا، 1913.
36. الماجور دنهام و هيو كلابرتون و ولتر أودني: رحلة لاستكشاف إفريقيا، ترجمة عبد الله عبد الرزاق إبراهيم و شوقي عطا الله الجمل، المشروع القومي للترجمة، مصر، 2002، ج1.
37. محمد الصغير: روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف، ط2، تحقيق: عبد الوهاب منصور، مطبعة اليفراني للنشر و التوزيع، الرباط، المغرب، 1995.
38. المغيلي محمد بن عبد الكريم: أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي، تحقيق: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974.
39.: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974.
40. ابن منظور جمال الدين: لسان العرب، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1999، ج3.

41. الوزان حسن: وصف إفريقيا، ط2، ترجمة محمد صجي، محمد الخضر، منشورات الجمعية المغربية، المغرب، 1983.

ثانيا: المراجع باللغة العربية:

1. ابراهيم عبد الله الرزاق و شوقي الجمل: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث و المعاصر، القاهرة 1998 .
2. ابراهيم عبد الله عبد الرزاق: الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا، مكتبة الأنجلو مصريّة، القاهرة، مصر، 1984.
3.: الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا في القرن 19م ، منشورات معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، مصر، 1983.
4.: الصوفيّة والمجتمع في غرب إفريقيا، المكتب المصري للمطبوعات، القاهرة، مصر، 1999.
5.: المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الكويت، 1989.
6. ابراهيم عبد الله عبد الماجد: الغربة- الجماعات من غرب إفريقيا و استوطنت السودان وادي النيل و دورهم في تكوين الهوية السودانية- دار الحاوي للنشر و التوزيع(د-م-ن)، 1998.
7. أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، كلمات للترجمة والنشر، مصر، 2011.
8. أحمد بوعتروس: الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء 13 هـ/ 19م، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2009.

9. أدامو مهدي: الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط، تاريخ إفريقيا العام، لبنان، 1994، ج4.
10. أسبر أمير: إفريقيا والعرب، دار الحقائق للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1980.
11. أكناتة ولد النقرة: الطوارق من الهوية إلى القضية، طوب بريش للنشر و التوزيع، الرباط، المغرب، 2014.
12. ألبرتو باتكتث - فيكيروا: طوارق، ترجمة عبدو زغبور، ورد للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سوريا، 2004.
13. الألوري آدم: موجز تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان 1965
14.: الإسلام في نيجيريا و الشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، تقديم عبد الحفيظ أولاد دوسو، دار الكتاب المصري، الإسكندرية، مصر، 2004.
15. انجود إبراهيم أبو بكر: مؤلفات علماء نيجيريا، منشورات جامعة ميدغري، نيجيريا، 2016.
16. الباري علي محمد الفاضل و سعيد إبراهيم كريدة: المسلمون في غرب إفريقيا (تاريخ وحضارة)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971.
17. بازينة عبد الله سالم: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، منشورات جامعة 17 أكتوبر، مصراتة، ليبيا، 2010
18. بالعالم محمد باي: قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
19. البدوي أحمد محمد: أوراق عربية في صكتو، ط2، منشورات قار يونس، بنغاري، ليبيا، 1991.
20. بدوي عبده: شخصيات إفريقية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، 1991.

21. برايما باري عثمان : جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع الإسكندرية مصر، 2000م.
22. البرني محمد جوف: تاريخ المدارس القرآنية بغرب إفريقيا، مكتبة محمد جوف، السنغال، 1998
23. البصيلي عبد الجليل الشاطر: معالم تاريخ وادي النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر، القاهرة، مصر، 1956.
24. بطران عزيز: الثورات الإسلامية في إفريقيا الغربية في القرن التاسع عشر، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، لبنان، 1996، المجلد 6.
25. بمبا آدم: الفكر التربوي عند الشيخ عثمان دان فوديو، منشورات جامعة ملايا، كوالالمبور، ماليزيا، 2016.
26. بوصفصاف عبد الكريم: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931-1945)، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1966.
27. بوعزيز يحي: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ج2.
28.: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية مع مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، 2001.
29. بولم ونيس: الحضارات القديمة، ترجمة علي شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1974.
30. التاويل محمد: خصائص المذهب المالكي، مطبعة أنفو برنت فاس، المغرب الأقصى، 2014.

31. توماس أربولوند: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة وتعليق: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1971.
32. جاسم محمد ظاهر: إفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال (دراسة تاريخية)، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، 2003.
33. الجمل شوقي، إبراهيم عبد الله عبد الرزاق: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط 2، الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2002.
34. الجمل شوقي عطا الله: تاريخ السودان وادي النيل، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، 2000.
35. الجندي أنور: العالم الإسلامي لاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1979م.
36. الجنيد مصباح الدين: الشيخ محمد بن فودي الفولاني وعقيدته على ضوء الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، السعودية، 1982.
37. جودة حسين جودة: قارة إفريقيا - دراسة في الجغرافيا الإقليمية - دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2000.
38. حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1964.
39. حسن محمد نبيلة: في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د - ت).
40. حسن مكي محمد أحمد: مكانة الشيخ عثمان بن فودي بين رجال الفكر و الدعوة و الدولة في الإسلام، الندوة العالمية، الخرطوم، السودان، 1995.
41. حسين عبد الله: السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، مصر، 2012، ج1.

42. الحسيني القوي ابراهيم صالح: تاريخ الإسلام و حياة العرب في إمبراطورية
كانم و برنو، مطبعة مصطفى الباب الحلبي و أولاده، القاهرة، مصر، 1876م.
43. حماه الله ولد السالم: صحراء المثلثين وبلاد السودان في نصوص الجغرافيين
والمؤرخين العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2012.
44. خالد أبو بكر: من كفاح في إفريقيا الغربية الحاج عمر الفوتي - حياته وجهاده
- ط5، منشورات المعهد الموريتاني للبعث العلمي ، موريتانيا، 1980.
45. خالد علي عبد القادر: انتشار الإسلام في إمارات الهوسا بالنيجر ونيجيريا وأثره
على الحياة الاقتصادية و الإجتماعية، دار المفكر العربي، القاهرة، مصر، 2014.
46. الدالي الهادي مبروك: التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا فيما وراء
الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية
اللبنانية، القاهرة، مصر، 1999.
47. د-لايا: دول الهوسا، تاريخ إفريقيا العام، اليونيسكو، لبنان، 1992، المجلد5.
48. دياب احمد إبراهيم: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث ، دار المريخ ،
الرياض، السعودية، 1981.
49. ديقودي طوريس: تاريخ الشرفاء، ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر،
مطبعة سلا للطباعة و النشر، الدار البيضاء، المغرب، (د.ت).
50. ذهني إهام محمد علي: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد
الاستعمار الفرنسي (1850 - 1914م)، دار المريخ، الرياض، السعودية، 1988.
51. أبو رملة محمد: استواء الله على العرش، دار الإسلام للنشر و التوزيع،
السعودية، 2010.
52. رياض زاهر: الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر
الصحراء الكبرى، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، 1968.

53. زايد أسماء موسى: الصلات التجارية بين بلاد المغرب الأقصى والسودان الغربي في عصر المرابطين، منشورات جامعة 7 أكتوبر، ليبيا، 2008.
54. زيادية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989 .
55. دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين ، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2010.
56. زكري دراماني - إيسيفو: الإسلام كنظام اجتماعي في إفريقيا منذ القرن السابع الميلادي، تاريخ إفريقيا العام، اليونيسكو، باريس، فرنسا، 1997، ج3.
57. زكي عبد الرحمان: تاريخ انتشار الإسلام في غرب إفريقيا، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة، مصر، (د- ت).
58. زلفو عصمت: كروي- تحليل عسكري لمعركة أم درمان - المطبعة العسكرية، أم درمان، السودان، 1973.
59. زناتي محمد سلام: الإسلام و التقاليد القبلية في إفريقيا، دار النهضة العربية للطباعة و النشر و التوزيع، الكويت، 1969.
60. سالم حماه الله : صحراء الملثمين وبلاد السودان في نصوص الجغرافيين والمؤرخين العرب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.
61. سلمان محمد بن عبد الله بن سليمان: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، منشورات جامعة أم القرى، السعودية، 1982م.
62. سليم محمد ابراهيم: بحوث و تاريخ السودان، دار الجيل للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1992.
63. شاكور محمود: التشاد، وزارة المعارف السعودية، السعودية، 1972م.
64.: السودان، ط2، المكتب الإسلامي للنشر و التوزيع، دمشق، سوريا، 1981.

65.: نيجيريا، ط2، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،
1971.
66. الشريف محمد بن موسى: عظماء منسيون في التاريخ الحديث، الرياض، السعودية، (د
ت).
67. شعبان ماهر: مصادر دراسة التاريخ جنوب وغرب إفريقيا : دار المعرفة العلميّة
، مصر ، 2011.
68. شقرون محمود: الإسلام الأسود، دار الطليعة للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان،
2007.
69. صبري صلاح: إفريقيا وراء الصحراء، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر،
1960.
70. صقر جوزف: قصة و تاريخ الحضارات العربية، اللجنة العالمية للنشر، بيروت،
لبنان، 1998، ج19.
71. طرخان إبراهيم علي: إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة
الكتاب، القاهرة، مصر، 1975.
72. عباس محمد جلال: المد الإسلامي في إفريقيا، دار المختار الإسلامي للطباعة
والنشر، القاهرة، مصر، 1978.
73. عبد القادر عثمان إسماعيل: الشيخ عبد الله بن فودي الفلاني وجهوده في
خدمة القرآن الكريم وعلومه، منشورات جامعة ملايا، ماليزيا، (د-ت).
74. عبد الهادي جمال: المجتمع الإسلامي المعاصر، دار الوفاء للنشر والتوزيع،
القاهرة، مصر، 1995 .
75. العبودي محمد بن ناصر : قصة سفر في نيجيريا، دار الإسلام للنشر
والتوزيع، الرياض، السعودية، 2015، ج2.

76. العربي إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986
77. العصيمي فهد: الإسلام في نيجيريا، مكتبة وهبة للنشر و التوزيع، السعودية، 1985.
78. عطا الله شوقي و ابراهيم عبد الله عبد الرزاق: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط2، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2002.
79. عيانة فتحي محمد: جغرافية إفريقيا، دار الجامعة المصرية، الإسكندرية، 1983.
80. الغربي محمد : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، دار الرشيد للنشر و التوزيع، العراق، 1982.
81. الغنيمي عبد الفتاح: حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مكتبة نهضة الشروق القاهرة، مصر، 1985.
82. فضل حسن يوسف: دراسات في تاريخ السودان وإفريقيا وبلاد المغرب، دار جامعة الخرطوم للنشر والتوزيع، الخرطوم، السودان، 1989.
83. الفلاتي الطيب عبد الرحيم محمد: الفلاتة في إفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنمية في السودان، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1994.
84. في جي دي: تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة وتقديم وتعليق: يوسف نصر، بهجة رياض، دار المعارف للنشر والتوزيع، جامعة أسيوط، مصر، 1982.
85. الفيتوري عطية مخزوم: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)، منشورات جامعة قاريوس، بنغازي، ليبيا، 1998.
86. فيصل محمد موسى: موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات قاريونس ، بنغازي، ليبيا، 1997 .

87. قداح نعيم: حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، ط2، الشركو الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ، ت).
88. القدّال محمد سعيد: الإمام المهدي محمد أحمد بن عبد الله (1844-1885م)، دار الجيل للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1992.
89. القشاط محمد سعيد: أعلام من الصحراء، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1997.
90. قطش الهادي: أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى للنشر والتوزيع عين مليلة، الجزائر، 2003.
91. كاني أحمد محمد: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، الزهراء للإعلام العربي ، مصر، 1987.
92. كلو هارون إبراهيم : الشيخ عبد الله بن فودي وجهوده العلميّة من خلال مؤلّفه مصباح الرّوي في مصطلح الحديث، منشورات جامعة السودان للنّشر والتّوزيع، الخرطوم، السودان، 2011.
93. لواء الدين أحمد محمد: الإسلام في نيجيريا و دور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص 138.
94. الماحي عبد الرّحمان : الدّعوة الإسلاميّة في إفريقيا الواقع والمستقبل، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1992 .
95. مادهو بانيكار: الوثنية والإسلام، ط2، ترجمة أحمد فؤاد بليغ، المجلس الأعلى للاشتقاق ، القاهرة، مصر، 1998.
96. مجاهد حورية توفيق: الإسلام في إفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، 2002.
97. محمد إبراهيم أبو مسلم: بحوث في تاريخ السودان (الراضي، الخلافة، العلماء، بربر)، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1992.

98. محمد بن عبد الله بن سليمان السلماني، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، منشورات جامعة أم القرى، السعودية، 1982م.
99. محمد عدري بشير: تاريخ الحركة الوطنية في السودان (1900-1969م)، الدراسات السودانية للكتب، السودان، 1980.
100. محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الإفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، 1965.
101. محمد محبوب مالك: المقاومة الداخلية لحركة المهديّة (1881-1898م)، دار الجيل للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1987.
102. محمود حسن أحمد: الإسلام والثقافة العربيّة في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1987م.
103. المديني توفيق: تاريخ الصراعات السياسية في السودان و الصومال، منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق، سوريا، 2012.
104. مرشد عبد العزيز بن محمد: نظام الحسبة في الإسلام، منشورات جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية السعودية، 1393
105. مقدم مبروك: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا الغربية في القرن 9هـ - 15م، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2004.
106. م-لاست: دولة الخلافة في سكوتو و بلاد الیورنو، تاريخ إفريقيا العام، الیونسكو، لبنان، 1996، المجلد 6.
107. موسی ابن محمد یوسف: نظام الحكم في الإسلام، ط2، دار المعرفة للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، (د ت).
108. موسی عایدة: تجارة العبيد في إفريقيا، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009.

109. مؤنس حسين: أطلس العالم الإسلامي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1987.
110. ناجي علي أيوب: لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم، دار الكتاب الحديث الكويت، 1996.
111. نبيلة حسن محمد: تاريخ إفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2007.
112. الندوي أبي الحسن علي الحسن: محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، جمع وتحقيق السيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2001، ج1.
113. هلال عمار: الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، منشورات دار الثقافة، الجزائر، 1984.
114. هوبيرد ديشان: الديانات في إفريقيا السوداء، ترجمة أحمد صادق حمدي، مراجعة وتقديم محمد عبد الله دراز ومصطفى لبيب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2011.
115. هويكنر، أ.ج: التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، ترجمة أحمد فؤاد بليغ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 1998.
116. الوائلي طاهر يوسف و إلهام محمود الجادر: الإمبراطورية الفولانية الإسلامية و تصديها للاحتلال البريطاني في غرب إفريقيا، منشورات جامعة الكوفة، العراق، (د-ت-ن).
117. ياغي إسماعيل أحمد: تاريخ العالم الإسلامي الحديث و المعاصر، دار المريخ للنشر و التوزيع، الرياض، السعودية، 1993، ج2.
118. يحي محمد الأمين: تحفة وزراء صكتو في الثقافة العربية الإسلامية، ط2، مركز الدراسات الإسلامية، صكتو، نيجيريا، 2009.

119. يحيى جلال: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1999.
120. يوسف محمد خير رمضان: المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن في التاريخ الإسلامي، ط2، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000.

المجلات

1. ابراهيم عبد الله عبد الرزاق: حركة الشيخ عثمان في غرب إفريقيا و آثارها الدينية، حوليات كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، العدد5، جامعة قطر، 1992.
2.: حركة الشيخ عثمان في غرب إفريقيا و آثارها الدينية، حوليات كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعيّة، العدد 5، جامعة قطر، الدوحة، 1992.
3. إبراهيم عمر إلياس: دور الحجيج في نشر اللغة العربية و الثقافة الإسلامية في مملكة الكانم و البرنو، منشورات قسم الدراسات العربية، جامعة ميدغري، نيجيريا، (د.ت).
4. أبكين موسى عبد السلام مصطفى: اللغة العربية في نيجيريا بين الأمس و اليوم، مجلة مجتمع اللغة العربية الأردني، العدد 81، الأردن 2011.
5. أبولاجي عبد الرزاق علي: مفاهيم يجب أن تصحح حول تعليم اللغة العربية في نيجيريا، مجلة قراءات إفريقية، العدد: 18، الرياض، السعودية، 2013.
6. أجطل عبد العظيم محمد: المفسر عبد الله بن فودة وأثره الديني في نيجيريا الإسلامية، مجلة الساتل، (د.ع)، جامعة مصراتة، ليبيا، (د.ت).
7. أحمد محمد هيفاء: ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في نيجيريا: دراسة في حركة دلتا نهر النيجر، "مجلة دراسات دولية، العدد 46، (د.ت).

8. -ارون المهدي: التاريخ الإسلامي في غرب إفريقيا تحت مطارق الباحثين، مجلة قراءات إفريقية العدد 01، الرياض، السعودية، 2004.
9. أسامة عبد الله محمد الأمين: الحركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية (1168-1232هـ / 1754-1817م)، مجلة كان التاريخية، العدد 26، الكويت، ديسمبر، 2014.
10. بكرابي رقية: حركة الشيخ عثمان بغرب إفريقيا، مجلة الدراسات التاريخية و القانونية، العدد (1،2)، المركز الجامعي بتندوف الجزائر، 2016.
11. بمبا آدم: الهجرة في واقع الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، مجلة قراءات إفريقية، العدد 07، الرياض، السعودية، 2011.
12. بوسليم صالح وميلود ميسوم: الحركة السنوسية وامتدادها عبر الصحراء الكبرى، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد: 15، غرداية، الجزائر، 2011.
13. بوسليماني عبد الرحمان: التراث العربي الإسلامي في شرق إفريقيا و غربها (دراسة تاريخها)، مجلتها الدراسات الإفريقية، العدد 4، الجزائر 2014.
14. الحامد نورة بنت معجب: دعوة الشيخ عثمان بن فودي بنيجيريا عام 1202 هـ / 1788م وتأثيرها بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، مجلة الإمام، العدد: 7، 1439 هـ.
15. خالد حسن عبد الله: التعليم العربي الإسلامي في نيجيريا، مجلة قراءات إفريقية، العدد 15، الرياض، السعودية، 2008.
16. خالد مسعود: محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره الإصلاحي في السودان الغربي، مجلة كان التاريخية العدد 26، دار الكتب والوثائق المصرية، ديسمبر 2014.
17. خضر عبد الباقي محمد: التجديد و الإصلاح الديني في غرب إفريقيا، مجلة الوعي الإسلامي، (دع)، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، الكويت، 2010.

18. زاكى عبد الرّحمان: حركة الإصلاح الدّيني في غرب إفريقيا، مجلّة المعهد المصري للدراسات الإسلاميّة، العدد 13، مدريد ، إسبانيا، 22 أكتوبر 1999 .
19. ساتي مهدي: الداعية الشيخ آدم الألوري "حياته وآثاره العلميّة"، مجلّة داسات دعوية، العدد: 8 ، جامعة الحكمة الإسلاميّة، ألورن، نيجيريا ،2004.
20. سيد علي أبو فرحة: المسلمون في نيجيريا و إشكالية بناء الدولة ، مجلّة قراءات إفريقية ،العدد 11 ، الرياض، السعوديّة، 2010.
21. طرخان ابراهيم: إمبراطوريّة الفلانين الإسلاميّة، مجلّة كليّة الآداب، العدد 6، جامعة الرياض السّعوديّة، 1979.
22. عبد الله بن عمر: تجربة الإصلاح في فكر الحاج عمر بن سعيد الفوتي في بلاد السودان الغربي، مجلّة دراسات إفريقيّة، العدد50، مركز البحوث والدراسات الإفريقيّة، جامعة إفريقيا العالميّة، السودان، 2013.
23. علي يعقوب : الخلافة العثمانية في سكت (sokoto) و دورها في غرب إفريقيا، مجلّة قراءات إفريقية، العدد 11، الرياض السعوديّة، 2012.
24. : جمهور العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الإسلاميّة و العربية (غرب إفريقيا نموذجاً)، مجلّة قراءات إفريقية، العدد 03، الرياض، السعوديّة، 2008.
25. : جهود العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الإسلاميّة العربيّة غرب إفريقيا نموذجاً، مجلّة قراءات إفريقية، العدد8، الرياض، السعوديّة، 1996.
26. : حياة الشيخ أحمد حمدي ليو و دولته الإسلاميّة في ماسينا، مجلّة قراءات إفريقية، العدد8، الرياض، السعوديّة، 2011.
27. عمر موسى محمد الثاني : الشيخ عثمان بن فودي والطريق لاستعادة الهويّة ، مجلّة قراءات إفريقية، العدد 1 ،الرياض، السّعوديّة، 1996.
28. فاتح الشيخ يوسف: مظاهر الحضارة الإسلاميّة في الممالك الإفريقية، مجلّة قراءات إفريقية، العدد 14، الرياض السعوديّة، 2008.

29. فودو خليل محمد عثمان و قاسم إبراهيم : دور الشيخ عبد الله الألوري في تحقيق المخطوطات العربية في نيجيريا: قصيدة الشيخ عبد الرحمان الثعالبي الجزائري نموذجاً، مجلة رفوف، العدد 3، أدرار، الجزائر، (د ت).
30. كلو هارون ابراهيم: الشيخ عبد الله بن فودي ومساهمته في مجال علم مصطلح الحديث، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، العدد 02، منشورات جامعة السودان، 2011.
31. كلود الدكو فضل علي: العلماء الأفارقة في غرب إفريقيا، حوليات الجامعة الإسلامية، العدد 01، النيجر 1995.
32. مجاهد حورية: تاريخ انتشار الإسلام (الأبعاد والوسائل)، مجلة قراءات إفريقية، العدد 06، الرياض، السعودية، 2010.
33. محمد الرابع أول سعاد، المرأة و التعليم الإسلامي العربي في إفريقيا (نيجيريا نموذجاً)، مجلة قراءات إفريقية، العدد 12، الرياض، السعودية، 2008.
34. محمد سعيد مصطفى: الإسلام و حركة الفلان الإصلاحية في غرب إفريقيا، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، (د - ع)، السودان، 1986.
35. محمود الحسن ثريا و إزهار غازي مطر: إمارات الهوسا في التاريخ الحضاري الثقافي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 21، جامعة بابل، العراق، 2014، المجلد 1.
36. مصطفىاوي سعاد : دور الحضارة الإسلامية في تطوير الحركة العلمية في غرب إفريقيا ، مجلة الدراسات الإفريقية العدد 01 ، ماي 2014 .
37. : دور الحضارة العربية الإسلامية في تطوير الحركة العلمية في غرب إفريقيا، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 14، الجزائر، 2012.
38. موسى ابن محمد يوسف: نظام الحكم في الإسلام، ط2، دار المعرفة للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، (د ت).

39. ميغا هارون المهدي : المراسلات العلمية و أثرها التعليمي و الدعوي بغرب إفريقيا،
مجلة قراءات إفريقية، العدد 03، الرياض، السعودية، 2008.
40. : المراسلات العلمية لعلماء غرب إفريقيا في العصر الحديث و آثارها
العلمية و الاجتماعية، مجلة قراءات إفريقية، العدد 17، الرياض، السعودية، 2013.
41. يعقوب علي: حياة الشيخ أحمد حمدي ليو ودولته الإسلامية في ماسينيا ، مجلة
قراءات إفريقية، العدد 8، الرياض، السعودية، 2011، ص 5 .

المراجع باللغة الأجنبية:

1. -HOLT.P.M : The Mahdiste state in the sudan (1881-1898),
oxford university, britain,1958.
2. R- Slatin pacha : Fer et Feu au soudan, Traduction de G.
Bettex, Marnes, Editeur 26 Rue Paris, 1898.
3. Wingate ,Major .F.R : Mahdisme and Egyptian Soudan,
Macmillan and co and New York , London, Britain, 1981.
4. -Youssef Adel Hassan: Som aspects of the relation shap
between centra and Weston bilard AL- Sudan- Volex-doc-
1993
5. -S-Bio Baku and M-A-AL Hajj : The Soudan, Mahdia and the
Niger- Chadi Region, In Islam in Tropical afrique, I-M. Lewis,
ed -OUP, london,1966.
6. -TYAM : la vie d'EL Hajj Omar qacida en poular, Paris institut
d'Ethnologiers.

7. –Person (Yves) : DU Soudan nigérien à la cote atlantique, in histoire générale de l’Afrique noire, G.A.N, de 1700 à, nos jours, paris, 1971.
8. Smith : the contemporary significance of the academic ideals of the sokoto jihad, i, y.b usman(ed) the socoto caliphate–lagos,1979.
9. –Kameche Mohammad : The shehu uthuman danfadio the reformer the renovator and the founder of the sokoto caliphate (1774–1817),Athesis for the degree of Magister of Arts in african civilisation, University of ORAN–Algeria.2008/2009.
10. j–d, Fage And Rolond Oliver: The History of Africa, Cambridge university press,2008.
11. Abdul azim Islamic : shehu uthmam dan fadio and his economic, ideas, MPRA, Paper NO. 40916, Munich Personal Repec Archive, 2012.
12. Robert (B) : Histoire de l’islam au Tchad, paris, S.L, 1970.
13. –Palmer, H.R : Sudanese Memoirs, Frak cass and CO. LTD, London, Vol 3, 1967.
14. –Bovill, E.W : The Golden Trade of the moors (N.Y.1958).

15. Carbon (H) : La region du tchad et du Ouadai , T.H, Paris, Ierrouts, 1912.
16. Morice Delafosse : les Noirs de l’afrique, Payet et cie, paris, 1999
17. –Asson et clerici : Histoire des peuples noires, 1959 Abidjan.
18. –M. Crowder : West africa under colonial Rule, Hutchinson of london, 1968.
19. –Temes Curry : The history of islam in africa, ohion university Press, David Plilip, london, 1999.
20. –T.W. Arold.M.A. Cie : The preching of islam, secondedition, London, 1913.
21. Trimmingham (z/j):History of islam in west Africa, Campridge University.Press.London, 2014.
22. –M.Hiskett: The sword of the truth,Oxford University.Press. London 1973.
23. M. Hiskett : stata of learninganong the Fulani, bulletin of soas, Oxford University.Press. London. 1957.vol(xix).
24. Abderahman essadi : tharikttes Soudan, paris, 1981.
25. –joseph–kizerbo : histoire de l algerie de l afrique noir d’ hier a dimain , librie hatier ,baris.
26. –cheikh hamidou kanie,Georges balandier :lèpopee dèlhadj oumar, le point references,nombre 2012.

27. –djibril tamsia mine, j–suret : histor de l afrique occidentale, canal presence afrique, 1961.
28. –Amadon patè bah:lèmpire peul du macina ,paris, 1956
29. W–July.rebert: histoire des Peuples d’afique.tome 2,nouveaux horigon.s.e.200.1997.
30. –Hogben,S.T : Au Interoduction to the history of the islamic states of nothern nigeria, Oxford university, press, 1967.
31. –y.urvoy :histoire population du soudancentral colonic du niger ;libraire larose ;paris ,1936.
32. –Rebert et Marienne cornevin : Histoire de l’afrique des origines à nos jours, 2 édition, petit bibliothèque payot, Paris, 1966.

الندوات والملتقيات:

1. أبو منقة محمد الأمين: التراث العربي الإسلامي في شرق إفريقيا و غربها (دراسة مقارنة)، الندوة الدولية حول الحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا، كمبالا، أوغندا، 2003.
2. أحمد عثمان عبد الرحمان: مفاهيم وآليات امتلاك السلطة السياسية بين حركتي الإخوان المسلمين والشيخ عثمان دان فوديو، الندوة العالمية، الخرطوم، السودان، 19-21 نوفمبر، 1995.
3. أحمد عمر عبيد الله: الأسس التربوية لحركة التجديد عند الشيخ عثمان دان فوديو، الندوة العالمية ، الخرطوم ، السودان، 19_21 نوفمبر 1995.

4. أحمدون عبد الخالق: التواصل الحضاري بين المغرب و البلدان الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى من خلال وثيقة فقهية ، أعمال ندوة التواصل الثقافي و الاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس، ليبيا ، ما بين 12-14 ماي 1988.
5. بيلي عثمان سيد أحمد إسماعيل: ملاحظات و خواطر حول الحياة الفكرية في الخلافة العثمانية الصكتية (القرن الثالث عشر الهجري-التاسع عشر ميلادي)، ندوة التواصل الثقافي الاجتماعية بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ما بين 12-14/05/1988.
6. حاج محمد أحمد: "الشيخ عثمان بن فودي والحضارة العربية الإسلامية في الإقليم الشمالي لجمهورية نيجيريا، الاتحادية، ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية، الخرطوم، 28-30 أوت 1983 ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1985.
7. ساتي صالح مهدي: الجزور التاريخية لحضارات الهوسا وانعكاس ذلك على حركة الشيخ عثمان دان فوديو، الندوة العالمية حول الشيخ عثمان بن فودي، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، السودان، من 19 - 22 نوفمبر 1995.
8. سعيد عبد اللطيف: سيرة الشيخ عثمان دان فودي مع الإشارة للعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، ليبيا، 12-14/5/1998.
9. سعيد عبد اللطيف: سيرة الشيخ عثمان دان فوديو مع الإشارة للعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته، الندوة العالمية، الخرطوم، السودان، 19-21 نوفمبر 1995.
10. الشاذلي بهيجة: دور زعماء الإصلاح الأفارقة (القرن 19م) في إثراء الثقافة العربية الإسلامية، المؤتمر الدولي: " الإسلام في إفريقيا"، ليبيا، 2006.

11. الشراج زين العابدين عبد الحميد: أبرز مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي و القضايا التي تناولتها، ندوة الجامعة العالمية، الخرطوم، السودان، 1995.
12. الصافي محاسن عبد القادر حاج: جهاد الشيخ عثمان بن فودي في غرب إفريقيا وجهاد السيد محمد عبد الله حسن في الصومال - (دراسة مقارنة)، الندوة العالمية الخرطوم، السودان، 19- 21 نوفمبر 1995.
13. صكتو ناصر أحمد : نقد الحياة الإجتماعية لدى شعراء صكتو: دراسة تحليلية لنوتبة الشاعر الوزير جنيد في محاربة الفساد الإجتماعي، المؤتمر الدولي للدراسات العربية و الحضارة الإسلامية، ماليزيا، 2014.
14. الطيب عبد الرحيم محمد: الفويون ومقاومة الاستعمار في غرب إفريقيا والسودان ، الندوة العالمية، الخرطوم، السودان، 19-21 نوفمبر 1995.
15. عبد الصمد عبد الله: أثر اللغة العربية و الشعر العربي في البناء الحضاري بغرب إفريقيا، الندوة العالمية جامعة أم القرى، السعودية، 2013.
16. الغديري مصطفى: أسرة آل فودي ودورها في ترسيخ العقيدة الإسلامية ونشر اللغة العربية بشمال نيجيريا، أعمال ندوة التّواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقيّة على جانبي الصّحراء، ليبيا، 12-14/05/1998.
17. القدر ماري باكر حسن : المنهج التربوي في الدّعوة للشيخ عثمان بن فودي، الندوة العالمية، الخرطوم، السودان، 19-21 نوفمبر 1995.
18. محمد صالح أيوب: أثر الشيخ عثمان دان فويو على الهوسا و حوض تشاد، الندوة العالمية، الخرطوم، السودان، 1995.
19. مصطفى سعد: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حركة عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب إفريقيا، الندوة العالمية، الخرطوم، السودان، 19-21 نوفمبر 1995.

20. موسى يوسف بن عيسى: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا الواقع و المأمول، مؤتمر الشباب الإفريقي المسلم، جامعة أم درمان، السودان، 2008.
21. يوسف فضل حسين: أثر حركة عثمان دان فوديو على دعوة المهديّة في السودان وادي النيل، ندوة الجامعة الإفريقية، الخرطوم، السودان، 1995.

الرسائل والأطروحات:

1. بويكي سكيّة: الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن 19م، رسالة ماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية، جامعة خميس مليانة، الجزائر، 2010/2009.
2. السكاكر محمد بن علي: محمد بلّ والدولة الصكتية في عهده 1232-1253هـ/1817- 1837م، أطروحة دكتوراه، بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، السّعوديّة، 1415هـ/1995م .

الدوائر والموسوعات:

1. إيفر: دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، المجلد 5، 1933.
2. الحفني عبد المنعم: الموسوعة الصوفية، مكتبة دبولي، القاهرة، مصر، 2003.
3. حميش عبد الحق ومحفوظ بوكراع: موسوعة تراجم علماء الجزائر - علماء تلمسان وتوات . دار زمورة للنشر والتوزيع، البويرة، الجزائر، 2011.
4. رجب محمد عبد الحليم: إمارات الهوسا الإسلامية في شمال نيجيريا، الموسوعة الإفريقية، معهد البحوث الإفريقية، جامعة القاهرة، 1997، ج2.

5.....: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، سفير للطبع والنشر، القاهرة، مصر،
1996، ج9.

6. السيد مصطفى مجازي: الكلمة العربية ودورها في شعر الهوسا، الموسوعة الإفريقية،
جامعة القاهرة، مصر، 1997. المجلد الثالث.

7. الكيالي عبد الوهاب: موسوعة السياسية، معهد الدراسات العربية، القاهرة، (د-ت)

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الإهداء.....	5
شكر و تقدير.....	5
المقدمة.....	5
مدخل: المنطلقات الجغرافية و التاريخية.....	12
1- جغرافية بلاد الهوسا.....	13
2- انتشار الاسلام في بلاد الهوسا.....	23
3- اسباب ظهور الحركات الإصلاحية في المنطقة.....	31
الفصل الأول: حياة الشيخ عثمان دان فوديو.....	34
1-مولده و نشأته.....	36
1-1-مولده ونسبه.....	36
1-2-نشأته.....	37
2-طلبه للعلم.....	39
1-2-نشأته العلمية.....	39
2-2-رحلاته العلمية.....	40
3-شيوخه و معاصروه.....	50
1-3-شيوخه.....	50

56.....	3-2-معاصروه.....
77.....	الفصل الثاني: الجهود الدعوية لدان فوديو وتأسيس الإمارة.....
78.....	1-أوضاع بلاد الهوسا قبل ظهور حركة الشيخ دان فوديو.....
78	1-1-الأوضاع الدينية والاجتماعية و الثقافية.....
82.....	1-2-الأوضاع الاقتصادية و السياسية.....
87.....	2-الجهاد و تأسيس الإمارة.....
88.....	2-1-انطلاق الدعوة و منجزاتها.....
88.....	أ-سمات الدعوة في شخصية بن فودي.....
89.....	ب-أسس و مبادئ الدعوة
92.....	ج-منهج الدعوة
95.....	د-خصائص الدعوة و أهدافها.....
97.....	هـ-انتشار الدعوة ومعارضة علماء البلاط لها.....
102.....	2-2-هجرة الشيخ عثمان و جهاده
102.....	أ-هجرة الشيخ عثمان بن فودي.....
112.....	ب-انطلاق الجهاد و انتشاره.....
118.....	2-3-تأسيس امارة دان فوديو
123.....	الفصل الثالث: النظم الحضارية لإمارة سكوتو في ظل حكم بن فودي.....
124.....	1-النظم السياسية والإدارية و العسكرية.....

- 124.....1-1-النظم السياسية و الإدارية.
- 127.....1-نظام الحكم.
- 136.....2- الوزارة و الوزراء.
- 138.....3- الولايات و الولاية.
- 140.....4- المؤسسات الإدارية.
- 145.....1-2-النظم العسكرية.
- 145.....أ-القيادة العسكرية.
- 147.....ب-المشاة و الفرسان.
- 147.....ت-لباس الجهاد وتحلية آلات الحرب بأحد التّقدّين (الذهب والفضة)....
- 148.....ث-حملة الألوية.
- 151.....ج-الرباطات.
- 153.....2-النظم الاقتصادية والاجتماعية في امارة سكوتو.
- 153.....1-2-النظم الاقتصادية.
- 153.....1-المؤسسات الاقتصادية.
- 157.....2-التجارة والسواق.
- 160.....3-الزراعة والرعي.
- 161.....4-الصناعة.
- 162.....2-2-النظم الاجتماعية.
- 163.....أ-المأكل و المشرب.

- ب-الملابس و الزينة.....164
- ت-الختان..... 165
- ث-الزواج.....166
- ج-البنية الاجتماعية.....167
- ح-العادات و التقاليد.....170
- 3-النظم الثقافية و التعليمية.....171
- 3-1-النظم الثقافية.....171
- 1-الشعائر الدينية.....173
- 2-المذهب.....175
- 3-القضاء.....175
- 3-2-النظم التعليمية.....177
- 1-اللغة العربية.....178
- 2-الشعر والنثر.....179
- 3-المراسلات العلمية.....183
- 4-منهج وسائل التعليم.....184
- 5-مراحل التعليم وأماكنه.....187
- 6-تعليم المرأة.....191
- 7-الحواضر والعلماء في سكوتو.....192
- الفصل الرابع: علاقات امارة دان فوديو وأثاره الفكرية..... 196
- 1-علاقات امارة دان فوديو.....201

- 201..... 1-1-العلاقات الداخلية
- 201..... 1-علاقة سكوتو بكانم وبرنو
- 208..... 2-علاقة سكوتو بفوناتورو (بلاد التكرور)
- 211..... 3-علاقة سكوتو بماسينا
- 213..... 4-علاقة سكوتو بالطوارق
- 215..... 5-علاقة سكوتو بباقرمي
- 216..... 6-علاقة سكوتو بوداي
- 217..... 1-2-العلاقات الخارجية
- 217..... 1-علاقة سكوتو بالمغرب الأقصى
- 220..... 2-علاقة سكوتو بسودان وادي النيل
- 220..... أ-الثورة المهدية
- 228..... ب-اسهامات الفولانيين في الثورة المهدية
- 237..... 2-وفاة الشيخ بن فودي وأثاره الفكرية
- 238..... 1-2-وفاة الشيخ عثمان بن فودي
- 240..... 2-2-أهم مؤلفاته
- 254..... 2-3-آراء الشيخ بن فودي في بعض قضايا عصره
- 264..... خاتمة

271.....	الملاحق
279.....	قائمة المصادر والمراجع
307.....	فهرس الموضوعات